القرآن

والفحص الذاتي



د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الثنيان

العبيكان
Obeikan


القرآن
والفحص الذاتي



د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الشنيان



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الثنيان؛ عبدالعزيز بن عبدالرحمن

القرآن والفحص الذاتي./ عبدالعزيز بن عبدالرحمن الثنيان. -الرياض، ١٤٤٣هـ

٣٦٠ ص؛ ١٤ × ٢١ سم

ردمك: ٥-٤٥٣-٥٠٩-٦٠٣-٩٧٨

١- القرآن - مباحث عامة　　أ. العنوان

ديوي ٢٢٩　　١٤٤٣/١٠٢٣٨

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ / ٢٠٢٢م

نشر وتوزيع العبيكان Obeikan
المملكة العربية السعودية-الرياض
طريق الملك فهد-مقابل برج المملكة
هاتف: ٤٨٠٨٦٥٤ ١١ ٩٦٦+، فاكس: ٤٨٠٨٠٩٥ ١١ ٩٦٦+
ص.ب: ٦٧٦٢٢ الرياض ١١٥١٧




بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات



المقدِّمة

الحمـدُ للّه، والصـلاةُ والسـلامُ علـى رسـول اللّه، أمَّا بعد:

فيُوصي الأطبَّاءُ بفحصِ الأجسام كلَّ حين، وينصَحُ بعضُهُـم أن يكـونَ الفحصُ دوريًّـا في السـنة مرّتين أو ثلاثًـا، والهـدفُ مـن ذاك الفحص هـو التأكُّدُ من سلامة الأجســام من الأمراض، وتداركُ المُصابِ قبل استفحال المرض، فمن الأمراض -نسألُ اللّهَ السلامة- ما يفتِكُ بالجسم دونَ شعور صاحبه به!

ولذا يحرصُ كثيرٌ من الناسِ على هذا الإجراءِ الطبّي بشـكلٍ دوري، ويؤكـدون عليه باسـتمرار، ويسـتجيبون

لنصيحة الأطبَّاء بصورةٍ كبيرة، وما سخروا ولا امتعضوا، من تلك الوصية الطبية!

وماذا لو قال ناصح: هلَّا عرضتَ نفسَكَ للفحص القرآني، لترى أين أنت؟ فهل تُبادرُ أم تُسَوِّفُ أم تسخر؟

لقد بدَتْ لي فكرةُ هذا الكتاب: (**القرآنُ والفحصُ الذَّاتي**)، وأنا أرى مُمَارسات الكثير من المسلمين خلاف توصيات القرآن، فجاء هذا الكتاب تنبيهًا وإيقاظًا. ولئن اعتراه بعض النقص، فذاك قصورٌ منِّي؛ فأنا بشر. وقد راجع العلماء قَبْلِي ما كتبوا، فعدّلوا، وبدَّلوا. عن عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل، قال: قابلتُ بكتابٍ لأبي ثلاث عشرة مرَّة، فلما كان في الرابعة عشرة خَرَج فيه خطأ، فوضعه من يده، ثم قال: قد أنكرتُ أن يصحَّ غيرُ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

و**قال المُزَني**: «قرأتُ كتاب الرسالة على الشافعي ثمانين مرّة، فما من مرةٍ إلَّا وكان يَقفُ على خطأ،

فقال الشافعي: هِيِّهِ أبى اللّٰه أن يكون كتابًا صحيحًا غيرَ كتابه»[1].

أسألُ اللّٰهَ المثوبة، وما توفيقي إلَّا باللّٰه.

د.عبدالعزيز بن عبدالرحمن الثِّنيَّان

الرياض/ البريد الإلكتروني: 1@ikcedu.net



(١) نماذج من رسائل الأئمة السلف وأدبهم العلمي: عبدالفتاح أبو غدة (ص٥٩).

مدخل

وصايـا القرآن الكريم أهمُّ من وصايا الأطبَّاء، فهو كلامُ اللّه خالقِ الأطبّاء، وواضعِ الداء والدواء، والقادرِ على كُلِّ شيء.

وصايا القرآن، ونصائحُه أعمُّ وأشمل، فهل نفحصُ أنفسَـنا عن طريق القـرآن الكريم، ونسـتعرضُ نتائج الفحص الربّاني، ونجلو أنفسنا بتعرّضنا للقرآن؛ لنرى مقدار قربنا منه، ومقدار بعدنا عنه؟!

إنها أوامرُ وتوجيهاتٌ ربَّانية، اقرأها وسَائِلْ نفسَك: كيف أنت مع هذا الفحص القرآني؟

اقرأهـا الآن قَبْـلَ أن تقرأهـا فـي يـوم حتمـي آتٍ لا محالةَ، ستُسأَلُ فيه عن هذا الفحص القرآني!

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

إي واللّٰه قسمي، هو يومٌ قادمٌ ثابتٌ لامحالة، سيُؤتى كُلُّ فردٍ فيه كتابهُ بيمينه أو شماله، جعلنا اللّٰه وكتبنا من أهل اليمين!

إن في القرآن وصَفَاتٍ شاملةً، وعنايةً بالجسم والعقل، بالجسد والروح، بالدنيا والآخرة، بالقيم والمُثُل، بصلاح الفرد، وصلاح المجتمع!

فحتى وصية الأطباء بفحص جسمك من الأمراض، نبَّه إليها القرآن؛ إذ أمرك القرآنُ بفحص جسمك؛ فلا تتهور، وتُعَرِّضُ ذاتَك للتهلكة، وجسدك للتلف، ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. فلا تترك نفسك وقد توفرت المختبرات والعلم الطبي، إن أهملتها فقد ألقيتها في التهلكة، والقرآن ينهى عن ذلك، ولا تتهور وتزجُّ بنفسك في أُمور تعود عليك بالهَلَكةِ والأذى، فنفسُكَ أمانةٌ لديك!

قال الشيخ ابن عثيمين عند تفسيره لهذه الآية: «لا يجوز للإنسان أن يُعرِّضَ نفسه للأخطار، مثل أن يُلقي نفسه في نار، أو في ماء يُغرقهُ، أو ينامُ تحت جدارٍ مائلٍ للسقوط، أو ما أشبه ذلك، فإن هذا حرام، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]؛ حيث يدخل في هذه الآية ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ كلُّ ما يؤدي إلى ضرر للبدن، وإن لم يصل إلى درجة القتل، الدليل: أن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما بعثه الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سرية وأجنب، وإذا الجو بارد فتيمم وصلّى بأصحابه، فلما رجع إلى النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال له: «أَصَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ؟»[1].

قال: يا رسول الله، ذكرتُ قولَ الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فتيمَّمتُ، فضحِك النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وأقرَّه»[2].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٩/٣٤٦-٣٤٧ رقم ١٧٨١٢)، وأبو داود (١/١٤٥ رقم ٣٣٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود. هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه (١/٣٥٥).

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

إذن، ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ يشمل الإلقاءَ باليد إلى التَّهلُكَة الحسِّية والمعنوية. إنّ القرآن شاملٌ كاملٌ، فلنقرأه ونتدبَّره، ونعمل بتوجيهاته!

أعظمُ المقامات

أهـمُّ فحصٍ يجبُ أن تقـومَ بـه، ويسـبقُ جميـعَ فحوصاتِـكَ الطبِّية والعلميـة، وكلَّ ما يخطر على بالك من فحص، هو كيفَ أنتَ والتوحيد؟ إفرادُ اللّه بالعبادة.

إن فـي القرآن الفحص القطعـي! اقرأ القرآنَ تجدِ الوصفـات الشـافية الكافية الحاميـة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

إيقـاظٌ وتنبيهٌ مـن اللّه، ووضوحٌ وجـلاء، احذرْ أن تشـركَ مع اللّهِ أحـدًا في العبادة، فهـذه الآيةُ الكريمةُ قطَعَتِ الخبر، وأخبرتنا الخبرَ اليقين، أنه -سـبحانه- لا يغفـرُ لأحدٍ أن يشـركَ به؛ فـذاك إثمٌ عظيـمٌ، وزللٌ

جسـيمٌ. ويُكَرِّرُ سبحانه تحذيـرَهُ في الآيـةِ الثانيةِ في السورة ذاتها، بأنه لا مغفرةَ ولا تكفيرَ مع الشرك باللّه؛ فهو الضَّلالُ والسَّفَهُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

تنبَّهْ أخي في اللّه!

تنبهي أُخَيَّتِي في اللّه!

كرِّروا فحصَ أنفسكم، لا تتساهلوا في ذلك، سائلوا أنفسَكُم دومًا كيف أنتم والتوحيد؟ فرسول اللّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو إمام المُوحدين، ومع ذلك يُحذِّره اللّه من الشرك، وهو تحذيرٌ لنا جميعًا، يقول تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣]. ويؤكد سبحانه أيضًا تحذير الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما حذَّر جَلَّ جَلَالُهُ جميع الرسل من الشرك، فكيف بنا نحن؟! قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

فإذا كان اللّهُ يُنَبِّهُ الرُّسُلَ ويُخوِّفهم من الشِّركِ، فنحن الأولى بالتنبيهِ والتذكيرِ، والفحصِ المستمر!

لذا ينبغي للمؤمن أن يخافَ من الشرك، ويحذرَ أسبابه وأنواعه، ويسألَ أهلَ الذكر لكيلا يقع فيه، يقول تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

لقد أكملَ اللّٰهُ الدِّين وحفظه ورضيه، فالحذرَ الحذرَ من الانحراف والتأويل، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

كَـرِّرْ فحصَ نفسـك، واعرضها على القرآن تسـلمْ من الشـرك، فلا ترجو ولا تتوسل ولا تسأل إلاَّ اللّٰه، كُنْ مع اللّٰه وحده ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

احـذرْ أن تُشـركَ رسـولَ اللّٰه ﷺ، أو أيًّا من البشـر في دعائـك، أخلص دعـاءك للّٰه، وتوجَّـه إليه مُباشـرة، لا تشـرك معه أحدًا في طلبك ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

إن اللّٰه قريب من سـائليه، لا تحسـبه بعيدًا فتتشفع بآخرين، توجَّهْ إليه وحْدَهُ وخُصَّه -سـبحانه- بسُؤالك

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

يقول الرسول ﷺ لابن عباس: «**يا غُلامُ إنِّي أعلِّمُكَ كلِماتٍ، احفَظِ اللهَ يحفَظْكَ، احفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تجاهَكَ، إذا سأَلتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعَنتَ فاستَعِن باللهِ، واعلَم أنَّ الأمَّةَ لو اجتَمعت علَى أن ينفَعوكَ بشَيءٍ لم يَنفعوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ لَكَ، وإن اجتَمَعوا على أن يضرُّوكَ بشَيءٍ لم يَضرُّوكَ إلَّا بشيءٍ قد كتبَهُ اللهُ عليكَ، رُفِعَتِ الأقلامُ وجفَّتِ الصُّحفُ**»(١).

جاء في الدُّرَرِ السَّنِيةِ ما نصُّه: «هذا الحَديثُ أصلٌ عظيمٌ في مُراقبةِ اللهِ، ومُراعاةِ حقوقِه، وتَفويضِ الأُمورِ إليه، والتَّوكُّلِ عليه، وشُهودِ تَوحيدِه وتفرُّدِه، وعجْزِ الخلائقِ كلِّهم وافتقارِهم إليه وحدَه، وفيه أبلغُ ردٍّ على مَن اعتقَدَ النَّفعَ والضرَّ في غَيرِ اللهِ مِن الأولياءِ

---

(١) رواه عبدالله بن عباس، الألباني (ت ١٤٢٠)، صحيح الترمذي (٢٥١٦)، أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، واللفظ له، وأحمد (٢٦٦٩).

والصَّالِحين وأهلِ القبورِ، أو سـألَهم واستعانَ بِهم مِن دُونِ اللّهِ تعالى»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «التَّوحيدُ سِرُّ القرآن، ولُبُّ الإيمان»[2].

هــذا، وقِـفْ مُتأمـلًا مُتدبـرًا نصَّ أعظم شـهادة؛ إنها شـهادة التوحيـد يقول تعالــى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وقال ابن القيم: «تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الآيَةُ: أَجَلَّ شَهادَةٍ، وأَعْظَمَها، وأَعْدَلَها، وأَصْدَقَها، مِن أَجَلِّ شاهِدٍ، بِأَجَلِّ مَشْهُودٍ بِهِ»[3].

وجاء في تفسير ابن كثير، «ما رُوي عن غَالِبِ الْقَطَّانِ قَالَ: أَتَيْتُ الْكُوفَةَ فِي تِجَارَةٍ، فَنَزَلْتُ قَرِيبًا مِنَ الْأَعْمَشِ،

---

(١) موسوعة الدرر السنية، الرابط: https://www.dorar.net/hadith/sharh/136880

(٢) مجموع الفتاوى: ١/٣٦٨.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ٣/٣٥٤.

فَلَمَّــا كَانَتْ لَيْلَةٌ أردتُ أَنْ أنْحَدِرَ قَــامَ فَتَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ، فَمَــرَّ بِهَذِهِ الآيَة: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ ثُمَّ قَالَ الأَعْمَشُ: وَأَنَا أَشْــهَدُ بِمَا شَهِدَ اللّٰهُ بِهِ، وَأَسْــتَوْدِعُ اللّٰهَ هَذِهِ الشَّــهَادَةَ، وَهِيَ لِــي عِنْدَ اللّٰهِ وَدِيعَةٌ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ قَالَهَــا مِرَارًا. قُلْتُ: لَقَدْ سَــمِعَ فِيهَا شَــيْئًا، فَغَدَوْتُ إِلَيْهِ فَوَدَّعْتُهُ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، إنِّي سـمعتك تردد هذه الآية. قال: أو ما بَلَغَكَ مَا فِيهَا؟ قُلْــتُ: أَنَا عِنْــدَكَ مُنْذُ شَــهْرٍ لَــمْ تُحَدِّثْنِي. قَــالَ: وَاللّٰهِ لَا أُحَدِّثُكَ بِهَا إِلَى سَــنَةٍ. فَأَقَمْتُ سَــنَةً فَكُنْتُ عَلَى بَابِهِ، فَلَمَّا مَضَتِ السَّــنَةُ قُلْتُ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، قَدْ مَضَتِ السَّنَةُ. قَــالَ: حَدَّثَنِــي أَبُو وَائِلٍ، عَــنْ عَبْدِ اللّٰهِ قَالَ: قَالَ رَسُــولُ اللّٰهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يُجَاءُ بِصَاحِبِهَا يَوْمَ القِيامَةِ، فَيَقُولُ اللّٰهُ** عَزَّ وَجَلَّ: **عَبْدِي عَهِدَ إِلَيَّ، وأنا أحَقُّ مَن وَفَّى بالْعَهْدِ، أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ»**[1].

---

(١) تفسير ابن كثير، ١/٤٠١.

وقال الشيخ ابن سعدي في تفسيره: «هذا تقريرٌ من الله تعالى للتوحيد بأعظمِ الطرق الموجبة له، وهي شهادتُه تعالى وشهادةُ خواصِ الخلق وهم الملائكة وأهل العلم، أما شهادته تعالى فيما أقامه من الحجج والبراهين القاطعة على توحيده، وأنّه لا إله إلا هو، فنوعُ الأدلة في الآفاق والأنفس على هذا الأصل العظيم، ولو لم يكن في ذلك إلَّا أنه ما قام أحدٌ بتوحيده إلا ونصره على المشرك الجاحد المنكر للتوحيد، وكذلك إنعامه العظيم الذي ما بالعباد من نعمةٍ إلا منه، ولا يدفع النقمَ إلا هو، والخلقُ كلُّهم عاجزون عن المنافع والمضار لأنفسهم ولغيرهم، ففي هذا برهانٌ قاطعٌ على وجوبِ التوحيد وبطلانِ الشرك. وأما شهادةُ الملائكة بذلك فنستفيدُها بإخبار الله لنا بذلك وإخبار رسله، وأما شهادة أهل العلم فلأنّهم هم المرجعُ في جميع الأمور الدينية، خصوصًا في أعظم الأمور وأجلّها وأشرفها وهو التوحيد، فكلّهم من أوّلهم إلى آخرهم قد اتّفقوا على ذلك ودعوا إليه، وبيّنوا للناس الطرق الموصلة إليه، فوجبَ على الخلق التزام

هذا الأمر المشهود عليه والعمل به، وفي هذا دليلٌ على أن أشـرفَ الأمور علمُ التوحيد؛ لأنَّ اللّٰه شهدَ به بنفسه وأشـهدَ عليه خواص خلقه، والشـهادةُ لا تكـون إلَّا عن علم ويقين، بمنزلة المشـاهدة للبصر، ففيه دليلٌ على أنَّ من لم يصلْ في علم التوحيد إلى هذه الحالة فليس من أولي العلم»[1].

هـذا وبعد، فلِعِظَمِ أمرِ العقيـدة، وإفرادِ اللّٰهِ وحده بالعبادة؛ تكرَّرت آياتُ التحذير والتخويف ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [النحل: ٥١]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا﴾ [الإسراء: ٢٢].

إنَّه القرآن، فاسترشِدْ به، واحذرْ أن تُشركَ مع اللّٰهِ أحدًا في عبادتك وفي توسلِّك ورجائك.

إن مقـام التوحيـد أمـرُهُ جليـلٌ، وخطرُهُ جسـيمٌ، فالحـذرُ منـه واجب، والخـوفُ منه أوجـبُ الواجبات.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص١٢٤، ١٢٥.

عن معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ على الصفا**». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَهَلِ الشِّرْكُ إِلَّا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ؟ فَقَالَ رسول اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ على الصفا، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟ قُل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ**»[1].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، ٤/٤٠٣.

استشعار الأمن

ما من شكٍّ في أن كلّ فردٍ ينشدُ الأمن والأمان لنفسه وأُسْرته، وأهمّ مجالات الأمن؛ الأمن الربَّاني. فكيف تفحص نفسك وتعرف أن الله سبحانه عَدَّكَ من عباده الآمنين؟ كتبنا الله وإيّاكم منهم.

كُل ذلك مبسوطٌ في القرآن، فتّشْ واقرأْ بتدبّرٍ تجدْ تلك البشارة، يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

نَقِّ إيمانك، وصَفِّهِ من الشركِ والمعاصي، واحتطْ من أحابيلِ الشيطان وتأويله وإغرائه، وتدَبَّرْ بلاغَة القرآن وعظمته، فقد وردت كلمة اللباس مرتبطةً بالإيمان، واللباس يعني الغَطاء، فلا تُغطّي إيمانَكَ

بالهنَّات والزلات، واحذر الهفوات يكن لك الأمن الربّاني، ومنْ نال أمنَ الله فاز! ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وفي القرآن آيات كثيرة تعرِفُ بها حالك، وأين أنتَ من رضا الله؛ فَمِن أمْنِهِ ورِضاه أن يكتُبَكَ ممَّن تستغفرُ لهم حملةُ العرش، ويا طُوبى لمن شملَهُ استغفارُ حملةِ العرش ودعاؤهُم، وما أبركه من دعاء يشمل الصالحين من الأحبَّة؛ يشمَلُ الوالدين، والزوج، والذّرِّية. ربّاه اكتبنا منهم ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧-٩].

إي والله، إنه الفوز العظيم! أجهِدْ نفسَك، واعملِ الصالحات، واجتنبِ السيئات، لا يغُرَّنّك أن ضحِكَتِ الدُّنيا لزيدٍ أو ابتسمت لعمرو، فالدوام مُحال!

ارجعْ للقرآن دومًا، وافحصْ نفسَك مع إرشاداته، واعملْ بما قضى به تعِشْ آمنًا. لقد وعد اللّهُ مَنْ جمعَ بين الإيمان والعمل الصالح بالحياة الطيبة في الحياة الدنيا، وبالجزاء الحسن في هذه الدار، وفي دار القرار، وذاك هو الأمن ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

كُلٌّ يودُّ الحياةَ الطيبةَ، والعيشةَ الهنيةَ، والنعيمَ في الآخرة.

اطمئن واقرأْ وَعْدَ الله، وهنيئًا للفائزين بوعدِ الله! يعِدُ -سبحانه- كُلَّ مؤمنٍ يعمل الصالحات، بمغفرة ذنوبه، ومحو سيئاته وبالأجر العظيم، وحين يصفُ اللّهُ ذاك الوعد بالعظمة، وهو العظيم جَلَّ جَلَالُهُ فإن ما سوف تلقاه في الآخرة، هو فوق خيالك، وأعظم مما تتصور، وهو الأمن الذي يتمناه الكُل، يقول تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩]. وفي آية أُخرى يرِدُ وصف الوعد وعِظَم أجره ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [فاطر: ٧].

أخي في اللّٰه، بادرْ وسابقْ لعمل الصالحات تفُزْ بالأجر العظيم، وتَنَلِ الأجر الكبير!

واقـرأ القـرآن وأنـت مُتَدَثِّـر بخشـية اللّٰه وخوفه، واجعـل خوفك من اللّٰه معك كل حين تسـعدْ بأجر اللّٰه الكبيـر، وأمنه العظيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الملك: ١٢].

هـذا، ولـو قرأنا التاريـخ لعرفنـا أنّ الدنيـا قطارٌ سائرٌ، ويبقى العمل الصالح والذكر الحسن، فالخليفة عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمّا حضرته الوفاة «دخل عليه مسـلمة بن عبدالملك، وقال: إنك -يا أمير المؤمنين- قد فَطَمْتَ أفواهَ أولادِك عن هذا المال.

فحبَّـذَا لو أوصيتَ بهـم إليَّ أو إلى مـن تُفَضِّلهُ من أهل بيتِك.

فلما انتهى من كلامه، قال عُمر: أجلسوني.

فأجلسـوه، فقال: قد سمعتُ مقالتكَ يا مسلمة، أمَّا قولُكَ: إني قد فَطَمْتُ أفواهَ أولادي عن هذا المال.

فإنـــي واللّهِ ما منعتُهُـم حقًّـا هــو لهــم، ولــم أكُن لأُعطيهم شيئًا ليس لهم.

وأمَّا قولُكَ: لو أوصيتَ بهــم إليَّ، أو إلى من تُفَضِّلُهُ مِنْ أهلِ بيتكَ. فإنما وَصِيِّي ووليِّي فيهم اللّه، الذي نَزَّل الكتابَ بالحقِ، وهو يتولى الصالحين.

واعْلَـمْ يا مسـلمةُ أن أبنائي أَحدُ رَجُليـن: إمَّا رَجلٌ صالحٌ مُتَّقٍ، فسيُغنيه اللّهُ مِن فَضله، ويجعلُ لهُ مِن أمرِهِ مَخْرَجًا.

وإمَّا رَجلٌ طالِحٌ مُكِبٌّ على المعاصي، فلن أكونَ أوَّلَ مَنْ يُعينُهُ بالمال على معصيةِ اللّهِ تعالى.

ثُم قال: ادعُوا لي بَنِيّ.

فَدَعَوْهُم، وهُم بِضعةَ عشرَ ولدًا.

فلمــا رآهُــم تَرقرقت عينــاهُ، وقــال: بِنفســي فِتيةً تَرَكْتُهُم عالةً لا شيء لهم.

وبَكَى بُكاءً صامتًا. ثم التَفَتَ إليهم، وقال: أَيْ بَنِيَّ. إني قدْ تركتُ لكُم خيرًا كثيرًا. فإنكُم لا تَمُرُّونَ بأحدٍ من المسلمين، أو أهلِ ذِمَّتِهِم إلَّا رَأَوْا أنَّ لَكُم عليهم حقًّا.

يا بَنِيَّ، إنَّ أمامَكُم خيارًا بين أَمْرَين:

فإمَّا أن تَستَغْنُوا، ويَدْخُلَ أَبُوكُم النارَ.

وإمّا أن تَفْتَقِروا، ويدخُلَ الجنّةَ.

ولا أَحْسَبُ إلَّا أنكُم تُؤثِرونَ إنقاذَ أَبيكُم من النارِ على الغِنى.

ثُمَّ نظر إليهم في رِفْقٍ وقال: قُوموا عَصَمَكُمُ اللّه. قُوموا رَزَقَكُمُ اللّه.

فالتفتَ إليهِ مسلمةُ وقال: عندي ما هو خيرٌ مِنْ ذلك يا أمير المؤمنين.

فقال: وما هُو؟

قــال: لديَّ ثــلاثُ مئةِ ألفِ دينــارٍ. وإنــي أَهَبُها لكَ فَفَرِّقْهَا فيهِم. أو تَصَدَّق بها إذا شِئْتَ.

فقال له عُمر: أو خيرٌ من ذلك يا مسلمة؟

قال: وما هُوَ يا أميرَ المؤمنين؟

فقــال: تَرُدُّها إلى مَنْ أُخِذَتْ مِنهُ؛ فإنها ليسَــتْ لكَ بحقٍّ.

فترقرقت عَيْنَا مسلمةَ، وقال:

رَحِمَكَ اللّهُ -يا أميرَ المؤمنين- حَيًّا ومَيتًا.

فَقَدْ أَلَنْتَ مِنَّا قلوبًا قاسيةً.

وَذَكّرْتَهَا، وقد كانت ناسية.

وأبقيتَ لنا في الصالحين ذِكْرًا.

ثم تَتَبَّعَ الناسُ أخبارَ أبناءِ عُمر من بَعْدِه.

فَرَأَوْا أنهُ ما احتاجَ أحدٌ مِنْهُم ولا افْتَقَر.

وصدَقَ اللّٰهُ العظيـمُ؛ إذْ يقول: ﴿وَلۡيَخۡشَ ٱلَّذِينَ لَوۡ تَرَكُواْ مِنۡ خَلۡفِهِمۡ ذُرِّيَّةٗ ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيۡهِمۡ فَلۡيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡيَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]»[١].

---

(١) صور من حياة التابعين: عبدالرحمن رأفت الباشا (٢٦٣-٢٦٦).

الأُسْوَةُ الحسنة

اِسرَحْ في خيالكَ، وتذكَّرْ مَنْ نالوا إعجابك، وَوَدِدتَ أن تُقَلِّدَهُم، وتمنّيتَ أن تكون مثلَهُم، لن تجد بين قديمهم ومتأخرهم كاملَ الأوصاف، لكن افتحِ المصحف تجد فيه الأسوة الحسنة، وتَلْقَ خَيرَ مَنْ تقتدي به!

افتحْ كتاب الله يُرشدك لِمَنْ تهتدي بمنهجه! هو كتابُ الله فيه الفحص الذاتي الكامل.

إنّ في القرآن أزكى الوصفات العلاجية لكل إنسان، وفيه أوضح التوجيهات لراغبي النجاح، إن القرآن يدلكَ للأُسوة الحسنة والقُدوة المباركة، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

إن رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هـو خيـرُ البشـرية، وهو القُدوة الحسنة، زكّاه الله، وخلّد تزكيته في كتابه الخالد.

ابحث عن صفاته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واقرأ سيرته، وتعرف على سجاياه، اتّبعها، قلّدها، حاكها.

اعْرِضْ نفسـك على كتاب الله واقرأْ قصصَ أنبياءِ الله ورُسـله، وانظرْ فـي قُدواتك مَنْ هـم؟ وكيف هم؟ ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

لقد زكَّى الله -سبحانه- رسولنا محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبانـا إبراهيـم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والذين آمنوا معـه، ورَغَّبَنَا في السـير وفق منهجهم، والعمـل بهديهم، والاقتداء بهم، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الممتحنة: ٦].

هيا نقرأ سِـيَرَ الأنبياء والرسل في القرآن الكريم؛ لنعرفَ صبرَهم وتحمُّلَهـم أذية أقوامهم؛ فأبو الأنبياء إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ سـخروا منه، وقذفوه في النار فأنجاه الله. ورسولنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بقي في مكة ثلاث عشرة سنة،

يدعو ويتحمل صنوف الأذى والسـخرية، ويجدُ المشقة ولم ييأسـ، صبـر وتحمّل، ورَجَى وأمّل! تعـددت أمامَهُ ﷺ العقبات، وتَفاءل وطَمأن أصحابه، وقال: «**واللّٰهِ ليُتِمَّنَّ هذا الأمْرُ، حتّى يَسِيرَ الرّاكِبُ مِن صَنْعاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخاف إلّا اللّٰهَ، والذِّئْبَ على غَنَمِهِ**»[1].

وتكرّر في القرآن التوجيه للعمل وفق هديه وتوجيهاته ﷺ، **فقال تعالـى:** ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وجاء الأمر الرباني بطاعته ﷺ فيما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، فكيـف نغفل عن اتباع منهجه؟! ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢].

وربط -سـبحانه- محبّته بمحبة رسـوله ﷺ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

---

(١) أخرجه البخاري، (٩/٤٣٥ رقم ٣٨٥٢).

إن القــرآن خيــرُ مُرشــدٍ لاختيار القــدوة، لقد كان ﷺ النموذج الكامل، وصف اللهُ -سبحانه- خُلُقَه بالعظمة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

أدرك نفسك، واقرأ سيرته ﷺ، واجعله قدوتك وإمامــك. لقد قــرن -ســبحانه- الإيمان به وبرســوله وقرآنه، فاعمل قبل يوم الحســرة والندامة، يوم الجمع والتغابــن، وحينئذٍ لات مندم ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٨ يَوۡمَ يَجۡمَعُكُمۡ لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التغابن: ٨، ٩].

علينا أن نبحث ونفتّش عن أخلاق الرسول وصفاته ﷺ، ويــا حبّذا لــو دونّاها بخطٍ كبيــر، وزينّا بها مكاتبنا ومجالسنا!

إن صفاته نبراسٌ ومشعلٌ نهتدي به!

مــن صفاته الصبــر والحلم؛ إذ عابــه قومه وآذوه، وتنوّع أذاهم الجسدي واللفظي؛ ألقوا عليه سلا الجزور،

وهو ساجدٌ يُناجي ربَّه، وحاصروه وجوّعوه، وهمّوا بقتله، وكسروا أسنانه، وأدموا جسده الطاهر، فصبر ودعا لهم، وأطلقوا ألسنتهم ببذيء الكلام؛ قالوا: ساحر، وكذّاب، ومجنون، وسفيه.

وقالوا: أبتر.

وقالوا: أُذُنٌ.

وقالوا، وقالوا.

وردَّ اللّه عليهم؛ بأن قرعهم، وعابهم، وأكد سبحانه سجاياه التي يجب أن نتعلمها ونقتدي بها، فقال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

وقال سبحانه: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

لقد جسَّدَ ﷺ الصبر في أعظم صُوره؛ إذ أرسل اللّه له مَلك الجبال؛ ليأتمر بأمره، فاستأذنه

أن يُطبق على أهل مكة جبليها الشامخين، فأبى وصبر ورجا لهم الخير، وقال: **لعلّ الله أن يُخرج من أصلابهم منْ يعبد الله.**

وحين عابه المنافقون فيما بينهم بالمدينة بأنه مُجردُ (أُذُنٌ) يُصدِّقُ كُلَ ما يسمع، جاء الخبر من السماء بفضحهم وتقريعهم وبيان صفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالله من فوق عرشه يُبيِّنُ صفاته؛ إنه عظيم كبير يسمع قولهم السيئ ويتناساه، ويصبر عليهم، ويتحمل فظاظتهم، إنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمنحُ أُمّتَه دروسًا في التغابي والتجاهل، أين نحن من حِلمه وصبره! ما أن نسمعُ كلمة جارحة إلّا وتتورم الأُنوف، وتجفو القلوب، في حين يعلِّمنا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرفق في تعامله مع قومه، فكان كما قال عنه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٍ﴾.

إن كُلَّ صفةٍ من صفاته تحتاج لكُتُبٍ تعرضُها وتشرحها؛ شجاعته وقُوته في الحق، رحمته وإيثاره، رفقه وكرمه، فصاحته وبيانه، حلمه وعفوه.

حقًّا إنه القدوة الحسنة، نعجزُ أن نُحصي سجاياه، وحقًّا إن القرآن خيرُ زاد، وخيرُ فاحصٍ، وخيرُ دواءٍ للذات الإنسانية.



اقرأ القصة

سيتبادر إلى ذِهنك تساؤلٌ يقول: وما علاقةُ الفحصُ الذاتي بالقصة والاستطراد؟!

وحين تعيشُ مع القصة، وتستحضرُ أحداثها تتبينُ لك الدلالة.

في ساحة البلقاء بالأردن، سنة ثمانٍ من الهجرة، كانت القصة، فهناك كان العجب العُجاب. اعرِض نفسك على أبطال تلك الملحمة، وتخيّل أنك تَجْلِسُ لأحدهم، تسأله عن ذاك اليوم التاريخي في الإسلام، ثم تأمّل نِهاية القصة، وافحص نفسك، ودقِّق أين أنت يا عبدَاللّهِ من أُولئك الرجال، الذين زكاهم اللّه

في القرآن، وأثنى عليهم ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]. يقول التاريخ: «وصل الجيش الإسلامي الذي سيَّرَهُ رسولُ ﷺ نحو مُؤتَة، كان عددهم ثلاثة آلاف مُقاتل، وحين وصلوا إلى هناك عرفوا أن الجيش الرومي ومناصريه يفوقونهم مئات المرات، فتشاوروا، ثم عقدوا العزم على اللقاء: فإمّا النصر أو الشهادة، وهناك في سهل البلقاء صارت المعركة، واشتَدَّت المواجهة، ورأى البطلُ جعفر بن أبي طالب، قائدَهُ زَيْدَ بن حارثة يخِرُّ صريعًا، فيلتقط الراية فورًا، ويمضي ورجالُه يُلاطِمُون أمواجَ البشر المتدافعة نحوهم، ويزْدَادُ الضغطُ على المسلمين، فيَصْمُدُ الإيمان، ويقفزُ قائدُ الجيش جعفرُ من فرسه، وفي لمح البصر يعقرُ فرسَه الشقراء، ويعلو تكبيرهُ: اللّهُ أكبر، اللّه أكبر، اللّه أكبر. وتتجاوبُ حناجرُ المسلمين بالتكبير، فتهتزُّ الأرضُ، وترتجُّ تكبيرًا وإقدامًا! ويثبت القائدُ المسلم، ورجالُه يجالدون الأعداء، ويجندلون

الخصـوم! إنهـا الشـجاعة والجـرأة، ومهـارة القائد وإقدامه، ينحرُ فرسَـهُ، ويثبت على الأرض يتحدَّى. قُل لـي بربك، أيُّ شـجاعةٍ بعد هذا العمل؟! إنها شـجاعةٌ تعجزُ الأقلام عن وصفهـا! وأيُّ يقينٍ بعد هذا الفِداء؟ وأيُّ تحـدٍّ بعـد تلـك القفـزة ونحـرِ فرسِـه؟! لقد ملأ اليقيـنُ قلب جعفر، وفاض الإيمان غزارةً، وبدا الثبات مـن القائد ورجاله كالجبال الرواسـي، بل أثبتُ وأجرأ مـن كُل ما يخطر على البال؛ مئـة ألف من الروم، ومن نصـارى العـرب مئة ألف أخـرى، يتصـدّى لهم ثلاثة آلاف مقاتل، يقودهم حسب وصية رسول اللّه ﷺ زيد بـن حارثة، فإن أُصيب فجعفـر بن أبي طالب، وإن قُتِـل جعفـرٌ فعبداللّه بن رواحـة. لقد كان رسـول اللّه ﷺ يُدرك أهميـة هذه الغزوة، وخطرها، فاختار لها ثلاثةً من رهبان الليل وفرسان النهار.

إن القوم بقائدهم، يتقدَّمُهم نحو الموت، ويفترس رجالُهُ الأعداء افتراس الأُسْدِ لفرائسِها، ويثبت القائدُ

جعفر بعد قتل القائد السابق زيد، ويتكاثر الروم عليه، أدركوا مقدرة البطل، فكأنه جيشٌ لوحده، بسواعده الطاهرة يُجَندِلُ الفرسان، ويمضى قُدمًا كالموج يُغطّي أمواج الكفر والجبروت، وتكاثر عليه الرومُ وأعوانهم، وأحاطوا به، وركّزوا عليه، فضَربوا بالسيوف يَدَهُ اليُمنى، فتطير تلك اليد الطاهرة، وتتقاطر دماؤها الزكيّة، فيمسك الراية بيده الأخرى، ويمضي يزأر ما كأنه أُصيب، ويجندل الخصوم. ويتتابع المهاجمون عليه، وتلحق يده الأخرى بأختها، فيزدادُ نزيفُ دمائه، فما اهتزَّ ولا جَبُن، احتضنَ الراية بحُضْنِه، ومضي يشقُّ الصفوف، وحوله الأُسدُ الضواري، يَفْرُّون الأعداء فريًّا، وخُصومُهم يتقافزون يُمنةً ويَسرةً، وتتحامى الضباع، وتتكاثر الوحوش، وتتمكنُ رماحُهم وسيوفُهم من قتل جعفر، ويخرُّ صريعًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وعُمرُهُ ثلاثٌ وثلاثون سنة؛ عُمر الفتوّة ونضارة الحياة. مضى وقد أعذر إلى ربه، سقط وقد ناله أكثرُ من تسعين طعنةٍ في نحرِه وصدره، ويَرَون جسده الطاهر فيما بعد،

وقد كانت الضربات بشـطرِه الأمامي، وما مسَّ الكفرة خلفـه بطعنةٍ ولا وخزة، لقـد كان مُقبلًا عليهم بوجهه؛ ما تحرَّف، ومـا أدبر، وما اسـتطاعوا مُخاتلته وضربه من الخلف ولو بضربةٍ واحـدة. إنها الجُرأة والصرامة العجيبة! يقـول عبدالله بن عُمر: «كُنـت فيهم في تلك الغـزوة، فالتمسـنا جعفر بن أبي طالـب، فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسـده بضعًا وتسعين من طعنةٍ ورَمْيَة»[1].

وفـي روايـةٍ أُخرى لابن عمر: «ليسـ منها شـيٌ في دُبرِه، يعني في ظهره»[2].

قُولوا بربّكم أحقيقةٌ تلك البطولات والتضحيات أم خيـالٌ أم حُلمٌ أم واقع؟! لقد كان مشـهدًا حقيقيًّا يُؤكد الإيمان في أبهى صوره، رجـالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه، باعوا دنياهم بآخرتهم.

(١) أخرجه البخاري (١٠/٣٢١ رقم ٤٢٦١).
(٢) أخرجه البخاري (١٠/٣٢١ رقم ٤٢٦٠).

ومـا أن تفيضَـ روحُ جعفر إلى بارئهـا، إلا وملائكةُ الرحمـة تتلقّاه، ويصطـفُّ له جناحانِ يطيـرُ بهما مع الملائكـة، ويـرى رسـول اللّٰه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشـهدَ فـي مؤتة بالأردن، وهو فـي المدينة المنورة على بعد مئات الكيلـوات، يرى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جعفـرًا بيـن الملائكة، وقد فاز الفوز الحق، ونال الثـواب الفوري والجزاء الأوفى، ويُطلِـقُ عليه لقـبَ الطّيـار، وأَنْعِمْ به مـن لَقَبٍ حقيقيٍ يطيرُ مع الملائكة إلى الفردوس الأعلى!

يقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقد رأيتُهُ في الجنَّة. له جناحانُ مُضَرَّجان بالدماء. مَصْبُوغ القوادِمِ**»[1].

ويأخـذُ الرايةَ حسـب وصية رسـول اللّٰه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القائـدُ الثالـث عبدُاللّٰه بـن رواحـة، ويقاتـلُ بجـرأة وشـجاعة، ويُسرع إليه ابن عمٍ له بقطعة لحمٍ ليَشُدَّ بها صُلبهُ، وينهسُ منها نهسةً ثم يرميها، ويندفعُ نحو ملاقاة

---

(١) أخرجه ابـن سـعد فـي الطبقـات الكبـرى (٤/ ٣٩)، وصححـه الألبانـي فـي السلسـلة الصحيحـة (٣/ ٣٠٠ رقـم ١٢٢٦).

القوم، ويتقدم فيُقاتل حتى استشهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى أن يأخذ الراية خالد بن الوليد، وقد أدرك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خطورة الموقف، فأعاد تنظيم الجيش، وبدَّل الميسرةَ بالميمنة، واستدار بالقوة البسيطة، وجعلَ قسمًا من المقاتلين يتقدمون من الخلف، وكأنهم أمدادٌ جديدة، فأربكَ الروم، ثم انسحبَ خالدٌ بالجيش المسلم، وأنقذه بعد أن أَثْخنَ في الروم، وكان عدد قتلى المسلمين ثلاثة عشر شهيدًا.

هذا ومن معجزاته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أنه أخبر أصحابه باستشهاد القادة الثلاثة وعيناه تذرفان بالدموع قبل أن يأتيه الرسول بالخبر، وأخبرهم باستلام خالد للراية، وبشرهم بالفتح على يديه. والمراد بالفتح في هذا الحديث الصحيح: إما الانسحاب المنظم الناجح، وإما ما أوقعه المسلمون بالروم من خسائر رغم تفوقهم العددي[1].

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية: د. أكرم ضياء العمري (٢/٤٦٩).

وفي رواية لابن إسحاق في السيرة قال: «لما أُصيبَ جعفــرٌ زار رســول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زوجتــه أســماء بنــت عُميســ، وقال: ائتيني ببني جعفــر (محمد، وعبدالله، وعوف). قالــت: فأتيته بهم، فتشــمَّمهم وذرَفتْ عيناه، فقلتُ: يا رســول الله بأبي أنت وأُمي، ما يُبكيك؟ أبلغَكَ عــن جعفرٍ وأصحابه شــيء؟ قــال: **نعــم، أُصيبــوا هذا اليــوم**. قالــت: فقمــتُ أصيــحُ، واجتمعتْ إليَّ النســاء، وخرج رســول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أهله، فقال: **لا تغفِلُوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعامًا، فإنهم قد شُغلوا بأمر صاحبهم**»[1].

روى البخاري في صحيحه عن قيســ بن أبي حازم قال: «ســمعتُ خالد بــن الوليد يقول: لقــد دُقَّ في يدي يوم مؤتة تســعةُ أســياف، وصَبَرَتْ في يدي صفيحةٌ لي يمانية»[2].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤٥/٢٥-٢٦ رقم ٢٧٠٨٦)، والطبراني في المعجم الكبير (١٤٣/٢٤ رقم ٣٨٠).

(٢) أخرجه البخاري، (٣٢٦/١٠ رقم ٤٢٦٦).

هذا هــو النموذج الأمثل للمسـلمين في الدفاع عن دينهم، والتصدي للكثرة العاوية نحو عقيدتهم!

هؤلاء هم قدوةُ المسلمين في كلِّ مكانٍ وكلِّ زمان!

هــذا هو الإيمــانُ الواجب التحلّي به فــي الذودِ عن ديــن اللّه، ولئــن تغيّرتْ وســائلُ القتــال، فقــد تغيّرتْ وســائلُ الدفــاع؛ فجــاءت التقنيةُ بقوتهــا الناعمة، تلجُ القلوبَ وتتسَلِكُ في الصدور!

لقــد جاء القرآن آمرًا بقــراءة تاريخ هؤلاء الرجال القدوات، ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧].

فهلَّا فحصنا أنفسنا لنعرف أين نحن منهم!

وهــلّا قرأنــا تاريــخ أُولئك الســابقين الذيــن أثنى القرآن على سيرهم، فنتخذهم قُدوات نقتفي أثرهم!

وهــلّا عرضنا بذْلَنــا وخِدْمَتنا لدينــا، وكيف نحن منهــم؟ لقد بان الهدف مــن عرض هــذه القصة التي

أشـــار القــرآن الكريــم لأبطالها، وما لهم مــن النعيم؛ لِنَزِنَ أنفسنا، ونتشبَّهَ بهم؛ لأن التشبُّهَ والاقتداء بأُولئك الرجال فيه الأمن والفلاحُ.



أَوَ تَرجُو رحمة اللّه؟

ومَن لا يرجو رحمة اللّه؟!

الكل يتمنَّى رحمةَ اللّه، ويترجّاها، وفي القرآن بيانُ طريقِ الرحمة!

افتــحِ المصحفَ، وقلِّبْ صفحاتِهِ، وســوف تجد نور اللّه يتلألأُ، ويهديك لمنهج الرحمة.

سوف ترى منارات الضياء والطمأنينة!

إي واللّه قســمي، ستجد الفحص الشــافي والبيان الهادي، اقرأ قولــه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأعراف: ١٥٣].

لئن عملتَ سيئةً، وجئتَ لربك تائبًا، صادقَ الأوبة، تتأسفُ أن غلطت، وتندم أن هفوت، وتعزم ألا تعود، فسوف تجد مغفرة اللّٰه ورحمته! دعِ القلقَ وامضِ مبتهجًا في حياتك، فأنت في رعاية أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين! لكن الحذرَ من المعصية، فعذابُ اللّٰه شديدٌ للعُصاة المُصرّين على المعصية، ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٩٨].

ورحمةُ اللّٰه واسعة للتائبين النادمين، المُتقين، المُؤتين الزكاة، المؤمنين بآيات اللّٰه، ووعده ووعيده.

﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

اسرحْ مُتدبرًا في كتاب اللّٰه، تجد البهجة والسعادة والراحة النفسية، ومتى ما أنِسَتْ نفسُك واطمأنَّتْ ستشعر بالبهجة والأنس، فبادرْ واجعلِ المصحف رفيقَك وصاحبَك كُلَّ حين!

افتحْ سورة الأعراف، واقرأ هذه الآيات المتلاحقة، واعمل بمدلولها، فنورها بيّنٌ واضحٌ كالشمس الساطعة في رابعة النهار!

اقرأ التوجيه الرباني باتباع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد سبقت البشارة به في كتب الله السابقة، وقد جاء بالخير والفضل يأمر بالمعروف، وبما فيه خير البشرية، وينهى عن المنكر، وعن كل عمل سيء. رسول مبارك يكشف الخبائث، وضرر البشرية، ويهديهم الفضائل، ومآلات اجتناب المعاصي.

ركِّز في قراءتك ثناء الله على الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وتأمل ما دوَّنه عُلماءُ التفسير حول هذه الآية، يقول الشيخ ابن سعدي في تفسيره: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ

النَّبِيَّ الأُمِّيَّ احتراز عن سائر الأنبياء، فإن المقصود بهذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والسياق في أحوال بني إسرائيل، وأن الإيمان بالنبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شرطٌ في دخولهم في الإيمان، وأن المؤمنين به المتبعين، هم أهلُ الرحمة المطلقة، التي كتبها الله لهم، ووصفه بالأمي؛ لأنه من العرب الأمّة الأمّية، التي لا تقرأ ولا تكتب، وليس عندها قبل القرآن كتاب. الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ باسمه وصفته، التي من أعظمها وأجلها، ما يدعو إليه، وينهى عنه. وأنه يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وهو كل ما عرف حسنه وصلاحه ونفعه. وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وهو: كل ما عرف قبحه في العقول والفطر. فيأمرهم بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى الجار والمملوك، وبذل النفع لسائر الخلق، والصدق، والعفاف، والبر، والنصيحة، وما أشبه ذلك، وينهى عن الشرك بالله، وقتل النفوس بغير حق، والزنا، وشرب ما يسكر العقل، والظلم لسائر الخلق، والكذب، والفجور، ونحو ذلك.

فأعظم دليل يدل على أنه رسول الله، ما دعا إليه وأمر بـه، ونهى عنه، وأحله وحرمه، فإنـه ﴿يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ مـن المطاعم والمشـارب، والمناكـح. ﴿وَيُحَـرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ من المطاعم والمشـارب والمناكح، والأقوال والأفعـال. ﴿وَيَضَعُ عَنْهُـمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْـلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِـمْ﴾، أي: ومن وصفه أن دينه سـهل سـمح ميسـر، لا إصـر فيه، ولا أغلال، ولا مشـقات ولا تكاليف ثقال. ﴿فَالَّذِيـنَ آمَنُوا بِهِ وَعَـزَّرُوهُ﴾ أي: عظموه وبجلوه ﴿وَنَصَرُوهُ، وَاتَّبَعُـوا النُّـورَ الَّـذِي أُنْـزِلَ مَعَـهُ﴾ وهـو القـرآن، الذي يسـتضاء به في ظلمات الشـك والجهالات، ويقتدى به إذا تعارضت المقالات، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الظافرون بخيري الدنيـا والآخرة، والناجون من شـرهما؛ لأنهم أتوا بأكبر أسباب الفلاح. وأما من لم يؤمن بهذا النبي الأمـي، ويعزره، وينصـره، ولم يتبع النور الذي أنــزل معه، فأولئك هم الخاسرون»[1].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص٣٠٥).

أخي في اللّٰه، أنت أعرفُ بنفسِـك من غيرك، واللّٰه أعلمُ بك من ذاتك! ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

سبحانه غفورٌ حليم!

افتحِ المصحفَ تَلْقَ الطمأنينةَ والفرج!

استرخِ، واستعِدْ أقوالك وأعمالك، وتذكّرْ خطأك وخَطَلكَ، وتأملْ سيرتك!

فهل أخطأت في عبادتك؟

وهل قصَّرْت في تقوى اللّٰه، فارتكبت مُحرمًا، وعملت مُشتبهًا؟

وهل ظلمتَ نفسَك بعمدٍ أو جهل؟

وهل تعَدَّيتَ على حقِّ غيرك وظلمته؟

افتحِ المصحفَ، واقرأ بتدبر وتمعن، تعلم أن اللّٰه عفوٌّ غفورٌ، وهو -سبحانه- شديدُ العقاب!

بـادرْ بالتوبة الآن، واندمْ على ما فـات، واعزمْ بأن لا تعود ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

إن الله يعلـم كل أعمالـك، وهـل خطـؤك بجهـلٍ أو بعمد! أسـرعْ وتُبْ وكفِّرْ عن أخطائك، وتصدّقْ، فهو التواب الرحيم.

افحص نفسـك مع القرآن كلَّ حيـن، وبادرْ بالتوبة ولا تُسـوِّف وتُؤجل ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨].

إذا غفلتَ وتناسيتَ فقد يُفاجئكَ الموتُ ولاتَ مندمٍ، ولا توبة، وإنما حسرةٌ وعذاب. نسألُ الله السلامة.

أنت وكلٌّ فردٍ هُو الأعلمُ بنفسه، وهو الأدري بخطئه؛ فقد يكون الخطأُ بسببِ الجهل، ولهؤلاء حُكمٌ عند الله،

اعرضْ حالتك تلك على القرآن، وافحصها بالقرآن تجد التشخيصَ الحقَّ ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٧].

تُبْ وتداركْ نفسَك، وأصلِحْ حالك.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٩].

احذرْ رفقةَ أهلِ الشهوات وصُحبتهم، إنهم يجرُّونك للسوء ويرغِّبونك في المنكر، ويُحَسِّنُونَ لكَ المعصيةَ ويدفعونك للانحدار الشديد ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء: ٢٧، ٢٨].

ربَّاهُ لك الحمد، أنتَ الحليمُ الغفور، وأنتَ الرحيمُ الودود، نستغفرُك ونتوبُ إليك ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١١٠].

تَكْفِيكَ أوزَارُكَ!

دينـنا الإســـلامُ كاملٌ، كمّلَهُ اللّٰهُ ورضيه ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

وبهذا الكمال اتَّضحت أُمور العبادة!

فكيف أنت وأداؤك لأوامـر اللّٰه واجتنابك زواجره! هل تعي أُمور العبادة؟

أم تتساهل وتحسبُك تفهمُ كُلَّ شيء؟

إن شـأن العلم الشـرعي عظيم، لكن يغفل البعض فيقولون بما لا يعلمون، ويحسـبون الأمر يسيرًا! تَكْفِيكَ أوزَارُكَ، عسى اللّٰه أن يعفو عني وعنكَ!

احــذر أن تقــول رأيًــا بتعجُّــلٍ، فيتأثــر بــه آخرون! فتتحمَّلَ أوزارَهُم، وتُحاسبُ بما لم تفعلهُ!

ارجع للقرآن، وافحصْ نفسَــك، وتســرَّعَك، سترى تحذير اللّه، اقرأ قوله تعالى: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

تريَّــثْ في القــول، تثبَّتْ في الروايــة، يكْفِيك وزرك وآثامك، فكيف تتحمل وزر غيرك؟

تتحمَّلُ خطأ غيرِكَ بسـببِ ضحالَةِ علمك الشرعي ونقصِــهِ، كن حذرًا في قولــك، لا تروِ ما تجهله، واحذرِ القول بالظن!

نســمعُ البعضَ يســتبيحُ المــالَ العام، ويستســهلُ التطفيفَ في الوقتِ وأداءِ الأعمال، ويسخرُ من مُلتزمي الأمانة، فيصفهم بالدروشة والغباء!

هذا تشريعٌ ووزرٌ تحملتَهُ، فكيف تدفعُ غيْرَك لعملِهِ؟!

أنــت بهذا تتحمــلُ وزرَ ذاك الذي دفعتَــهُ للتطفيف والتقصير في أداء الأمانة!

يقــول ﷺ فيمــا رواه الحســن: «**من دعــا إلى هُــدًى فاتُّبِــعَ عليه وعُمِلَ به فله مثــلَ أجورِ من اتَّبَعَه، ولا ينقصُ ذلك من أجورِهم شــيئًا، وأيُّما داعٍ دعا إلى ضلالــةٍ فاتُّبِعَ عليها وعُمِــلَ بها بعده فعليه مثلَ أوزارِ مــن عمِــلَ بها ممن اتبعه لا ينقصُ ذلــك من أوزارِهم شيئًا**. ثمَّ قرأ الحسنُ ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡ﴾»[1].

أخــي: يكفيــك ثِقْلُــكَ وزلَّاتــك، ستســأل عنها يوم القيامــة ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣].

يقول الشعراوي عند تفسيره قوله تعالى: «﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ﴾ النفسُ البشــرية لها أحوال متعددة؛ وإذا أسرفتْ على نفســها في تلك الجوانب، فهي قد تُسرف

(١) تفسير القرطبي (١٣/٣٣١). وقال: هذا مرسل، وهو معنى حديث أبي هريرة. خرجه مسلم. وانظر: الكشف والبيان: أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري (٧/٢٧٤)، روح المعاني، الآلوسي (٢٠/١٤٢).

في الجانب الأخلاقي، والجانب الاجتماعي، وغير ذلك، فتأخذ وِزْر كُلّ ما تفعل.

ويُوضِّح هنا الحق سبحانه أيضًا أن تلك النفس التي ترتكب الأوزار حين تُضِل نفسًا غيرها، فهي لا تتحمل من أوزار النفس التي أضلَّتها، إلا ما نتجَ عن الإضلال؛ فيقول: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، ذلك أن النفس التي تمَّ إضلالها قد ترتكب من الأوزار في مجالات أخرى ما لا يرتبط بعملية الإضلال، والحق -سبحانه- أعدل من أنْ يُحمِّلَ حتى المُضِلَّ أوزارًا لم يكُنْ هو السبب فيها؛ ولذلك قال الحق سبحانه هنا: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾؛ أي: أن المُضِلّ يحمل أوزار نفسه، وكذلك يحمل بعضًا من أوزار الذين أضلّهم؛ تلك الأوزار الناتجة عن الإضلال.

وفي هذا مُطْلق العدالة من الحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالذين تَمَّ إضلالهم يرتكبون نوعين من الأوزار والسيئات؛ أوزار وسيئات نتيجة الإضلال؛ وتلك يحملها معهم مَنْ أضلوهم.

أما الأوزار والسيئات التي ارتكبوها بأنفسهم دون أنْ يدفعهم لذلك مَنْ أضلُّوهم، فهم يتحمَّلون تَبِعاتها وحدهم، وبذلك يحمل كُلُّ إنسان أحمال الذنوب التي ارتكبها.

وقد حسم رسول اللّه ﷺ ذلك حين قال: والذي نفس محمد بيده، لا ينال أحدٌ منكم منها شيئًا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه، بعير له رُغاء، أو بقرة لها خُوَار، أو شاة تَيْعَر[١].

وقِسْ على ذلك من سرق في الطوب والأسمنت والحديد وخدع الناس»[٢].

عن عمرو بن عوف المزني: «مَن أحيا سنَّةً من سنَّتي، فعملَ بِها النّاسُ، كانَ لَهُ مثلُ أجرِ من عَمِلَ بِها، لا يَنقصُ مِن أجورِهِم شيئًا، ومن ابتدعَ بدعةً، فعمِلَ

---

(١) أصل الحديث عند البخاري (١٦/٥٠٠ رقم ٦٦٣٦)، ومسلم (١٤٦٣/٣ رقم ١٨٣٢).

(٢) تفسير الشعراوي، (١٣/٧٨٦٦-٧٨٦٧).

بِهـا، كانَ عليهِ أوزارُ مَن عملَ بِهـا، لا ينقُصُ مِن أوزارِ من عملَ بِها شيئًا»[1].

وبعدُ، إنه القرآن وسُنة رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيهما النجـاة، تَعَلَّقْ بهمـا وتدبَّرهما، واقـرأ ما قاله العلماء الربانيون الراسخون في العلم!

احـذرِ القـولَ برأيكَ، اقرأ قولـه تعالى ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

نسـمعُ بعض المُثقفين يقولون أقوالًا في شأن العلم الشـرعي، في حين نجدهم في علوم الطب والهندسة، يقولون: اتركوا الأمر لأهل الاختصاص!

كم من كلمةٍ نطقوا بها بغيرِ علمٍ، فتأثر بها سواهم، وعملوا بمحتواها، فتحمّلوا وزرها!

وكـم من مقالٍ تحذلـقَ بهِ كاتبُـه، وتفيقَه بمحتواه، وتحمّلَ إضلالَ قُرّائه!

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/٤٥ رقم ٢٦٧٧)، وحسنه.

وكـم من مقابلةٍ تلفزيونيةٍ عرضَ فيها مُدَّعٍ شُـبْهَةً، فشوّشَ ولبَّسَ، ودفعَ للغِوايةِ وشجَّع!

وكم من منتسبٍ للخير غرَّتهُ شهوةُ الدنيا وزهرتُها، فسارَ في ركابِ الغاوين، فتحملَ إضلالَ غيرِهِ، ونالَ أوزارهم!

وهناك آخرون يستسهلونَ أداءَ الحقوق، ويدعون غيرهم لمجاراتهم في ضعف الأمانة، فيتحملوا الأوزار والآثام!

أَتَذَكَّـرُ موقفًـا لزملاء لـي في العمـل، عندما كُنتُ معلمًا في بداية حياتي الوظيفية، رأوني أراجع واجبات طلابي في جلسةِ استراحةٍ بين حصتين، فأسرعوا نحوي وقهقهوا، وقالوا: زارك المشرفُ التربوي، وكتبَ تقريره، فكيف تتعبُ نفسك بالمراجعة والجدِّ؟ اتركْ هذه الجدِّية، وتعالَ معنا نقضي الوقت بالفكاهة والدعابة!

وقال أحدُهم: لا تكن مُغفّلًا، وتُجهدُ نفسَك!

نسـي أولئك الكرامَ الكاتبين، وغابتْ عنهم الرقابةُ الربانية، وتجاهلوا الوفاءَ بأمانةِ العملِ وعدمِ التطفيف!

لقد حذَّرَ القرآنُ من التعجلِ في القول، ووجَّه بردِّ الأمور للعلماء المُستنبطين، ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

وفي الأثر: «يذهبُ العلماءُ، ثمَّ يتخذُ الناسُ رؤوسًا جُهّالًا، يُسألونَ فيُفتونَ بغيرِ علمٍ، فيَضلُّونَ ويُضلُّون»(١).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ أُفْتِيَ بِغيرِ عِلم كان إثْمُهُ على مَنْ أفْتاهُ، ومَنْ أشارَ على أخيهِ بأمْرٍ يعلمُ أنَّ الرُّشْدَ في غيرِهِ فقدْ خانَهُ»(٢).



(١) جامع بيان العلم وفضله: ابن عبدالبر (٢/٩٨٨ رقم ١٨٨٤). وأصل هذا الأثر حديث متفق عليه، أخرجه البخاري (١٨/٢٨٨ رقم ١٠٠)، ومسلم (٤/٢٠٥٨ رقم ٢٦٧٣)، ولفظه: «إن الله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعًا، ولكن يقبض العلماء، فيرفع العلم معهم، ويُبقي في الناس رؤوسًا جهالًا، يفتونهم بغير علم، فيَضلِّونَ ويُضلِّون».

(٢) أخرجه أبو داود (٢/٣٤٥ رقم ٣٦٥٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٠٦٨).

الخبر اليقين

انظرْ لخارطةِ الكرةِ الأرضية، واستحضرْ ملايين البشر المُنتشرين في أرجائها؛ كُلهم يُوقنون بالموت؛ المسلم والكافر، اليهودي والنصراني، الملحد والبوذي، السِّيخي والكنفوشي. كُل الأجناس يرون أحبّتهم وقد صاروا جُثثًا، ويجزعون لفقدهم، ويقفون عاجزين عن ردِّ هذا القضاء الحتمي.

هذا الأمرُ واقعٌ لا محالة، كُلُّ البَشَرِ مُتيقّنون بوقوعه، لكنهُم مُختلفون لما بعد الموت، والقرآن فيه البيان والفحص الكاشف للحقيقة.

اقرأْ آخر سورة الواقعة: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ

غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٨٣-٩٦].

واقرأ سـورة التكاثر ترى الحقيقة والفحص النافي للجهالة. وعندما تُحْملُ على الأكتاف للقبور سترى عِلمَ اليقين، وعين اليقين حقيقةً، وسـتعرف أنك في زيارة للقبر، وكُل زائرٍ لا بد له من عودة، سـتعود لك الحياة، ويتم لك الحسـاب ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ١-٨].

وتدَبَّـرْ قولـه تعالـى في وصـف مشـهد الاحتضار: ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٧].

ها هو حبيبكم مُتمـدِّدٌ وأنتم حوله حضورٌ، ترقبون أنفاسه، تسمعون زفيره وشـهيقه، والملائكة يقتربون، ولكـن لا ترونهم. وقد يكـون هذا المُحتضـر في غُرفة العنايـة المُركزة، وحوله كِبارُ الأطبـاء، وبجواره أبناؤه وأحبابه وسُلطته وماله، ويودُّ بعضهم لو يفتديه بنفسه، وأنـى لـه ذلك. فـي تلك اللحظات يستلُّ ملـكُ الموت رُوحَهُ، وفورًا يرى الميّتُ ما كان غائبًا.

يـرى عُلماء اللغة العربية أن حروفُ العطف تختلف دلالتها، فتقول: جاء محمد وخالد وناصر؛ أي جاؤوا معًا في وقتٍ واحد، وتقـول: جاء محمد ثم خالد ثم ناصر، أي جـاؤوا على التراخي، الواحد تلو الآخر، وتقول: جاء محمد، فخالـد، فناصر؛ أي جاؤوا متتابعين فورًا، هذا بعد ذاك مُباشرة.

وفي هذه الآية جاء العطف بالفاء الفورية، فيُخبِرُنا الله -سُبحانه- أنه فور استلال الروح يرى الأموات أين هم صائرون ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ۝٩١

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾

[الواقعة: ٨٨-٩٤].

إن هذه الآيات تجلِيةٌ وكشفٌ لما بعد الموت، أصنافٌ ثلاثة، فور خروج الروح يرى الميتُ: أين هو من هؤلاء الأصناف؛ المقربون، أصحاب اليمين، المكذبون؟

أخي في الله، هل تنتظر حتى تموت لترى أين أنت؟ أم تفحص نفسك الآن الآن، وتعرف أين مكانك؟

تَحاورَ مُلحدٌ مع مُؤمن:

قال الملحد: يا هذا تراني استمتعُ بحياتي، أتلذّذ بدنياي، وما منعت نفسي عن هواها، ولا أجهدتُ ذاتي؛ فلا صلّيتُ، ولا صُمّتُ، ولا زكّيتُ، ولا حججتُ، ولا تعبّدتُ، ولا تنفلتُ. فما بعد الموت فناء، وأنت حَرَمّتَ نفسَكَ ملذّات الدنيا، وتعبّدتَ وتعِبّتَ، وبعد الموت لا شيء.

قال المؤمن: وإذا قبلتُ زعمك فنهايتُنا الموت، لكن ما بعد الموت، إن كان الأمر كما هو في مُعتقدي

ودينـــي، فلـــي الجنـــة الخالـــدة ولـــك العـــذاب الخالد، ولا ينفعك النـــدم ولا الألم، وإن كان الأمـــر كما زَعَمْتَ فقد انتهى كل شيء.

اقـــرأ كتاب الله، وافحصْ ذاتك، طالما فيك نَفَسٌ يتردد.

انظـــر أيـــن أنـــت الآن؟ البـــدارَ البـــدار، والســـرعةَ السرعة.

جاء في القرآن الكريم: ﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ و﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ و﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾، وتوضيـــح ذلك؛ أن علم اليقين، هو وصول الخبر يقينًا لا شـــك فيـــه؛ كأن يصِفَ لك شـــخصٌ ثِقةٌ حبّةَ الموز؛ بأنها صفراء مســـتطيلةٌ بانحناء، فهذا عِلمُ اليقيـــن. وعيـــنُ اليقين هو أن ترى حبّة الموز وتحسّـــها بيدك، فتجدها صفراء مســـتطيلةً بانحناءٍ كما وُصفَتْ لـــك. وحقُّ اليقين هو أن تـــأكل حبّة الموز، فتكون بذلك قد عرفت شـــكلها، وتيقّنـــت من حقيقتهـــا بأكلِك إياها ولمسها ورؤيتها.

وهنا في هذه الآية يُخبرنا اللّٰه -سبحانه- أنه فور خروج الروح يرى الميّتُ مكانه، ويعرف تلك المنزلة التي تكون بمرتبة حقّ اليقين: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٥-٩٦].

ورد في تفسير القرطبي عن قَتَادَة قال فِي هَذِهِ الْآيَةِ: «إِنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِتَارِكٍ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ حَتَّى يَقِفَهُ عَلَى الْيَقِينِ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ، فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَأَيْقَنَ فِي الدُّنْيَا فَنَفَعَهُ ذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَأَيْقَنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ لَا يَنْفَعُهُ الْيَقِينُ»[1].

ولهذا، أخي في اللّٰه، يُوجبُ عليك يقينُك بالقرآن وإيمانُك به أن تتدبّرَه وتفحصَ نفسك مع أوامره ونواهيه ومندوبه، فهل تفعل؟

ويقينُك بالقرآن يدفعُك أن تتبعَ ما كان رسول اللّٰه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يقوم به، فتأخذ بهديه، عن عروة عن

(١) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي (١٧/ ٢٣٤).

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوّذات وينفُثُ، فلما اشتدَّ وجعُه كُنتُ أقرأُ عليه، وأمسحُ بيده رجاءَ بركتها»[1].

(١) أخرجه البخاري، (١٢/٤٦٢ رقم ٥٠١٦)، ومسلم (٤/١٧٢٣ رقم ٢١٩٢).

خشوع القلب

قلتُ لِرِفَاقِ قُرْبَةٍ لا قرابَة: تعالوا نتذاكرُ ونفحصُ قُلوبَنا لنعرف هل هي سالكةٌ طريق الخشوع؟

يا رفاقي، تنبّهوا فقد نعى الله -سبحانه- على كثيرين غفلَةَ قلوبهم، وكيف هي قاسية ناسية ذِكْرَ الله وقُرآنَه الخالد ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

لقد تناول القرآنُ الكريم القلوبَ كثيرًا، ونبَّهَ لأهميتها، فَبِهَا يكون الإبصار الحق، وبها تتحقَّقُ الرؤيةُ المُؤثرة ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

نسأل اللّه نُورَ البصيرة.

قال أحدُ الرِفاق: وكيف أفحص ذاتي وأعرف خشوع قلبي؟

قُلتُ: يجب أن تعرف أولًا معنى الخشوع؟

قال ابن القيم: «الخُشُوعُ في أصْلِ اللُّغَةِ الِانْخِفاضُ، والذُّلُّ، والسُّكُونُ، قالَ تَعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨]؛ أيْ سَكَنَتْ، وذَلَّتْ، وخَضَعَتْ، ومِنهُ وصْفُ الأرْضِ بِالخُشُوعِ، وهو يُبْسُها، وانْخِفاضُها، وعَدَمُ ارْتِفاعِها بِالرَّيِّ والنَّباتِ، قالَ تَعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩].

والخُشُوعُ: قِيامُ القَلْبِ بَيْنَ يَدَيِ الرَّبِّ بِالخُضُوعِ والذُّلِّ»[1].

وقساوةَ القلب؛ داءٌ وبلاءٌ -نسألُ اللّهَ النجاة والسلامة منه- ورِقَّةُ القلبِ وخشوعه لِذِكرِ اللّه؛ نِعْمَةٌ وطُمأنينة: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ

(١) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، (١/٥٢١).

مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦].

«عن أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أنّ هذه الآية قُرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة، فبكوا بكاءً شديدًا، فنظر إليهم فقال: هكذا كُنَّا حتى قَسَتِ القلوب»[1].

إن هذه الآية الكريمة تَنْبيهٌ وإيقاظ؛ فالآن الآن، أدركْ نفسَكَ، والآن الآن، احْزِم أمْرَكَ أيها المؤمن، لا تغْتَرَّ بإيمانِك، وتحسبُ أنك خاشعُ القلبِ، فاللّه -سبحانه- يعيبُ الغافلين، ويحثُّهم على الخشوع والإنابة! فهل يا ترى نقرأُ هذه الآية ونستيقظ من غفلتنا؟

وهل نستحضر فحص قُلوبنا ونتعرف أين هي؟ أغافلةٌ لاهية، أم هي قاسيةٌ لاعِبَة، أم يا تُرى هي ناعِمَةٌ ساهية، أو أنها ناسية مؤجلة؟ وكيف نعملُ لتلين قلوبنا؟

يا رِفاقي: افحصوا ذواتكم، وتعرَّفوا من القرآن؛ أأنتم تخشَعُونَ لذكر اللّه أم مُسَوِّفُون؟

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (٤/٤٧٧).

احرِصوا أن يكون أصدقاؤكم معشر قُرْبَةٍ تآلفت قُلوبهم في اللّه، وخشعت قُلوبهم للّه، فاحرصوا عليهم، عاشروهم، اقتربوا منهم، فإنهم مُجتمعٌ يُذكِّرُونكم باللّه، ويهدونكم للأعمال الصالحة!

قرأت في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي من رسالة عمرِ بن الخطاب لعلي بن أبي طالب قال فيها: «ولعمري إنّك أقربُ منه -يقصد أبا بكر رضي اللّه عنهم أجمعين- إلى رسول اللّه ﷺ قرابَة، ولكنه أقرب منك قُرْبةً، والقرابَةُ لحمٌ ودم، والقُربَةُ روحٌ ونَفَس؛ وهذا فرقٌ عرفه المؤمنون؛ ولذلك صاروا إليه أجمعون»[1].

قولٌ في الصميم، فكم من قُربَةٍ وعلاقَةٍ، ترجِحُ بقرابات لحمٍ ودمٍ، فاحفظوا قُرْبَة أُولئك الأحبّة؛ فهم نادرون، ندرةَ بَيْضِ الأَنُوق[2].

---

(١) المقابسات، أبو حيان التوحيدي، تحقيق حسن السندوبي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م، ص٣٤.

(٢) في المثل أعزُّ من بيضِ الأَنُوق. والأَنُوق: العُقابُ، وقيل طائرٌ أسْوَدُ يشبه

اقرؤوا سِيَرَ العلماء الربّانيين، وتَعَرَّفُوا كيف عاشوا حياتهم؟

ذاك الإمامُ الزاهدُ مالك بن دينار، من كبار التابعين تُوفي عام ١٣١هـ، اشتهر بخدمة القرآن الكريم. «حدّث جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول: «يا حملة القــرآن، ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ فإن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض. فإن اللّه ينزّل الغيث من السماء إلى الأرض، فيصيب الحسَّ، فتكون فيه الحبّة فلا يمنعها نتَنُ موضعها من أن تهتزَّ وتخضرَّ وتحسُــن، فيا حملة القرآن: ماذا زرع القرآن في قلوبكم؟ أين أصحاب سورة؟ أين أصحاب ســورتين؟ ماذا عملتم فيهما؟»[1].

وكان للإمام مالك قدرةٌ عجيبةٌ في التأثير وإيصال الموعظة إلــى القلوب بحاله وبقلمه، «فعن السّــرّي بن

الرَّخمة، أو أسْوَدُ أصْلَعُ الرأسِ أصْفَرُ المِنْقارِ، و(هو أعَزُّ من بَيْضِ الأَنُوقِ)؛ لأنها تُحْرِزُهُ فلا يَكادُ يُظْفَرُ به؛ لأَنَّ أوكارَها في القُلَلِ الصَّعْبَةِ. لسان العرب/ مادة أنق.

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني، (٢/٣٥٨).

مغلّس السّقطي: أن لصًّا دخل بيت مالك بن دينار، فما وجد شيئًا، فجاء ليخرج فناداه مالك: سلام عليكم، فقال: وعليك السلام، قال: ما حصل لكم شيءٌ من الدنيا، فترغب في شيءٍ من الآخرة؟ قال: نعم، قال: توضأ من هذا المركن، وصلِّ ركعتين، ففعل، ثم قال: يا سيدي أجلس إلى الصبح، قال: فلما خرج مالك إلى المسجد، قال أصحابه: مَن هذا معك؟ قال: جاء يسرقنا فسرقناه»[1].

وذاكم الفُضيل بن عياض تُوفي عام ١٨٧هـ، سمع هذه الآية بقلبه فهزّته وغيّرت حياته: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

قال القرطبي في تفسيره: «وَأَمَّا الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ فَكَانَ سَبَبُ تَوْبَتِهِ أَنَّهُ عَشِقَ جَارِيَةً فَوَاعَدَتْهُ لَيْلًا،

(١) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي، (١٣٨/٨).

فَبَيْنَمَــا هُوَ يَرْتَقِي الْجُــدْرَانَ إِلَيْهَا إِذْ سَــمِعَ قَارِئًا يَقْرَأُ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾، فَرَجَعَ الْقَهْقَرَى وَهُوَ يَقُولُ: بَلَى وَاللهِ قَدْ آنَ، فَآوَاهُ اللَّيْلُ إِلَى خَرِبَةٍ، وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ السَّــابِلَةِ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ لِبَعْضٍ: إِنَّ فُضَيْلًا يَقْطَعُ الطَّرِيقَ. فَقَالَ الْفُضَيْلُ: أَوَّاهُ! أَرَانِي بِاللَّيْلِ أَسْــعَى فِــي مَعَاصِي اللهِ، قَوْمٌ مِنَ الْمُسْــلِمِينَ يَخَافُونَنِي! اللَّهُمَّ إِنِّــي قَدْ تُبْــتُ إِلَيْــكَ، وَجَعَلْتُ تَوْبَتِــي إِلَيْكَ جِــوَارَ بَيْتِكَ الْحَرَامِ»[1].

يقول الشيخ ابن سعدي عند تفسيره لهذه الآية:

«أي: ألــم يجــيء الوقت الــذي تلين به قلوبهم وتخشــع لذكر الله، الذي هو القــرآن، وتنقاد لأوامره وزواجره، وما نزل من الحق الذي جاء به محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا فيــه الحثّ على الاجتهاد على خشــوع القلب لله تعالى، ولِمــا أنزله من الكتاب والحكمــة، وأن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت، ويحاسبوا أنفســهم على ذلــك، ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، (١٧/٢٥١).

﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ﴾؛ أي: ولا يكونوا كالذين أنزل اللّٰه عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب والانقياد التام، ثم لم يدوموا عليه، ولا ثبَتُوا، بل طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال إيقانهم، ﴿فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾. فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تُذَكَّرَ بما أنزل لها اللّٰه، وتُناطق بالحكمة، ولا ينبغي الغفلة عن ذلك، فإن ذلك سببٌ لقسوة القلب وجمود العين»[1].

وقال النابلسي في تفسيره: «اللّٰه جَلَّجَلَالُهُ يُعاتبُ هذا الإنسان المُقصّر الذي لم يخشع قلبُه لِذكر اللّٰه سبحانه، ولم يستجب لأمر اللّٰه تعالى، ولم يلتزِم منهج اللّٰه عَزَّوَجَلَّ، فيا أيّها الإنسان، إلى متى أنت غافل؟ وإلى متى أنت ساهٍ؟ وإلى متى أنت مُقصر؟ وإلى متى أنت مغلوبٌ على أمرك؟ ماذا بعد الإهمال؟ ألَمْ يحِن الوقت المُناسب للتوبة والإيمان؟ ما لهذا الإنسان يقرأُ القرآن فلا يتأثر؟ وما له يقرؤه فلا يقشعر جلده؟ وقد قال

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص٨٤٠).

تعالى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]»[١].

الجبــالُ بصلابتها وقســوتها لو نــزل عليها القرآن لاهتزّتْ وذلّتْ وخشعتْ، وابنُ آدمٍ ساهٍ سادرٌ مسكين!

إنَّ هذه الآيــة ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ تدعونا إلى المسارعة بالخشوع لذكر الله، وينبغي لمن قرأها أن تنهمرَ عيناهُ بالدموع، ويَوجَلَ قلبُه بالخشوع، ويتذلّل للّه، ويقول: بلى يا ربّ، بلى؛ آن الأوان، آن الأوان!

---

(١) تفسير النابلسي، سورة الحديد، آية: ١٦.

خِصالٌ احذرها

تأمَّـل القـرآن الكريم تجـدْ فيه فيضًا من سـجايا الخير والبناء المجتمعي، وافحص نفسك: أين أنت من تلك القيم الحميدة، التي أمر القرآن الكريم بها، وتلك الخصال البغيضة، التي نهى القرآن الكريم عنها!

افتـح القـرآن، وانظـر لتلك السـجايا التـي تهدم المجتمعات، وتأخذها للتخلف والفَناء، فاحذرها!

لقـد جاء في كتـاب اللّه الكامـل التعريف بخصال نصَّ اللّه -سـبحانه- أنها بغيضـة، وأنه لا يُحبها، فهل نعرف تلك السجايا، التي لا يُحبّها اللّه؟

اقرأ القرآن بتدبّر، وتأمّل تعرِفُ ذلك.

مـن تلك السـجايا التي لا يُحبّها اللّٰه الفسـاد، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

نصّـت هـذه الآيـة أن اللّٰه لا يُحبّ الفسـاد؛ فذاك الذي منحـه اللّٰه المـال، أو سُـلْطَة الحُكـم، أو الجـاه والحظوةٍ، إذا تعدَّى، وجار، وأفسـد، خرج من قاموس الحـب الإلهي؛ لأنـه خالف الوصفـة الربّانية والسـنن الكونية، التي أرشـده اللّٰه للعمل بها، فأفسد علاقته مع خالقه، وأصبح مفسدًا في الأرض التي سخرها اللّٰه له، وغدا إنسانًا غير صالح في نظر اللّٰه، وغير محبوب.

مما ذكـره الشـيخ ابـن عثيمين عند تفسـيره لهذه الآية، قال: «اللّٰه لا يحب الفساد، وإذا كان لا يحب هذا الفعـل، فإنه لا يحب من اتصف بـه؛ ولهذا جاء في آية أخـرى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائـدة: ٦٤]، واللّٰه لا يحـب الفسـاد، ولا يحب المفسـدين. فالفسـاد نفسه مكروه إلى اللّٰه، والمفسـدون أيضًا مكروهـون إليه لا يحبهم، وإذا علَّـقَ انتفاءَ المحبةِ على وصفٍ، فقد يؤخذ منه أن

المحبة تثبت فيما يقابله من الوصف، فإذا كان لا يحب الفســاد، فهو يحب الصلاح، وكذلك المصلحون، حتى قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]. فالله تعالى يحب المصلِح، ويحب الصلاح أيضًا»[١].

ومـن الأعمــال التي ذمَّهـا القرآن وأمـر باجتنابها الرِّبا -والعياذُ بالله- فـأكلُ المال الحرام منكرٌ يمقتُه اللهُ ولا يحبُّه، والممارِسُ له، المُسـتحلُّ له، المخالفُ نَهْـي اللهِ عنــه كافـرٌ آثِـم. فحـذارِ منه، فـاللهُ يمقتُ الرِّبـا، ويُحـبُّ الصدقـات. فكُـنْ عبـدَالله المُجتنِـبَ الرِّبـا، المُتصـدِّقَ تكن محبوبًـا لله ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

يقـول الشـيخ ابـن سـعدي: «﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي: يذهبــه ويذهب بركته ذاتًا ووصفًا، فيكون سـببًا لوقوع الآفـات فيه، ونزع البركة عنــه، وإن أنفق منه لم يؤجر

---

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.

عليــه، بل يكــون زادًا لــه إلى النــار ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي: ينمِّيهــا، وينزل البركــة في المال الــذي أخرجت منه، وينمّــي أجــر صاحبهــا؛ وهــذا لأن الجزاء من جنــس العمــل، فــإن المرابي قد ظلم الناسَ، وأخــذَ أموالَهم على وجهٍ غير شرعي، فجوزي بذهاب ماله، والمحسِن إليهــم بأنواع الإحســان ربُّه أكرمُ منه، فيحســنُ عليه، كما أحسن على عباده ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ لنِعَم اللّه، لا يــؤدي ما أوجب عليــه من الصدقات، ولا يســلمُ منه ومن شرِّه عبادُ اللّه ﴿أَثِيمٍ﴾ أي: قد فعل ما هو سببٌ لإثمه وعقوبته»[1].

وصفــةُ الكِبْر والتعالي على الخَلْقِ والفخر، مكروهةٌ عنــد اللّه، فلا تغتــر بمالــك وســلطانك وجاهك، فقد أخرجَ الكبرُ إبليسَ من الجنَّة، واللّهُ لا يحبُّ المستكبرين ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص١١٧).

واحذر التعالي والمرح الزائد والفخر والغرور، فاللّه لا يحــبُّ المختال الفخــور، فما أعطــاك اللّه من ميزةٍ وتميّز؛ مــالٌ أو علــمٌ أو عقلٌ، فلا تغتر بــذاك العطاء، فاللّه قادرٌ على سـلْبِه. كن حــذرًا، ولا تفرح، اعتدلْ في مشــيكَ وقصْدِكَ يحبُّك اللّه ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

قال الشيخ ابـن سـعدي: «﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي: لا تُمِلْهُ وتعبس بوجهك الناس؛ تكبُّرًا عليهم، وتعاظمًا.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: بطرًا؛ فخرًا بالنعم، ناسيًا المُنعم، مُعجبًا بنفسك.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ فــي نفســه وهيئتــه وتعاظمــه ﴿فَخُورٍ﴾ بقوله»[1].

وفي آية الإحسان يردُ ذمَّ المختال الفخور ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص٦٤٩).

وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦].

هـذه الآية الكريمـة تأمرُك عبـد الله، بالتذلُّل لله، وإفـراده بالعبـادة، وبذل الإحسـان للوالديـن، ولذوي القربـى، والجـار، وابن السـبيل المنقطعة بـه الحال، والترفّـقِ بالخدَم والإماء، وجميـع ما تحت يدك، حتى البهائم امنحها عطفك، التَمِسْ رحمةَ الله، وتذلَّلْ لله، ولا تتكبـر علـى أولئك الخلـق، فاللهُ لا يحـبُّ المختال الفخور المتعالي على أولئك المُحتاجين.

قال الشـيخ ابن سـعدي عند تفسـيره لهذه الآية:
«من قام بهذه المأمورات فهو الخاضع لربِّه، المتواضعُ لعبـاد الله، المُنقادُ لأمر الله وشـرعه، الذي يسـتحقُّ الثوابَ الجزيلَ والثناءَ الجميل، ومن لم يقُمْ بذلك فإنّه عبدٌ معرِضٌ عن ربِّه، غيـرُ منقادٍ لأوامره، ولا متواضعٌ للخلـق، بل هو متكبـرٌ على عبـاد الله، معجَبٌ بنفسـه فخورٌ بقوله، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾ أي: معجبًا بنفسـه متكبرًا على الخلـق، ﴿فَخُورًا﴾ يثني على

نفســه، ويمدحها علــى وجه، الفخر والبطــر على عباد الله، فهؤلاء ما بهم مــن الاختيال والفخر، يمنعهم من القيام بالحقوق»[1].

وخَصْلَةُ الخيانــة -والعياذُ بالله- والغدر والخديعة لا يحبها الله أيضًا، فاحذر ذاك السلوك ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧].

قــال الشــيخ ابــن عثيميــن: «من فوائد هــذه الآية الكريمــة: التحذيرُ مــن الخيانة؛ لكــون الله تعالى نفى محبّتــه للخائــن الأثيــم، والترغيــبُ فــي أداء الأمانة؛ لأنــه إذا وقــع الذم على وصفٍ لــزم أن يكون المدح في ضدِّه»[2].

وحتى مــع عدوّك احــذرِ الخيانــة، وأوفِ بعهودك، فالله لا يحبُّ الخيانة ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص١٧٨).

(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة النساء، آية ١٠٧.

دينٌ عظيـمٌ حتى مع الأعداء يحفـظُ العهدَ، ويمنعُ خيانتهـم وخديعتهم، فكيف بمن يخونُ ويخدعُ ويتحايلُ ويتأوَّل! ربَّاهُ، نسألُك الثباتَ ونُورَ البصيرة.

والتشهير ونشر قالة السوء لا يحبهما الله فاحذرهما، وإذا هممت بالحديث عن خبر سيئ حول هذا الشخص أو ذاك فأمسك لسانك، فالله لا يحب التشهير، بل يُحب العفـو ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا أَوۡ تُخۡفُوهُ أَوۡ تَعۡفُواْ عَن سُوٓءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٨، ١٤٩].

مما قال الشـعراوي في تفسـيره لهـذه الآية: «لقد عرفنا أن الحق لا يسمح لك بالجهر بالسوء من القول، إلا إذا كنـت مظلومًـا. وهـذا يعني أن المسـألة تحتمل الجهـر وتحتمـل الإخفاء، فقـال: ﴿إِن تُبۡدُواْ خَيۡرًا﴾ أي إن تظهر الخيـر، أو تخفي ذلك، أو تعفو عن السـوء. وكل هذه الأمور من ظاهر وخفي من الأغيار البشـرية، لكن شـيئًا لا يخفى على الله. ولا يمكـن أن يكون للعفو مزية إيمانيـة إلا إذا كان مصحوبًا بقدرة، فـإن كان عاجزًا

لما قال: عفوت. وسبحانه يعفو مع القدرة. فإن أردت أن تعفو فلتتخلق بأخلاق منهج الله، فيكون لك العفو مع القدرة. ولنا أن نعلم أن الحق لا يريد منا أن نستخزي أو نستذل، ولكن يريد منا أن نكون قادرين، وما دمنا قادرين فالعفو يكون عن قدرة، وهذه هي المزية الإيمانية؛ لأن عفو العاجز لا يعتبر عفوًا»[1].

ومن السجايا التي لا يُحبّها الله، التعدي والتشدد بتحريم ما أحلَّ الله، فذاك لا يجوز، فديننا دين السماحة واليُسر، فإياك والتعدي والفتوى أو القول أو النقل بتحريم ما أحل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

قال الشيخ ابن سعدي: «يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ من المطاعم والمشارب، فإنها نِعَمٌ أنعمَ الله بها عليكم، فاحمدوه إذ أحلّها لكم،

(١) تفسير الشعراوي، (٥/٢٧٦٢-٢٧٦٣).

واشكروه ولا تردّوا نعمته بكفرها أو عدم قبولها، أو اعتقاد تحريمها، فتجمعون بذلك بين القول على الله الكذب، وكفر النعمة، واعتقاد الحلال الطيب حرامًا خبيثًا، فإن هذا من الاعتداء. والله قد نهى عن الاعتداء، فقال: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾، بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم على ذلك»[1].

وفي آية أُخرى ورد النهي عن التعدي في الدعاء، ففي دعائك لله لا تجورُ وتتعدى، فالله أعلمُ بك منك، كن مترفقًا متضرعًا متخفيًا في دعائك، وليكن دعاؤك بحق، فالله لا يحبُّ التعدي في الدعاء ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

قال الشيخ ابن سعدي: «الدعاء يدخل فيه دعاء المسألة، ودعاء العبادة، فأمر بدعائه ﴿تَضَرُّعٗا﴾ أي: إلحاحًا في المسألة، ودُءُوبًا في العبادة، ﴿وَخُفۡيَةً﴾ أي: لا جهرًا وعلانية، يخاف منه الرياء، بل خفية وإخلاصًا لله تعالى.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص٢٤٢).

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ أي: المتجاوزين للحد في كل الأمور. ومن الاعتداء كون العبد يسأل الله مسائل لا تصلح له، أو يتنطع في السؤال، أو يبالغ في رفع صوته بالدعاء، فكل هذا داخل في الاعتداء المنهي عنه.

عن سعد بن أبي وقاص: «أَنَّ سعدًا سمِع ابنًا له يدعو، وهو يقولُ: اللهمَّ، إنِّي أسأَلُك الجنَّةَ ونعيمَها وإستبرقَها. ونحوًا من هذا، وأعوذُ بك من النّارِ وسلاسلِها وأغلالِها. فقال: لقد سألتَ اللّٰهَ خيرًا كثيرًا، وتعوَّذتَ باللّٰهِ من شرٍّ كثيرٍ، وإنِّي سمِعتُ رسولَ اللّٰهِ ﷺ يقولُ: إنَّه سيكونُ قومٌ يعتدون في الدُّعاءِ. وقرأ هذه الآيةَ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾، وإنَّ بحسبِك أن تقولَ: اللهمَّ إنِّي أسألُك الجنَّةَ وما قرَّب إليها من قولٍ أو عملٍ، وأعوذُ بك من النّارِ، وما قرَّب إليها من قولٍ أو عملٍ»[1].

(١) عمدة التفسير (٢/٣٠). أخرجه الإمام أحمد (٣/٧٩-٨٠ رقم ١٤٨٣)، وحسنه محققو مسند الإمام أحمد.

والإسـرافُ فـي الأكل والتخمـةُ والتبذيـرُ سـجيةٌ لا يحبّها اللّه، فاحذرِ السـرفَ والعبثَ المالي؛ اشـربْ باعتـدال، وكُلْ باعتـدال، كُـن وسـطًا لا تسـرفْ فـي ولائمك، واتركِ الشهرة والقيل والقال، فرِضا اللّهِ أولًا، إن اللّه لا يحـبُّ المسـرفين: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

قال الشـيخ ابن سـعدي: «﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ أي: مما رزقكم اللّه من الطيبات ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ في ذلك، والإسرافُ إمـا أن يكـون بالزيادة علـى القدر الكافي والشـره في المأكولات الذي يضر بالجسـم، وإمـا أن يكون بزيادة الترفّـه والتنوق في المآكل والمشـارب واللباس، وإما بتجاوز الحلال إلى الحرام.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ فإن السرف يبغضه اللّه، ويضر بدن الإنسـان ومعيشـته، حتى إنه ربمـا أدت به الحال إلـى أن يعجز عما يجـب عليه من النفقـات، ففي هذه

الآية الكريمة الأمر بتناول الأكل والشرب، والنهي عن تركهما، وعن الإسراف فيهما»[1].

روى الزمخشري في تفسيره: «وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك خصلتان: سَرَفٌ ومَخيلة[2]، ويحكى أنّ الرشيد كان له طبيبٌ نصراني حاذق، فقال لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء. والعلم علمان، علم الأبدان وعلم الأديان[3]، فقال له: قد جمع اللّه الطب كله في نصف آية من كتابه. قال: وما هي؟ قال: قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾. فقال النصراني: ولا يؤثر من رسولكم شيءٌ في الطب؟ فقال: قد جمع رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الطبَّ في ألفاظ يسيرة. قال: وما هي؟ قال قوله «المعدة بيت الداء، والحمية رأس

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص٢٨٧).
(٢) أخرجه البخاري تعليقًا (١٤/٤٤٧).
(٣) ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة (ص٢٨٤).

الدواء[1]، وأعطِ كل بدنٍ ما عوّدته»[2]. فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبًّا»[3].

وفي آية أخرى وفي سياق إنعام اللّه على خلقه بثمار الأرض وخيراتها، نهى اللّه عن الإسراف، فقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

ذكر عدد من المفسرين أن النهي عن الإسراف حتى في الصدقة؛ بحيث لا يُبقي لعياله شيئًا.

قال مكّي بن أبي طالب في تفسيره: «روي أن قوله: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ نزل في ثابت بن قيس لما صرم نخله، خلى

(١) قال السخاوي في المقاصد الحسنة (رقم١٠٣٥): لا يصح رفعه إلى النبي، بل هو من كلام الحارث بن كلدة.

(٢) قال العجلوني في كشف الخفاء (٢/٢١٤): لأن في ثبوت هذا الحديث كلامًا للمحدثين.

(٣) الكشاف: الزمخشري، (٢/٩٦-٩٧).

بين الناس وبينه كله، فلم يبق لأهله شيئًا منه، فنزل ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾؛ أي: في العطاء، فتبقوا لا شيء لكم»[1].

وقال الشيخ ابن سعدي عند تفسيره لهذه الآية:

«﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ﴾ يعمُّ النهي عن الإسراف في الأكل، وهو مجاوزة الحدِّ والعادة، وأن يأكل صاحب الزرع أكلًا يضرّ بالزكاة، والإسراف في إخراج حق الزرع؛ بحيث يخرج فوق الواجب عليه، ويضرّ نفسه أو عائلته أو غرماءه، فكل هذا من الإسراف الذي نهى اللّٰه عنه، الذي لا يحبّه اللّٰه، بل يبغضه ويمقت عليه. وفي هذه الآية دليل على وجوب الزكاة في الثمار، وأنه لا حول لها، بل حولها حصادها في الزروع، وجذاذ النخيل، وأنه لا تتكرر فها الزكاة، لو مكثت عند العبد أحوالًا كثيرة، إذا كانت لغير التجارة؛ لأن اللّٰه لم يأمر بالإخراج منه إلا وقت حصاده. وأنه لو أصابها آفة قبل ذلك بغير تفريط من صاحب الزرع والثمر، أنه

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه: القيسي القيرواني الأندلسي، (٣/ ٢٢١٣).

لا يضمنها، وأنه يجوز الأكل من النخل والزرع قبل إخراج الزكاة منه، وأنه لا يحسب ذلك من الزكاة، بل يزكي المال الذي يبقى بعده. وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يبعث خارصًا يخرص للناس ثمارهم، ويأمره أن يدع لأهلها الثلث أو الربع، بحسب ما يعتريها من الأكل وغيره، من أهلها، وغيرهم»(١).

والعفو سجية الكرام، فكُنْ كريمًا مِفضالًا، اعفُ واصفح وتجاوَز، وإياك والانتقام والظلم والبغي، فالله لا يحب الظالمين ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

قال الشيخ ابن سعدي في تفسيره لهذه الآية: «ذكر الله في هذه الآية، مراتب العقوبات، وأنها على ثلاث مراتب: عدل، وفضل، وظلم. فمرتبة العدل، جزاء السيئة بسيئة مثلها، لا زيادة ولا نقص، فالنفس بالنفس، وكل جارحة بالجارحة المماثلة لها، والمال يضمن بمثله.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص٢٧٦).

ومرتبة الفضل: العفو والإصلاح عن المسيء، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يجزيه أجرًا عظيمًا، وثوابًا كثيرًا، وشرط الله في العفو الإصلاح فيه؛ ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته، فإنه في هذه الحال لا يكون مأمورًا به.

وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به، فكما يحب أن يعفو الله عنه، فَلْيَعْفُ عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل.

وأما مرتبة الظلم فقد ذكرها بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين يجنون على غيرهم ابتداء، أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلم»[١].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص٧٦٠).

هذا وبعـدُ، فإنها سـجايا بيَّنَها سـبحانه في كتابه الكريـم تتبَعْها واعرِفهـا وافحص نفسـك معها، وأين أنتَ منها!

جعلنـا اللّه مِمَّـنْ أنـارَ بصائرَهم، فعرفـوا وعلموا واستناروا، وكتبنا اللّه ممن يحبُّهم ويحبّونه!



ذَوو القربى

كيف أنت وقراباتك؟ هل تَصِلُهُم ويَصِلُونَك؟

في القرآن الرشاد والهداية، والخير والصلاح والإصلاح. جعل اللهُ لذوي القربى حقًّا في مالك، وقَدَّمَهُم في العطاء والصدقة ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦].

قال ابن كثير في تفسيره: «لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى بِرَّ الْوَالِدَيْنِ، عَطَفَ بِذِكْرِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْقَرَابَةِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ: «**أُمَّكَ وَأَبَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ**» وَفِي رِوَايَةٍ: «**ثُمَّ الْأَقْرَبَ فَالْأَقْرَبَ**»[1].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣٣/ ٢٣٠ رقم ٢٠٠٢٨)، وصححه محققو المسند، والترمذي (٤/ ٣٠٩ رقم ١٨٩٧)، وحسنه، وكذا حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢١٨ رقم ٨٩٥).

وَفِي الْحَدِيثِ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ رِزْقُهُ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَجَلِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»(١)(٢).

ويقول ابن سعدي في تفسيره: «﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ من البرِّ والإكرام الواجب والمَسْنُون. وذلك الحق يتفاوت بتفاوت الأحوال، والأقارب والحاجة وعدمها والأزمنة»(٣).

ويتكرر في القرآن الكريم حقّ ذوي القربى ومنحهم الأولية في النفقة والرعاية، وأن في الصدقة عليهم خيرًا للمُنفق، ويصف -سبحانه- الباذلين بالفلاح، وطُوبى لمن وَسَمَهُ ربه بالفلاح -كتبنا الله منهم- فيقول: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨].

هذا وإن الشيطان حريصٌ على الهمز والنَّزْغِ بين

---

(١) أخرجه البخاري (١٥/١٥٤ رقم ٥٩٨٦)، ومسلم (٤/١٩٨٢ رقم ٢٥٥٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير (٥/٦٨).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص٤٥٦).

القرابــات ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

اجعلِ القرآن حِـرْزَكَ وحصْنَكَ، واقرأ فيه قِصَصِ القـدوات، وآيات التنبيه والتوجيه، واسـتعذْ باللّٰه وردّدْ بقلبـك وعقلـك قولـه تعالــى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧].

افحصْ نفسك، وحدّد مقدار المسافة الآمنة بينك وبيــن قراباتك! صِلــةً وتواصــلًا ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾ [الأنفال: ٧٥].

﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾ [الأحزاب: ٦].

وحيــن نتتبــع تكويــن القرابــات نعـرفُ أنهــا تبدأ بالأســرة، قال تعالــى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]

لقد بثَّ سبحانه الأنفسَ كلها من نفسٍ واحدة؛ لتنشأ الأسر، وتتكون البيوت، وتتفرع القرابات، وتنشأ الأرحام، وتتنوع المُصاهرات.

لقد جَبَلَ اللهُ -سبحانه- الإنسان على محبّةِ البنين، ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤]. فما أن يَفِدَ الصغيرُ إلا ووالداه يشفقان عليه، وينمو الطفل وينمو الحبُّ مع نموه، ثم يعقبُهُ الأخ والأخت، ويعمُرُ البيت بالإخوة والأخوات، وينظر الوالدان للأولاد نظرة واحدة؛ يرحمون الصغير، ويُشفقون على المريض، ويدعون للمسافر؛ لهم في القلوب مودّة، وفي النفوس عاطفة. يَحنُّونَ عليهم جميعًا أكثر من حنين الخلوج على حوارها، ويستحضرون صورهم في خيالهم؛ فهذا حبيب، وذاك رقيق، وتلك ودُودَة، وأختها لَعُوبَة.

ما أحلى لثغة صغيرهم، وأبهى طَلَّةَ كبيرهم، سبحان منْ أوجد العواطف ومزج المحبة بكُرَيَات الدم الحمراء والبيضاء، حتى إن الوالدين يُؤثران شبعَ أولادهم على شبعهم، ورَيّهم على ريّهم، بل إن الأمَّ ترقبُ قسوةَ الأب إن قسى وربى، فتُكفكفُ خشونته وتُرقق تصَلُّبَه:

فقسا ليزدجروا ومنْ يكُ راحمًا

فليقسُ أحيانًا على من يرحمُ![1]

وتمضي الأيام وبيتُ الأبوّة والأمومة في محبّة ووئام، ولكن الشيطان يرقب مودة ذوي القُربى، ويَسُوؤهُ تواصلهم؛ فيُوَسْوَسُ لهذا، ويخنسُ لذاك، ويتمكن من بعضهم، فينزغُ بينهم، كما نزغ بين أبناء نبي اللّٰه يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وأخيهم يوسف.

إنه الشيطان ما ترك الأنبياء، فكيف بنا نحن البشر! إنها بيوتٌ كانت عامرةً بالحب والودِّ، ثم فرخ الشيطان وبيّض بالكراهية بينهم والقطيعة، والعداوة والبغضاء.

(١) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (٣٧٢/٣)، ونهاية الأرب في فنون الأدب: النويري (٢٩١/٧).

ولهذا اعتصم بالقرآن، وافحص نفسكَ مع القرآن، واحـذر الشـيطان أن ينزَغ بك؟ وأن يجنـحَ بعواطفك؟ وهـل زين لك كُرهَ أخيك وحَشَـاكَ حُنْقـة وغيرة عليه؟ وهل باعدك عن عمـك وعمتك، وخالك وخالتك؟ وهل صَـدَّكَ عن ابـن عمك وابـن خالك؟ وهـل باض وفرخ بينك وسائر قرابتك؟

اعلم أن الشـيطان كلما قَرُبَت القرابةُ زادَ نشـاطُهُ تفريقًـا، وعظُمَـتْ وسوسـتُهُ كراهَـةً وغيظًـا، يـزرع الشحناء، ويدفع للانتقام، هو يرانا، ونحن لا نراه ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧] احـذره وتعـوذ بالله منه.

تناسى زلَّةَ الأخ، وهفوة الأخت، وإذا جاء نمَّامٌ بنقل كلمةِ سوءٍ فازجره، وإن نقلَ واشٍ عبارة لَوْمٍ فانهره!

كم فرّق إبليس بين إخوة! وكم باعد أبناءَ عن أبيهم! وكم قطعَ رحمًا موصلة!

احـذرْ أن يتلاعـب بك إبليسـ، فإنه يجعـل القبيح حسـنًا، والخير ضعفًـا، فاحذره، وافحص نفسـك مع القرآن، وتدبّر كلام الله، فقصّة يوسف مع إخوته خير درس للمتقاطعين.

صبَرَ يوسفُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على كيد إخوته، وتحمل أذيتهم، ولبـث في السـجن بضع سـنين، فأثابـه الله وكانت له العاقبة الحسنة!

وحينما فاز يوسف وصار له السلطان، وجاءه إخوته منكسـرين وهم لا يعرفونه، ينشدون رفده وعطاءه، رقَّ لهم وعطف، ونسـي وتناسـى هفوتهم، واعتذر لهم عن خطئهـم ﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف: ٨٩].

قال أبوبكر فخر الدين الرازي في تفسيره: «وأمّا قَوْلُهُ: ﴿إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ فَهو يَجْـرِي مَجْرى العُذْرِ، كَأَنَّهُ قـالَ: أَنْتُمْ إِنَّما أَقْدَمْتُمْ عَلـى ذَلِكَ الفِعْلِ القَبِيحِ المُنْكَرِ حـالَ ما كُنْتُمْ في جَهالَـةِ الصِّبا أَوْ في جَهالَـةِ الغُرُورِ، يَعْنِي والآنَ لَسْـتُمْ كَذَلِـكَ، ونَظِيرُهُ ما يُقالُ في تَفْسِـيرِ

قَوْلِهِ تَعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦] قِيلَ: إنَّما ذَكَرَ تَعالى هَذا الوَصْفَ المُعَيَّنَ لِيَكُونَ ذَلِكَ جارِيًا مَجْرى الجَوابِ، وهو أنْ يَقُولَ العَبْدُ: يا رَبِّ غَرَّنِي كَرَمُكَ، فَكَذا هَهُنا إنَّما ذَكَرَ ذَلِكَ الكَلامَ إزالَةً لِلْخَجالَةِ عَنْهم وتَخْفِيفًا لِلْأمْرِ عَلَيْهِمْ»[١].

الله أكبر ما أعظمَ يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأحلمَه، يعتذرُ لإخوته وقد رموه في الجُبِّ، ويعفو عن أقرب الناس إليه وقد همُّوا بقتله!

إنه القرآن الكريم يعرض القدوات لنقتدي ونتعظ!

ويحثُّ القرآن على العفو والتسامح والدفع بالتي هي أحسن ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصّلت: ٣٤].

رزقنا الله التَّغَذِّي من مائدة القرآن، والعمل بما في القرآن. ورد عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عددٌ من الأحاديث

---

(١) مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، الفخر الرازي، (١٨/١٦٢).

الثابتـة تندب لصلة الرحم؛ فعن أبـي هريرة أنَّ رَجُلًا قـالَ: يا رَسُـولَ اللّهِ، إنَّ لي قَرابَةً أَصِلُهـم وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إليهِم وَيُسِيؤُونَ إلَيَّ، وَأَحْلُمُ عنْهمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقالَ: **لَئِنْ كُنْتَ كما قُلْتَ، فَكَأنَّما تُسِفُّهُمُ المَلَّ، وَلا يَزالُ معكَ مِنَ اللّهِ ظَهِيرٌ عليهم ما دُمْتَ على ذلكَ**»[1].

وعن عائشـة أم المؤمنين: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بالعَرْشِ تَقُولُ: مَن وصَلَنِي وصَلَهُ اللّه، ومَن قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللّه**»[2].

(١) أخرجه مسلم (١٩٨٢/٤ رقم ٢٥٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٨١/٤ رقم ٢٥٥٥).

الرزق وقصة الفتاة

في القرآن الهداية والرضا، قال ابن مسعود: «اِرضَ بما قسم اللّٰهُ لك تكن من أغنى الناس، واجتنبْ ما حرَّم اللّٰهُ عليك تكن من أَوْرَعَ الناس»[1].

افتحِ المصحف وافحصْ نفسك: كيف أنت وطلبُ الـرِّزق؟ هل أنت قلقٌ مُضطربٌ، أم ساكنٌ هادئ راضٍ بما قسم اللّٰه وقدر؟

افتحِ المصحف وافحص نفسك وحالتك اليومية في طلب المعيشة، ستجد الطمأنينة، ترفّقْ ولا تقلق، فالأرزاق بيد اللّٰه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠].

---

(١) أخرجه البيهقي (١/٢١٨ رقم ٢٠١)، وأبو داود السجستاني في الزهد (رقم ١٣١).

اعلمْ أن الأرزاق كما الآجال مخفيّة، وكُلُّها بيد اللّه، وفي القــرآن إيضاحُ ذلــك ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

اعملْ ولا تكســل، وتــوكلْ علــى اللّه، فالطيــرُ تغدو خماصًــا وتروحُ بطانًــا، والقرآن يأمــرك بالعمل: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

حيــن تنطلــق في حياتــك طالبًا فضــل اللّه ورزقه، اســتحضر هداية القــرآن وتوجيهه، وافحصــ تورُّعَكَ نحو طلب الرزق، إن في القرآن الرشاد والتوجيه، احذرِ الحرام، فقــد جعل اللّه في الحلال غِنــىً عن الحرام. توكلْ على اللّه وثِق بوعده، واقرأ بيقين وتدبّرْ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: ٢-٣].

اجعــلِ اللّه أمامَك وخافه وارجُه، وأصلح نيّتك تجد العوضــ، ارجــعْ للقرآن كُل حيــن تجد الفــرج واليقين والرضا.

واقــرأ قصة الرجـل والمــرأة، وكيف عـفَّ الرَّجُل عن الحرام وخشــي الله، فعوّضه الله خيرًا، اتَّقَى ربَّهُ، وخاف وعيده، فكانت له العاقبة الحسنة. أي نعم، جعل اللهُ لهُ مخرجًا، ورزقه من حيثُ لم يحتسب!

أي نعم، كم مِنْ مُمتنع عن حرامٍ خشيةَ الله، فأعطاه اللهُ إيّاه حلالًا بشرعِهِ!

حدثت القصة سـنة ست مئة وثلاثين هجرية، قال الـراوي: «بينمـا كُنا عند رجـل ببعض بـلاد الصعيد، فضيفنا وأكرمنا، وكان الرجل أسـمر شـديد السمرة، وهو شيخٌ كبيرٌ، وحضر له أولاده حسانٌ فيهم صفاء لون.

فقُلنـا: يا فـلان، هـؤلاء أولادٌ بيض، وأنت شـديدُ السمرة؟

فقـال: هؤلاء أمّهم إفرنجية أخذتها في أيام الملك الناصر صلاح الدين وأنا شاب، نَوْبَةَ حطين.

فقُلنا: وكيف أخذتها؟

فقال: لها حديثٌ عجيب.

فقلنا: أتحفنا به.

فقال: زرعتُ كتّانًا فــي هذه البلدة، وقلعتُهُ ونفَضْتُهُ فانصــرَفَ عليه خمســ مئة دينار، فلم يَجِــبْ أكثر من ذلك، فأُشــير عليَّ بحمله إلى الشام، فحملته فلم يجب أكثــر من ذلك، فقيل لي بِعْهُ صبــرًا لعله يُرجعُ لك حقَّ الطريق، فبعت بعضه صبرًا إلى ســتة أشــهر، والبعض تركته عنــدي، واكتريتُ حانوتًا أبيع فيــه على مهلٍ إلى حين انقضاء الستة أشهر، فبينما أنا أبيع وقد مرّت بي امرأةٌ فرنجيةٌ زوج بعض الخيالة. ونساء الفرنج يمشون في الأســواق بلا نقاب، فأتتْ تشتري مني كتّانا، فرأيتُ من جمالها ما أبهرني، فبعتها وسامحتها، ثم انصرفتْ وعادتْ إليَّ بعد أيام، فبعتها وســامحتها أكثر من الكرة الأولــى، فتكررت إلى عندي، وعلمَــتْ أني أحبُّها، فقلتُ للعجوز التي معها: أنني قد تعلّقتُ بحبّها فكيف تتحيلين لي؟

فقالت العجُـوزُ لها ذلك، فقالــت الإفرنجية: تروحُ أرواحُنا الثلاثة أنا وأنت وهو.

فقلتُ لهــا: إذا ذَهبتِ روحــي باجتماعي بها ما هو كثير. وحكت لي كلامًا كثيرًا جرى بينهما، إلى أن اتفق الحال على أن أدفع لها خمســين دينارًا صورية وتجيء إليــه. قال: فوزنت خمســين دينــارًا صورية، وسـلّمتها للعجـوز، فقالت: هيئ لنا موضعك ونحن الليلة عندك، قــال: فمضيــتُ وجهـزتُ ما قـدرت عليــه مــن مأكولٍ ومشروبٍ وشمعٍ وحلوى، وكانت داري مطلّةً على البحر، وكان الصيف، ففرشــتُ لي على ســطح الدار، وجاءت الفرنجيــة فأكلنــا وشــربنا، وجــنَّ الليــل، فنمنا تحت السماء والقمر يضيء علينا والنجوم تنظر في البحر.

فقلتُ في نفســي: أما تســتحي من اللّٰه وأنت غريبٌ وتحت الســماء وعلى البحر، وتعصي اللّٰه مع نصرانية، فتستوجب عذاب النار وعذاب الدنيا، اللهم إني أشهدك أني قد عففتُ عن هذه النصرانية في هذه الليلة؛ حياءً منك، وخوفًا من عقابك.

ثم نمتُ إلى الصبح، فقامت في السحر وهي غضبى ومَضَتْ، ومضيتُ إلى حانوتي، فجلستُ فيه، وإذا هي قد عبرت عليَّ هي والعجوز وهي مغضبة، وكأنها القمر فهلكتُ، وقلتُ في نفسي: من هو أنتَ حتى تترك هذه الجارية، أنت الجُنيد أو السُّري السقطي، ثم لحقتُ العجوز، وقلتُ: أرجعي، فقالت: وحقّ المسيح ما نرجعُ إليك إلا بمئة دينار، فقلتُ: نعم، ومضيتُ إلى حانوتي ووزنتُها وجاءت إليَّ ثاني مرّة، فلحقَتْني تلك الفكرة الأولى، وعففتُ عنها، وتركتُها لله تعالى، ثم مضَتْ ومضيتُ إلى موضعي، ثم عبرَتْ عليَّ وكلّمتْني وكانت مستغربة، وقالت: وحقّ المسيح، ما بقيتُ تفرحُ بي عندك إلا بخمس مئة دينار أو تموتَ كمدًا، فارتعتُ لذلك، وعزمتُ أني أغرمَ ثمنَ الكتّان جميعه وأفدي نفسي، فبينما أنا كذلك والمنادي ينادي معاشر المسلمين أن الهدنة التي بيننا وبينكم قد انقضت، وقد أمهلنا من هنا من المسلمين إلى جمعة، ليقضوا أمورهم وينصرفوا إلى بلادهم، فانقطعَتْ عنّي، وأخذتُ أنا في تحصيل ثمن الكتّان الذي لي، والمصالحة على ما بقي

منه، وأخذت معي بضاعة حسنة، وخرجت من عكّا وأنا في قلبي من الفرنجية ما فيه، فوصلت إلى دمشق، وبعتُ البضاعة التي لي بأوفى ثمنٍ؛ لانقطاع وصولها؛ بسبب فراغ الهدنة، ومَنَّ اللّٰه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عليَّ بكسبٍ جيّد، وأخذتُ أتَّجِرُ في الجواري، عسى أن يذهب ما بقلبي من الفرنجية، ولازمتُ التجارة فيهنَّ، فمضى عليَّ ثلاث سنين، وجرى للسلطان الملك الناصر ما جرى من وقعةِ حطّين، وأخذِهِ جميعَ الملوكِ وفتحِهِ بلادَ الساحل بإذن اللّٰه تعالى، فطُلِبَ منِّي جاريةً للملك الناصر، وكان عندي جاريةٌ حسنةٌ، فاشْتُرِيَتْ له بمئة دينار، فأوصلوا إليَّ تسعين دينارًا، وبقِيَتْ عشرةُ دنانير لمْ يجدوها في الخزانة ذلك اليوم؛ لأنه أنفَقَ الأموالَ جميعها، فشاورُوهُ على ذلك، فقال: امضوا بِهِ إلى الخزانةِ التي فيها السبيُ من نساءِ الفرنج، فخيّروه في واحدةٍ منهنّ يأخذها بالعشرة دنانير التي له، فأتيتُ الخزانةَ فنظرتُ إليها، فعرفتُ الجارية الفرنجية غريمتي، فقلتُ: أعطوني هاتيك فأخذتُها، ومضيتُ إلى خيمتي، وقلتُ لها: أتعرفينني؟

قالت: لا.

فقلتُ: أنا صاحبُكِ التاجرُ في المكان الذي جرى له معك ما جرى، وأخَذْتِ منِّي الذهَبَ، وقُلْتِ ما بقيتَ تُبصرُنِي إلا بخمسِ مئة دينار، وقد أخذتُكِ مُلكًا بعشرة دنانير.

فقالت: مُدَّ يَدَكَ، أنا أشهدُ أن لا إله إلا اللّه، وأن محمدًا رسولُ اللّه، فأسلَمَتْ وحسُن إسلامها.

فقلتُ: واللّهِ لا وصلتُ إليها إلا بأمر القاضي، فرحتُ إلى ابن شداد، وحكيتُ له ما جرى، فعجبَ وعقدَ لي عليها، وباتت تلك الليلة فحَمَلَتْ، ثم دخل العسكر فأتينا إلى دمشق، فما كان إلا شهور قلائل، وأتى رسولُ الملك يطلب الأسارى والسبايا باتفاقٍ وقع بين الملوك، فَرُدَّ مَنْ كان أسيرًا من الرجال والنساء، ولم يبقَ إلا امرأةُ الفارس التي عندي، فسألوا عنها وألحّوا في السؤال والكشف، فَوُشِيَ بها أنها عندي، فطُلِبَتْ منِّي وحَضَرْتُ وأنا في شدّة، وقد تغيّر لوني، فقالت: ما بدا لك؟ وما الذي أصابك؟

قلتُ: جاء رسـولُ الملك وأخذوا الأسـارى جميعهم وطلبوني.

فقالت: لا بأس عليك، أحضرني إليهم، وأنا أعرف الذي أقولُ لهم.

قـال فأخذتُهـا وأحضرتُهـا قدَّام السـلطان الملك الناصر، والرسولُ جالسٌ عن يمينه، فقلتُ: هذه المرأة التي عندي.

فقال لها الملكُ والرسـولُ: تروحِيـنَ إلى بلادِكِ أم إلى زوجُكِ، فقد فُكَّ أسْرَكِ أنتِ وغيرُكِ.

فقالـتْ للسـلطان: أنا قد أسـلمْتُ وحَبَلْـتُ وها هو بطني كما ترونه، وما بقِيَتِ الفرنجُ تنتفعُ بي.

فقـال لها الرسـول يخيّرهـا: أيما أحـبُّ إليك هذا المسلم، أم زوجك الفارس فلان؟

فقالت له كما قالت للسـلطان، فقال الرسـول لمن معه من الفرنج: اسـمعوا كلامها، ثم قال لي الرسـول:

خُذِ امرأتَكَ وامضِ، فولّيتُ بها وقد أرسل إليَّ عاجلًا، وقال: إن أمَّها أرسلت لها معي وديعةً، وقالت: إنّ ابنتي أسيرة، وهي عريانة شعثة، وأشتهي أن ترسل لها هذا الجمدان وتُسلّمه لها، قال: فتسلّمت الجمدان، ومضينا إلى الدار ففتحتُه، فوجدتُ قماشها بعينه وقد صَرَّتهُ لها أمُّها، ووجدتُ الصرّتين الذهب؛ الخمسين دينارًا، والمئة دينارٍ كما هما بربطتي لم يتغيرا، وهؤلاء الأولاد منها، وهي التي عملَتْ هذا الطعام[1].

عفَّ الرجلُ عن الحرام، وخاف الله، فعوّضه ومكّنه بالحلال.



(١) مطالع البدور في منازل السرور: الغزولي البهائي (ص٤١٨-٤١٩).

زِينَتُكِ.. وفَصْلُ الخطاب!

تتجاذبها الدنيا ببريقها وحلاوتها!

مُترددةٌ بين غريزتها وإيمانها!

حائرةٌ مع التجمُّل وإظهار مفاتنها!

صُويحبـاتُ دراسـة، وصديقـاتُ قرابـة، وزميلاتُ عمل، يتفاوتْنَ في عرض جمالهنَّ، وارتداء أفخر أدوات الحلي والزينة، وهي خَجْلَى قلِقة!

كُلُّ صباح تؤُمُّ عملها، فهـل تتجمّلُ أم تتخفَّى، وهل تتحجّبُ أم تتكشَّف؟

أيُّ طريقٍ تختار؟ وأين فصلُ الخطاب؟

إن فـي القـرآن الجـوابَ القطعـي. وفيـه فَصْـلُ الخطاب، والإرشاد الواضح! والفحصُ النافي للجهالة!

افتحـي أُختاه، المصحف وتدبَّـري آيات الحجاب، واقرئي كيف عرض القرآن حياءَ المرأة، وابتعادها عن مخالطة الرجال، ونظراتهم الشهوانية!

إن في الحجاب والحياء جمالًا وجاذبيةً للمرأة.

كلما تمنعتِ المرأةُ وتحجبـتِ ازدادت فِتنتُها، وزاد إغراؤها!

تفننَّ الغرب في إنتاج ملابس العري والفتنة، والقرآن يأمر بالستر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

بعد هذا النص المُقدَّس ماذا تختار الفتاة المسلمة؟ أتأخذ بزخرف القول أم بقول الحق -سبحانه-!

يقول الشيخ ابن سعدي في تفسيره: «هذه الآية، التي تسمّى آية الحجاب، أمر الله نبيه، أن يأمر النساء عمومًا، ويبدأ بزوجاته وبناته، لأنهنَّ آكد من غيرهنّ، ولأنّ الآمر (لغيره) ينبغي أن يبدأ بأهله، قبل غيرهم، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦].

أن ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ وهنَّ اللاتي يكنّ فوق الثياب من ملحفةٍ وخمارٍ ورداءٍ ونحوه، أي: يغطّين بها وجوههنَّ وصدورهن.

ثم ذكر حكمة ذلك، فقال: ﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَ﴾ دلَّ على وجود أذيّة، إن لم يحتجبن، وذلك؛ لأنهن إذا لم يحتجبن، ربما ظنَّ أنهنّ غير عفيفات، فيتعرض لهنّ مَنۡ في قلبه مرض، فيؤذيهنَّ، وربما استهين بهنّ، وظُنَّ أنهن إماء، فتهاون بهنّ من يريد الشر. فالاحتجاب حاسم لمطامع الطامعين فيهن.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: حيث غفر لكم ما سلف، ورحمكم، بأن بين لكم الأحكام، وأوضح الحلال والحرام، فهذا سد للباب من جهتهن»[1].

وفي آية أخرى يأمر -سبحانه- بغض البصر، فكيف بفتاةٍ تجذبُ البصر! ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

وآيةٌ ثالثةٌ جمعَ اللّٰهُ فيها أمرَه للمرأة: بغض بصرها، وحفظ فرجها، وإخفاء زينتها، وإرخاء خِمارها ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: ٣١].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص٦٧٢).

ومنع الحقُّ -سبحانه-وهو الأعلم بالغرائز- المرأةَ مـن حركـةٍ تنتج عنهـا إثارةٌ للرجـالِ وجذبهـم لرؤية جمالها، فكيف بـكِ أُختاه تنخدعين، وتسـلكينَ طريق الإثارة بلباسك الفاتن؟

اقرئـي القـرآن، وتدبَّـري هـذه الآيـات الهاديات، واعملي بهديها، فلديكِ كِرامٌ كاتبون، يُسجّلون كُلَّ زلّةٍ، فالحذرَ الحذر.

يقول تعالى سبحانه: ﴿وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

إن تأمل هـذه الآية وتدبرها خيرُ درسٍ في الحياء والأدب للفتيات المسلمات! فهذا كلام الله -سبحانه- العالم بالغرائز البشـرية. الضـرب بالرِّجلِ إثارة؛ فيه حركـةٌ وإيقـاعٌ، صـوتٌ وتنبيه نهـى عنه الله، هـو أمرٌ ربّانـي لكل امـرأةٍ مسـلمة، أن تحذرَ من إبـداء زِينَتِها للرجـال الأجانـب، وتوجيهٌ إلهي لكل سـيدةٍ بعدمِ فتنة الرجـال. إن الغرائز البشـرية في الرجـال نحو المرأة

غالبــة؛ ولهذا ينهى ســبحانه المرأة من إثارة شــهوات الرجــال الكامنــة. إن الغرائز تجذب نظـرات الرجال للبحث عــن محاســن المــرأة، ورؤية موطــن جمالها.
عن عبدالله بن عباســ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «أردف رســول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الفضل بن عباســ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يــوم النحر خلفه علــى عَجُزِ راحلتــه، وكان الفضل رجــلًا وضيئًا، فوقف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للناس يُفتيهم، وأقبلت امرأة من خثعم (وضيئة) تستفتي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فطفق الفضل ينظـر إليها وأعجبه حســنها، فالتفت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والفضــل ينظر إليها، فأخلفَ بيده فأخذ بذقنِ الفضلِ، فعدلَ وجهَه عن النظر إليها، فقالت: يا رســولَ الله، إن فريضــةَ الله في الحج علــى عباده، أدركتُ أبي شــيخًا كبيرًا، لا يســتطيع أن يستوي على الراحلة، فهل يقضي عنه أن أحجَّ عنه؟ قال: **نعم**»[1].

إن رســول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمنــعُ الفضــل مــن النظر للمرأة الخثعمية، فليست هي من محارمه، وزينةُ المرأة

(١) أخرجه البخاري (١٥/ ٥١١ رقم ٦٢٢٨)، ومسلم (٢/ ٩٧٣ رقم ١٣٣٤).

ليست مباحةً للجميع، فقد حدد سبحانه المسموح لهم برؤيـة تلك الزينـة يقول تعالـى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: ٣١].

وتلكـم ابنتا نبي اللّٰه شـعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تذودان وتردّان رِعاهـم عن الشـراب، ويقتربُ نبيُّ اللّٰه موسـى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ منهـن، ويسـأل لم تحجـزان الرعـاء عـن السُّـقيا؟ فيخبـران موسـى أنـه الحـذر مـن مخالطـةِ الرجال! وأن والدهما شـيخٌ كبير أقعده العجـز؛ أي لو كان لهما رجـلٌ لمـا جاءتـا للسـقيا ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣].

امرأتـان ترُدَّانِ ماشـيتهما عـن الماء؛ حـذرًا من مخالطة الرجال، وانتظارًا لانتهائهم من السُّقيا. ذاك

منهج القدوات، وطريـق الفضيلة، فاحذري أختاه، من دعاة السفور، وذئاب البشر.

كانـت المرأة تأتي إلى الإمـام أبي حنيفة النعمان، شـيخَ الأحناف، تسـأله في قضية أو تسـتفتيه في شأنٍ من شـؤون دينهـا، فيتركَ مكانـه في الجلسـة العلمية بالمسـجد، ويتجـه إليهـا حيـث تحتجبُ خلـفَ إحدى سـاريات المسـجد، ثـم لا يلبـثُ أن يعـودَ إلـى مكانه العلمي، ويذكر للرجال الجالسـين ما جرى من سـؤال المـرأة وجوابه عليها، وهو لا يعرف من تلك السـائلة، إلا أنها طالبةُ علمٍ من بنات المسـلمين. إن الإمام يُعلِّم تلامذته ومسـتمعيه آداب معاملة النسـاء، فيقول لهم: إنه ذهب إليها بعيدًا لكي يعصمها من نظرات الفضول، ويُحصنهـا من أحداق الرجال. هذا هو أبو حنيفة يعلمُ أن طلابـه ومريديه في المسـجد، وللمسـجد حشـمتُه وطمأنينتُه، ومع ذلك يخشى على السائلات من نظرات الرجال الجالسين! إنها الحيطةُ والحذر.

وموقفٌ آخر يُجسّد حالة المرأة في الإسلام، وكيف كان الأوائل يتعاملون مع المرأة في عصورهم الزاهية. إن الإمام أبا حنيفة عاش في العصرين الأموي والعباسي، وكانت له مهابةٌ ومكانةٌ عند العامة والخاصة، لقد كانت بينه وبين الخليفة العباسي المنصور جفوةٌ وقطيعة، فقد حبسه المنصور، ثم أخرجه من السجن، وأقام عليه حصارًا أو ما يُشبه الحصار، ومنعه من الفتوى، ومع ذلك يلجأ إليه الخليفة.

ذات مرةٍ وقع خلافٌ بين الخليفة المنصور وزوجته الحرَّة؛ لأمرٍ يتصل بالعلاقات بينهما كزوجين، فطلبت الحرةُ الانتصاف لحقّها، فسألها المنصور عمّن ترضى من الفقهاء؛ لكي يكون حَكَمًا بينهما، فاختارت أبا حنيفة حَكَمًا. وأرسل المنصور إلى الإمام يستحضره، فجاء أبو حنيفة والتقى بالخليفة وزوجته الحُرّة. وهنا تتجلى حالة المرأة في تلك العصور الإسلامية الوضاءة، ففي قصر الخليفة، وللقصر والسلطان مهابة، ومع شيخ الفقهاء، وللعلم وقاره، ومع ذلك تجلس زوجة الخليفة،

خلف ستار يحجبُ الرؤية ويُسْمَع الصوت! ويدور الحوار: قـال المنصـور: يا أبـا حنيفة. الحـرّة خلف السـتارة تسـمعنا تخاصمني فأنصفني منها. فقـال أبو حنيفة: ليتكلـم أمير المؤمنين، فقال المنصـور: يا أبا حنيفة، كـم يحل للرجل أن يتـزوج من النسـاء فيجمع بينهن؟ قال أبـو حنيفة: أربع. قال المنصـور: وكم يحل له من الإمـاء؟ قال: أبو حنيفة: له ما يشـاء. ليس لهن عدد. قال المنصور: وهل يجـوز لأحد أن يقول خلاف ذلك؟ قـال أبو حنيفة: لا. فقال المنصـور لزوجته الحرة. قد سمعتِ قول الشـيخ. وقبل أن تتكلمَ الحرَّة أسرع الشيخ لكـي يُكمل الفتوى. فالمنصـور بدهائه وجّه إلى الإمام أسئلة لا تُشـكّل الإجابات عنها الحلَّ الشرعي للقضية. قال أبو حنيفة: للمنصور مكملًا فتواه وموضحًا الحكم الشـرعي فـي التعدد، فقـال: إنما أحـل اللّٰه هذا لأهل العـدل. فمن لم يعدل، أو خـاف ألا يعـدل، فينبغي ألا يُجـاوز واحدة. ويُتبـع أبو حنيفـة الحكم بتـلاوة الآية القرآنية ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء: ٣].

ويمضي أبـو حنيفة موجهًا الحديـث إلى المنصور قائلًا: ينبغي لنا أن نتأدبَ بأدب اللّه، ونتّعظ بمواعظه، فسكت المنصور وطال سكوته. فانصرف أبو حنيفة.

إن الدارسَ والمُتأمـلَ للقـرآن الكريـم، يجد تلك الآيـات الواضحة الدلالة، التي تحـثّ المرأة على صَوْنِ زينتها، وسـتر جمالهـا، فحتى تحريـك رجليها، للفت الأنظـار لزينتهـا، يمنعه اللّه! فكيـف باللواتي يصبغنَ حواجبهنَّ، ويسرِّحن شعورهن، ويخرجن سافراتٍ عن حسنهنّ. أين هنّ من هذه الآية الكريمة! ربنا لا تُؤاخذنا بما فعلَ ويفعلُ السفهاءُ منّا.



الشَّهَوات

غَلَبَتْهُ شَهواتُه، وسأل كيف أفحصُ نفسي في القرآن وقد أغواني الشيطان وسار بي في دُرُوبِ المعاصي، فهل لي من توبة؟ يُؤَنِّبُهُ ضميرُه، وتُحدِّثُه نفسُهُ في خلوته هل من عودة؟

هو مُسلمٌ يرجو رحمة الله، لكن التزامه الديني ضعيف، يرتكِبُ بعض المعاصي؛ يُزيّن له الشيطان أنها معاصٍ مُؤقّتة؛ كأس خمر، وملاعبة فتاة، وتطفيف في أداء العمل و. و. و... إلخ. يهذِي في نفسه سوف أتوبُ وأستغفر الله، يحَدِّثُ ذاتَه، ويُهوّنُ من معصيته بأنه ما ظلم هذا، ولا أخذ حق ذاك، وأنها هفواتٌ يسيرة، يَعِدُ نفسه بالإقلاع والأوبة! فكيف يفحص نفسه في القرآن؟

بُذُورُ الخير منغرسةٌ فيه، لو جذبَهُ يهوديٌّ لمعبده أو نصرانيٌّ لكنيسته لأبى وتعوّذ، ولو حاوره مُلْحدٌ لزجرهُ وذَبَّ عن دينه وزأر. هو من نُطفةٍ مسلمة، لكن شهوات الدنيا وملذّاتها تغلبُه؛ يُسَوِّفُ ويُؤَجِّلُ، نادمٌ وخائف، وجِلٌ وقلِق. لقي ذات ليلةٍ قريبًا له قد فتح اللهُ عليه بهدي القرآن، فتبادلا أطراف الأحاديث والشَّجن، إلى أن قرأ عليه قريبُه المُستَنِيرُ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال له المُستنيرُ: إن هذه الآية أملٌ وفرج، وفيها العلاجُ والشفاء، فيها الفحصُ والدواء، لا تقنط، لا تيأس، ها هو الله -سبحانه- يُكرمُك يُخاطبُك ﴿يَٰعِبَادِىَ﴾ أنتَ أنتَ أيها المُسرف العاصي، كُنْ من عِباد الله المُخاطبين، لو ناداك مَلِكٌ من مُلوك الأرض لزهوتَ وأسرعتَ إليه، فكيف بملك الملوك سبحانه؟! أسرع إليه، وبادر بالتوبة، فقد يُفاجئك الموت ولات مندم! الحَقْ ذاتك قبل أن تَغيبَ شمسُك بغتة. أنت تسمع

بموت فلان فجأة، وتشهد جنازة علَّان، وتسأل: أكان مريضًا؟ فيأتي الجواب كان منذ ساعات يعمل ويضحك، هي الآجال مخفية ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

يا أيها المُسرف على نفسه بادرْ بالرجوع، واهربْ من المعاصي قبل أن يَحِلَّ بك الأجلُ، ويقع العذاب، فتتحسر، وتتمنى العودة للدنيا؛ لتُكَفِّرَ عن سيئاتك، ولكن هيهات هيهات! تدبَّرْ هذه الآيات وردِّدها، وافحصْ ذاتك معها، وبادرْ بعلاج حالتك قبل الرحيلِ الأبدي.

مما قاله شيخ المُفسرين ابن كثير عند تفسيره قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾: «هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ دَعْوَةٌ لِجَمِيعِ الْعُصَاةِ مِنَ الْكَفَرَةِ وَغَيْرِهِمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، وَإِخْبَارٌ بِأَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا لِمَنْ تَابَ مِنْهَا وَرَجَعَ عَنْهَا، وَإِنْ كَانَتْ مَهْمَا كَانَتْ وَإِنْ كَثُرَتْ وَكَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ.

عن ثَوْبَانَ -مَوْلَى رَسُــولِ اللَّهِ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُــولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا أُحِبُّ أَنَّ لِيَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا بِهَذِهِ الْآيَـةِ:** ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ **إِلَـى** آخِـرِ الْآيَةِ، فَقَـالَ رَجُلٌ: يَا رَسُــولَ اللَّهِ، فَمَنْ أَشْـرَكَ؟ فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا وَمَنْ أَشْرَكَ**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»[1].

وعَــن عَمْــرِو بْنِ عَبَسَــةَ قَالَ: جَــاءَ رَجُلٌ إِلَــى النَّبِيِّ ﷺ شَيْخٌ كَبِيرٌ يُدَعِّمُ عَلَى عَصًا لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي غَدَرَاتٍ وَفَجَرَاتٍ، فَهَلْ يُغْفَرُ لِي؟ فَقَالَ: «**أَلَسْتَ تَشْـهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟**» قَالَ: بَلَى، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. فَقَالَ: «**قَدْ غُفِرَ لك غدراتك وفجراتك**»[2].

وعَــنْ أَسْـمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ قَالَتْ: سَــمِعْتُ رَسُــولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ [هُود: ٤٦]، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ:

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/٤٢٣ رقم ٧١٣٧)، وأبو بكر محمد بن هارون الروياني (١/٤٢٣ رقم ٦٤٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣٢/١٧١ رقم ١٩٤٣٢)، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (رقم ١٤٤).

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾، وَلَا يُبَالِي ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ: أَنَّهُ يَغْفِرُ جَمِيعَ ذَلِكَ مَعَ التَّوْبَةِ، وَلَا يَقْنَطَنَّ عَبْدٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَإِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبُهُ وَكَثُرَتْ؛ فَإِنَّ بَابَ التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ وَاسِعٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [التَّوْبَة: ١٠٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النِّسَاء: ١١٠].

وَقَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ الْمُنَافِقِينَ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ۝١٤٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [النِّسَاء: ١٤٥-١٤٦].

وَقَالَ: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الْمَائِدَة: ٧٣]، ثُمَّ قَالَ: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤٥/٥٤٩ رقم٢٧٥٦٩)، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (رقم٧٢)، والقاسم بن سلام في فضائل القرآن (رقم٥٥٢).

ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المَائِدَة: ٧٤]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾ [البُرُوج: ١٠].

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: انْظُرْ إِلَى هَذَا الْكَرَمِ وَالْجُودِ، قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالْمَغْفِرَةِ!

وَالْآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ جِدًّا.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ حَدِيثُ الَّذِي قَتَلَ تِسْعًا وَتِسْعِينَ نَفْسًا، ثُمَّ نَدِمَ وَسَأَلَ عَابِدًا مِنْ عُبَّاد بَنِي إِسْرَائِيلَ: هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَتَلَهُ وَأَكْمَلَ بِهِ مِئَةً. ثُمَّ سَأَلَ عَالِمًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ: هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ ثُمَّ أَمَرَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى قَرْيَةٍ يعبد اللّٰهَ فِيهَا، فَقَصَدَهَا فَأَتَاهُ الْمَوْتُ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَأَمَرَ اللّٰهُ أَنْ يَقِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيِّهِمَا كَانَ أَقْرَبُ فَهُوَ مِنْهَا. فَوَجَدُوهُ أَقْرَبَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ إِلَيْهَا بِشِبْرٍ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ. وَذُكِرَ أَنَّهُ نَأَى بِصَدْرِهِ

عِنْـدَ الْمَـوْتِ، وَأَنَّ اللّٰهَ أَمَـرَ الْبَلْدَةَ الْخَيِّـرَةَ أَنْ تَقْتَرِبَ، وَأَمَرَ تِلْكَ الْبَلْدَةَ أَنْ تَتَبَاعَدَ[1] هَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ.

وَقَـالَ **عَلِـيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ**، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ إِلَـى آخِـرِ الْآيَةِ، قَـالَ: قَدْ دَعَا اللّٰهُ إِلَى مَغْفِرَتِهِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ اللّٰهُ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَسِـيحَ هُوَ ابْنُ اللّٰهِ، وَمَـنْ زَعَمَ أَنَّ عُزَيْرًا ابْنُ اللّٰهِ، وَمَـنْ زَعَـمَ أَنَّ اللّٰهَ فَقِيرٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ يَـدَ اللّٰهِ مَغْلُولَةٌ، وَمَـنْ زَعَمَ أَنَّ اللّٰهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، يَقُـولُ اللّٰهُ تَعَالَى لِهَؤُلَاءِ: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الْمَائِدَة: ٧٤]. ثُمَّ دَعَا إِلَى تَوْبَتِهِ مَنْ هُوَ أَعْظَمُ قَوْلًا مِنْ هَؤُلَاءِ، مَـنْ قَـالَ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النَّازِعَات: ٢٤]، وَقَـالَ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [الْقَصَص: ٣٨]. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَنْ آيَسَ عِبَادَ اللّٰهِ مِنَ التَّوْبَةِ بَعْدَ هَذَا فَقَدْ جَحَدَ كِتَابَ اللّٰهِ، وَلَكِنْ لَا يَقْدِرُ الْعَبْدُ أَنْ يَتُوبَ حَتَّى يَتُوبَ اللّٰهُ عَلَيْهِ.

(١) أخرجه مسلم (٢١١٨/٤ رقم ٢٧٦٦).

وعَنْ شُـتَير بْنِ شَكَل أَنَّهُ قَالَ: «سَـمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُـولُ: إِنَّ أَعْظَمَ آيَةٍ فِي كِتَـابِ اللّٰهِ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البَقَـرَة: ٢٥٥]، وَإِنَّ أَجْمَعَ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ بِخَيْرٍ وَشَـرٍّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النَّحْـلِ: ٩٠]، وَإِنَّ أَكْثَـرَ آيَـةٍ فِي الْقُرْآنِ فَرَجًا فِي سُورَةِ الْغُرَفِ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾، وَإِنَّ أَشَـدَّ آيَـةٍ فِي كِتَابِ اللّٰهِ تَصْـرِيفًـا ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطَّلَاقِ: ٢-٣]. فَقَالَ لَهُ مَسْرُوقٌ: صَدَقْتَ»[1].

وَقَـالَ **الأَعْمَشُ**، عَـنْ أَبِي سَـعِيدٍ، عَنْ أَبِـي الْكَنُودِ قَـالَ: مَرَّ عبد اللّٰهِ -يَعْنِي ابْنَ مَسْـعُودٍ- عَلَى قَاصٍّ، وَهُوَ يَذَكِّرُ النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُذَكِّرُ لِمَ تُقَنِّط النَّاسَ؟ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾[2].

وعن أَخْشَـنُ السَّدُوسِـيُّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَنَسِ بْنِ

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/٥٥ رقم ٢١٧٣)، والطبراني في الكبير (٨/٣٩-٤٠ رقم ٨٥٧٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٣٥٤): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (رقم ٥٠).

مَالِكٍ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَمْلَأَ خَطَايَاكُمْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتُمُ اللهَ لَغَفَرَ لَكُمْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُخْطِئُوا لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ يُخْطِئُونَ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**»(١).

عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: قَدْ كُنْتُ كَتَمْتُ مِنْكُمْ شَيْئًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يقول: «لولا أنكم تذنبون، لخلق الله قَوْمًا يُذْنِبُونَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»(٢).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَفَّارَةُ الذَّنْبِ النَّدَامَةُ»، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ**»(٣).

---

(١) أخرجه الإمام (١٤٦/٢١ رقم ١٣٤٩٣)، والضياء في المختارة (٢٣٩/٢ رقم ١٥٤٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٥٩٤/٤ رقم ١٩٥١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤٩٧/٣٨-٤٩٨ رقم ٢٣٥١٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٣٧٩/٤ رقم ٢٦٢٣).

وعـن عَلِيِّ بْنِ أَبِـي طَالِبٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللّٰهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْعبد الْمُفَتَّنَ التَّوَّابَ**»[1].

وعَنْ عبد اللّٰهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: إِنَّ إِبْلِيسَ -عَلَيْهِ لَعَائِنُ اللّٰهِ- قَالَ: يَـا رَبِّ، إِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي مِنَ الْجَنَّةِ مِنْ أَجْـلِ آدَمَ، وَإِنِّي لَا أَسْـتَطِيعُهُ إِلَّا بِسُـلْطَانِك. قَالَ: فَأَنْتَ مُسَـلَّطٌ. قَالَ: يَا رَبِّ، زِدْنِي. قَـالَ: لَا يُولَدُ لَهُ وَلَدٌ إِلَّا وُلِدَ لَـكَ مِثْلُهُ. قَالَ: يَـا رَبِّ، زِدْنِـي. قَالَ: أَجْعَـلُ صُدُورَهُمْ مَسَـاكِنَ لَكُمْ، وَتَجْرُونَ مِنْهُمْ مَجْرَى الدَّم. قَالَ: يَا رَبِّ، زِدْنِي. قَـالَ: أَجْلِبْ عَلَيْهِـمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ، وَشَـارِكْهُمْ فِـي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّـيْطَانُ إِلَّا غُـرُورًا. فَقَالَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَا رَبِّ، قَدْ سَـلَّطْتَهُ عَلَيَّ، وَإِنِّي لَا أَمْتَنِعُ (مِنْهُ) إِلَّا بِكَ. قَالَ: لَا يُولَدُ لَكَ وَلَدٌ إِلَّا وَكَّلْتُ بِهِ مَنْ يَحْفَظُهُ مِنْ قُرَنَاءِ السُّـوءِ. قَالَ: يَا رَبِّ، زِدْنِي. قَالَ: الْحَسَنَةُ عَشَرٌ أَوْ أَزِيدُ، وَالسَّيِّئَةُ وَاحِدَةٌ أَوْ أَمْحُوهَا. قَالَ: يَـا رَبِّ، زِدْنِي. قَالَ: بَابُ التَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ مَا كَانَ الرُّوحُ فِي

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/٤١٩ رقم ٧١٢٢)، والحارث أبو أسامة/ الهيثمي في مسنده (الزوائد) (٢/٩٧٢ رقم ١٠٧٦).

الْجَسَـدِ. قَالَ: يَا رَبِّ، زِدْنِي. قَالَ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾»[1].

وذكـر البغوي فـي تفسـيره ما يُروى عـن ضمضم ابن جَوْسٍ قَالَ: «دَخَلْتُ مَسْـجِدَ الْمَدِينَةِ فَنَادَانِي شَيْخٌ، فَقَالَ: يَا يَمَانِيُّ تَعَالَ، وَمَا أَعْرِفُهُ، فَقَالَ: لَا تَقُولَنَّ لِرَجُلٍ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِـرُ اللَّهُ لَـكَ أَبَـدًا، وَلَا يُدْخِلُـكَ اللَّهُ الْجَنَّــةَ، قُلْـتُ: وَمَنْ أَنْـتَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ؟ قَـالَ: أَبُو هُرَيْـرَةَ، قَالَ فَقُلْتُ: إِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَـةَ (يَقُولُهَا) أَحَدُنَا لِبَعْضِ أَهْلِهِ إِذَا غَضِبَ أَوْ لِزَوْجَتِهِ أَوْ لِخَادِمِهِ، قَالَ: فَإِنِّي سَـمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ رَجُلَيْنِ كَانَا فِي بَنِي إِسْـرَائِيلَ مُتَحَابَّيْـنِ أَحَدُهُمَـا مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَـادَةِ وَالْآخَرُ يَقُولُ كَأَنَّـهُ مُذْنِبٌ، فَجَعَلَ يَقُولُ: أَقْصِرْ أَقْصِرْ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ، قَـالَ فَيَقُولُ: خَلِّنِي وَرَبِّـي، قَالَ: حَتَّى وَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْـبٍ اسْـتَعْظَمَهُ، فَقَـالَ: أَقْصِـرْ، فَقَـالَ: خَلِّنِـي وَرَبِّـي أَبُعِثْـتَ عَلَـيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِـرُ اللَّهُ لَكَ أَبَدًا،**

---

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ت: سامي السلامة، (١٠٩/٧).

وَلا يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ أَبَدًا. قَالَ: فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمَا مَلَكًا فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لِلْمُذْنِب: ادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلآخَرِ: أَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْظُرَ عَلَى عَبْدِي رَحْمَتِي؟ فَقَالَ: لا يَا رَبِّ، فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ[1].

قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾»[2].

وبعد، هي والله، وصفة الشفاء القطعية، فلنلحق ذواتنا ونُغالب شهواتنا.

إنه القرآن الكريم دواء وشفاء. جعله الله ربيع قُلوبنا، ونُور صدورنا وذهاب أحزاننا.

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٤/٤٦-٤٧ رقم ٨٢٩٢)، وأبو داود (٢/٦٩٣ رقم ٤٩٠١)، وحسنه الألباني في تحقيقه للعقيدة الطحاوية (ص٣٥٧).

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي (٧/١٢٨).

عَدُوَّان، احذرهما

لكَ ولِي، ولكلِّ البشر في الحياة الدنيا، عدوَّان؛ أحدُهما أشرسُ من الآخر:

الأوّل خفيٌّ، والآخر يتخفّى.

الأوّلُ عداوتُـه معـك منذُ الطفولـة، والآخرُ لا تعلم متى تَتَكَوَّن عداوتُه.

الأوّلُ مع الجميع، والآخر قد يسلمُ منه البعض.

الأوّلُ يستحيلُ أن تراه، والآخر يمكِنُك رؤيته.

فيا تـرى مَنْ هما، وكيـف النجاة منهمـا؟ وما هي أساليبُ الحماية المتَّبعة التي تقيك شرَّهما؟

أمــا الأول فإبليسُ لعنه الله، وعداوتــه دائمةٌ حتى غرغرة المـوت! يُروى عن صالح ابـن الإمام أحمد بن حنبل قال: «لمَّا احتُضِـر أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ جعل يُكثر أن يقولَ: لا بَعـدُ، لا بَعـد، فقلـت: يا أبـتِ، ما هــذه اللفظة التي لهِجـتَ بها في هذه السـاعة؟ فقال: يا بُني، إنَّ إبليسَ واقفٌ في زاوية البيتِ وهو عاضٌّ على أُصْبُعِه وهو يقول: فُتَّني يا أحمدُ؟ فأقولُ: لا بَعدُ لا بَعدُ»[1]. يعني أنَّهُ لا يفوتُه حتى تخرُجَ رُوحُهُ من جسدِه على التوحيد، كما جاء في بعض الأحاديث، قال إبليس: يـاربِّ، وعزَّتِك وجلالك ما أزالُ أُغويهم ما دامت أرواحُهُم في أجسادهم.

فقــال الله: وعِزَّتِـي وجلالــي ولا أزالُ أغفِـرُ لهـم ما استغفروني»[2].

وأما العدو الآخر فإنسـيٌّ من البشر، عداوتُهُ طارئةٌ قد تزول!

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥٠٥/١ رقم ٨٥٢)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١٨٣/٩)، وقوام السنة في الحجة في بيان المحجة (٥٢٥/١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣٣٧/١٧ رقم ١١٢٣٧)، والحاكم (٤م٢٦١ رقم ٧٦٧٢)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٢/١ رقم ١٠٤)، وانظر: البداية والنهاية لابن كثير، (٤٢٢/١٤).

وفـي القرآنِ الوصفةُ العلاجيةُ لـكلا العدوَّين، وقد جـاءت الوصفة مقترنة في ثلاث آيـات من كتاب اللّه، وتلك الوصفةُ فيها الشفاء الحتمي.

اقـرأ تلك الوصفة، ولا تجعلهـا تغِيبُ عن ناظرَيك، ولازمها، وافحصْ نفسَك معها كلَّ حين.

الآية الأولـى قوله تعالـى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٩٩، ٢٠٠].

لحماية نفسـك من العدو الإنسيّ؛ دارِه واعفُ عنه، وأعرِضْ عن جهالتهِ، ولا تُبادله عداوة، بل عاملْه باللّين، والمصانعـة كي تَسْـتَلَّ عداوتـه. أما العدو الشّـيطاني إبليس فالاستعاذةُ باللّه طاردةٌ له، مُبطلةٌ كيدُه.

والآيـة الثانية قوله تعالـى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٦-٩٨].

ذاك الإنسيُّ، الذي تعرفُ عداوته، وتشعرُ بخشونته أيًّا كان؛ قريبًا أو زميل عمل، أو جارًا، تحَمَّلْ أذيتَهُ واصبرْ، ولا تُعاجله باللوم والتقريع، أو الكيد والسوء، وإنما بادلْ سيئتَهُ بالحسنة، وكُن أنت الأرقَّ، تنلِ الفوز. أما العدو الشيطاني، فالجأ لله واستعذ به يكْفِكَهُ الله.

والآية الثالثة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٦].

في هذه الآية الكريمة ترغيبٌ بالصبر وتحَمُّلُ أذيّة عداوة الإنسي، ومدحٌ للصابر، وإخبارٌ من الله -سبحانه- العالم بالنفوس البشرية بأن تلك العداوة تتحول مع العفو إلى مودَّةٍ وصداقة، ويمدحُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ذاك الكابحَ شهوةَ الانتقام، الممسكَ لذّةَ البطش ومكرَ الشيطان، يمدحه سبحانه بالصفات التي يحبُّها؛ بالصبر، فاللهُ يحبُّ الصابرين، كما يصفُ جَلَّجَلَالُهُ ذاك

العافـي بِعِظَمِ حظِّـه. وهنيئًا لمن فاز بالثنـاء الإلهي. أما الشيطان فالسلامة منه بالاستعاذة بالله من شرّه. أعاذنا الله منه.

هـذا، ونعلَـمُ مـن هـذه الآيـات الثـلاث، أن اللّهَ -سـبحانه- يدعـو ويحُـثُّ على مـداراة عداوة البشـر والصبـر عليهـم؛ ولهذا عفا رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أهل مكة وما انتقم منهم، فحين دخل عام الفتح طأطأ رأسَه، وقال لأهل مكة: «**اذهبوا فأنتم الطُّلقاء**»[1].

إن الكراهيـة بين البشـر داءٌ وبـلاءٌ يَمحق، والعفو والصفح نورٌ وطُمأنينةٌ وخير. فكيف أنت وهذه الوصية، افحصْ نفسَـك وتذكّر مَـنْ بينَكَ وبينه جفـوةٌ، وبادله التحية والعفو، وتناسـى هفوته وخشـونته، واصفح عن قسوته وكيده!

أما إبليسُ فلا تنفع معه مصانعـةٌ ولا مداراة، فهو ذاهـبٌ إلى جهنّم، ويريدنا أن نكون معه؛ ولهذا أخبرنا

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (١١٨/٩ رقم ١٨٧٣٩).

-سبحانه- بكيفية النجاة منه، وذلك بالاستعاذة (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم).

إن عداوة إبليس مستمرة، فهو يرانا ولا نراه ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]؛ ولذا يُحذِّرنا الله منه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]. ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

حتى الذين أضلَّهُم إبليسُ وأغواهم، يشتمون إبليسَ، وينسبون له كُلَّ بلاء، إلَّا أنهم استجابوا لدعوته وأطاعوه، فكانوا أولياءه، فانتهى بهم الأمر للهلاك والنار ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

أما أنت أيّها المؤمن بالله، المتَّبع ملَّة رسوله ﷺ، فعداوةُ إبليس لك أشدّ، وغوايتُه لك أخطر، فأنت اخترتَ طريقَ الهداية، وإبليسُ يجُرُّكَ لطريق الضلالة والشقاوة.

إن إبليس يرقبك ولا يغفل عن الخير الذي تعمله، يُخوِّفُك إن تصدَّقْتَ بالفقر، ويأمرُك بفعل الفواحش، ويُجملها لك، فاحذره يقول تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

يقول الشعراوي: «الذي يسمع لقول الشيطان ووعده، ولا يستمع إلى وعد الله يصبحُ كمَن رجَّحَ عدو الله على الله -أعاذنا الله وإياكم من مثل هذا الموقف- إن الشيطان قد وسوسَ لكم بالفقر إذا أنفقتم، وخبرة الإنسان مع الشيطان تؤكد للإنسان أن الشيطان كاذبٌ مضلِّل، وخبرة الإنسان مع الإيمان بالله تؤكد للإنسان أن الله واسع المغفرة، كثير العطاء لعباده. والحكمة تقتضي أن نعرف إلى أي الطرق نهتدي ونسير»[١].

هذا، ويُقسمُ إبليس؛ العدو الدائم، وهو صادق في قسمه، أن يأخذ بني آدم جميعهم للغواية، ويستثني

---

(١) تفسير الشعراوي، (٢/١١٦٣).

عباد الله المخلصين ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠].

فهل أنت يا عبدالله من الفريق المُخْلَص الذين سَلِم من إبليس؟ سلْ نفسك وافحصها، فالقرار بيدك طالما فيك نفسٌ يتردد!

كُنْ من عباد الله الناجين، واحذرْ أن تكون من الغاوين، فجهنّم وأبوابها السبعة موعد الغاوين ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٢-٤٤].

يقول الرازي: «﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ فِيهِ قِراءَتانِ: تارَةً بِاسْمِ الفاعِلِ، وأُخْرى بِاسْمِ المَفْعُولِ، فَوُرُودُهُ بِاسْمِ الفاعِلِ يَدُلُّ عَلى كَوْنِهِ آتِيًا بِالطّاعاتِ والقُرُباتِ مَعَ صِفَةِ الإخْلاصِ، ووُرُودُهُ بِاسْمِ المَفْعُولِ يَدُلُّ عَلى أنَّ اللَّهَ تَعالى اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِهِ واصْطَفاهُ لِحَضْرَتِهِ، وعَلى كِلا الوَجْهَيْنِ فَإنَّهُ مِن أدَلِّ الألْفاظِ عَلى كَوْنِهِ مُنَزَّهًا عَمّا أضافُوهُ إلَيْهِ»[1].

---

(١) مفاتيح الغيب، التفسير الكبير: فخر الدين الرازي (١٨/ ٩٤).

وجاء في تفسير ابن القيم قوله: «لما علم عدوُّ اللّٰه أن اللّٰه تعالى لا يسلطه على أهل التوحيد والإخلاص، قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣]. فعلِم عدوُّ اللّٰه أن من اعتصم باللّٰه، عَزَّوَجَلَّ وأخلص له وتوكل عليه، لا يقدر على إغوائه وإضلاله، وإنما يكون له السلطان على من تولاه وأشرك مع اللّٰه، فهؤلاء رعيته وهو وليهم وسلطانهم ومتبوعهم»[1].

وبعدُ فقد عرفْتَ -رعاكَ اللّٰهُ- أن عداوةَ إبليس الشَّيطاني أشدُّ عداوة من ذاك الإنسي، وأن ثمةَ عداوةً تتحول إلى صداقة، وعداوةً لا يمكن تحوُّلها.

إنه كتابُ اللّٰه، افحصْ نفسك به تجد السَّعادة والفوز.

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: ابن قيم الجوزية (١/٩٩).

العلاقة الزوجية

كيف العلاقة بينكما؟ هل شـابها كدَر؟ تنهار بُيوتٌ، ويضيعُ أطفال؛ لاختلافٍ أسـري يبدأ يسيرًا، ثم يتطور الخـلافُ، ويتهـدمُ ذاك البيـت العامر، وتلـك الحياة السـعيدة. فـي الأمثـال العربيـة «مُسـتعْظَمُ النار من مُستصْغَرِ الشرر»[1].

إن في القرآن العلاج، اعرض نفسك عليه، افحص تلك العلاقة مع القرآن.

لـو عـاد الزوجـان لـكلام الله وحَبْلِـهِ المَوْصُـول

(١) عجز بيت من الشعر، وصدره: كل الحوادث مبدؤها من النظر.
انظر: غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب: السفاريني (٨٦/١)، والداء والدواء، ابن قيم الجوزية، (ص٣٥٠).

بالسماء، وتعلقا به، وارتبطا بخيره، لوجدا العلاج والنجاة، ولأصبحت حياتهما سعيدة.

إن العلاقة الزوجية ارتباطٌ سِرّيٌّ خاصٌّ جِدًّا، وبتدَبُّرِ الآيات التي تُشير للعلاقة الزوجية، نلحظ أنها تُنبّهُ الزوجين إلى أن يكونَ علاج الخلاف بينهما سريًّا، ولا يتدخل طرفٌ ثالثٌ في تلك العلاقة، وتسألني كيف أفحص ذاتي وأُعالج مُشكِلَتِي؟

اقرأ أول سورة التحريم: ﴿وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣].

استعمل في علاقتك الزوجية التغابي، فرسول الله ﷺ عندما أسرَّ لزوجته وأمرها بعدم إفشاء السر، وخالفته، وجاءه الخبر من السماء، ترفّق ﷺ في إخبارها، وما كسر نفسيتها، عَرَّفها ببعض ما أخبرت به، وأعرض عن البعض الآخر، إن في هذه الآية درسًا للأزواج؛ للرجل وللمرأة، فالتغابي منهجٌ سلكه رسول

اللّٰه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودوّنَـــهُ القرآن، وبِتْنَـــا نتعبد اللّٰه بتلاوةِ هــذا المنهج، فهل يعمل بــه الأزواج مع زوجاتهم؟ وهل تأخذ بهذا الســلوك الزوجات مع أزواجهــن، فيتغاببينَ ويصبرنَ ولا يُحرجنَ أزواجهنَّ.

إن التغابي وســيلةُ إصلاح النفوس، فخُذوها معشر الرجال والنســاء، من القــرآن، وطبقوها في علاقتكم الزوجيــة. اقتــدوا برســول اللّٰه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلكــم فيــه الأســوة الحســنة ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. يقينــي أنَّــكَ؛ أخي، وأنَّكِ؛ أُختاه، ترجُوَانِ اللّٰهَ ورِضاه والفوز في اليوم الآخر، فتغابيا، واذكرا اللّٰهَ كثيرًا، تصلُحُ حالكما.

وعندمــا تطلب الزوجةُ نفقتها فاعلــمْ أيها الرجل، أنك مُلزمٌ بذلك، هي ســيدةُ البيت، وأنت الذي تشــقى لراحتهــا ومتطلباتهــا العادلة التي في مقــدورك، اقرأ قولــه تعالــى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طـه: ١١٧-١١٩]. هــذا النصــ القرآني

خِطابٌ من اللّه -سبحانه- لآدم وحواء، حذّرهما اللّه فيه من غِواية إبليس وما سوف يكون لهما إن أطاعاه ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا﴾؛ إذ الخطاب للاثنين، ثم نبّه سبحانه أن الشقاء سيكون للرجل ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾. ومن هذه الآية استنبط بعض العلماء مسؤولية الرجل نحو نفقة المرأة (المأكل، الملبس، المشرب، المسكن).

ومهما صار من فُتُورٍ في العلاقة الزوجية، فالقرآن خيرُ مُستشارٍ، وفيه خيرُ علاج.

أخي، أختاه، اقرأ آيتي النشوز، اقرآهما معشر الزوجين بتدبّرٍ وتأمّلٍ ورويّة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤].

وقال سبحانه في هذه السورة بعد عِدَّةِ آيات: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨].

نلحظ أن النُّشُوزَ في هاتين الآيتين ورد مختلفًا؛ ففي الآية الأولى يكون النُشُوز من المرأة، وفي الآية الثانية يكون النُّشُوز من الرجل.

والنُشُوزُ في معاجم اللغة هو: ارتفاع يكون في الأرض، قال الزمخشري في تفسيره: «نُشوزُ المرأة: أن تعصي زوجها، ولا تطمئن إليه، وأصله الانزعاج، ونُشوزُ الرجل: أن يتجافى عنها بأن يمنعها نفسَه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة، وأن يُؤذيها بسبٍّ أو ضرب، والإعراض: أن يُعرض عنها بأن يُقِلَّ محادثتها ومؤانستها»[(١)].

وجاء الحكم مختلفًا بين النُشُوزين؛ فحين تَبْدُو للرجل وتظهرُ له علامات الجفوة من امرأته وإشارات النشُوز، فعليه المُبادرة باتخاذ خُطوات العلاج؛ يعِظُها أولًا والوعظ يكون برفقٍ ولينٍ وتُؤدة ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]. ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري، (١/٥٧١).

فإن استجابت وتراجعت فذاك خير، وإن زادَ بُعدها، وتعاظمَ نُفُورها، فليهجرها فــي المضجع، ونصَّ الحقُّ -سبحانه- بأن يكون الهجر في المضجع؛ أي في فراش النــوم، وذاك أدعى للتأديب والتقــارب، وإن أَبتْ وتعذَّرَ التوافــق فله ضربهــا برفق؛ بورقة أو مســواكٍ كما قاله بعض المفسرين، وســتعرف المرأة من تلك الخطوات كيف تَرَفَّقَ زوجُها وتلَطَّفَ في معاملةِ قسوتِها ونُشوزها، فالرجل لــه القوامــة والإمارة حســب النص القرآني ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤]. وكثيــرٌ من النســاء بهذا الــدواء الربّانــي، تصْلُــحُ حالتَهُنّ مــع أزواجِهنَّ، وتذهب غمامةُ الكدرِ بينهم.

أمَّــا إذا كان الخوفُ من نُشُــوز الرجـل نحو امرأته فالحكمُ مُختلف؛ فليس للمرأة أن تُبادر بمعاقبة زوجها، وإنما عليها المُسارعة لترضيته ومُلاطفته؛ فالرجل هو الراعي والمســؤول عن توفير نفقتهــا وحمايتها والذبِّ عنها، وقرار الفراق بيده فكيف تعاقبه؟

إنــه إذا اســتهانت ربَّةُ الأُســرة برئيســها وعُزوتِها ضاع البيتُ، ولم تعد ثمَّة أُسرةٌ مُتماسكة. ثم إن طبيعة الرجل وتكوينه يختلف عن المــرأة؛ فهو الصبور، وهي الأرقُّ، هو الأخشــن، وهي الأنعمُ، هو الأهدأ إثارة، وهي الأســرع عاطفة، نُشوزُ الرجل ثقيلٌ قليل، ونُشُوز المرأة سريعٌ كثير، غضبُ الرجل بطيء، وغضبُ المرأة سريع. ولهذا لا يكون نشــوز الرجلِ إلا لســببٍ قاهر وقليل، في حين يكثر النشــوز من جانب المرأة لأقل شيء تتوهمه سببًا، فطبيعة تكوينها تختلِفُ عن الرجل.

ولهــذا جاء التوجيه الرباني عنــد الخوف من وُقُوع النشوز الذكوري بالرفق والصلح والمصالحة والمُقاربة! ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ [النساء: ١٢٨].

وقد استنبط الشــيخ ابن عثيمين عددًا من الفوائد في آيتي النشوز؛ إذ قال من فوائد الآية الأولى:

* «أن للزوج السلطة على زوجته تُؤخذُ من قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾.

* ومن الفوائد: التدرج في التأديب، التدرج: ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ ثم ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ﴾ ثم ﴿وَٱضۡرِبُوهُنَّ﴾.
* أنه إذا أمكن التأديب بالخطاب الديني الشرعي، فإنه لا يرجع إلى التأديب بالفعل المحسوس؛ لأن اللّٰه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ جعل الهجر والضرب بعد الموعظة، بدأ بالموعظة التي هي تليين القلب بالشرع، فإذا لم يمكن فبالعقوبة.
* الإشارة إلى أن فراش الزوج والزوجة واحد. من قوله تعالى: ﴿وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾. فدل ذلك على أن هجر الإنسان لفراش زوجته لا يكون إلا عند النشوز.
* تحريم نشوز المرأة على زوجها.
* المكافأة بالمثل، أنه عند الطاعة لا يجوز للإنسان أن يبغي عليها سبيلًا.
* التغاضي عما مضى؛ لأنه يشمل ﴿فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًا﴾ يشمل الماضي والمستقبل.
* الإشارة إلى أن الذي له العلو المطلق هو اللّٰه،

فلا تتعـالَ على غيرك. من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾».

ومما أورده الشيخ من فوائد في الآية الثانية قوله:

* «عنـاية اللّٰه عَزَّوَجَلَّ بما يكون بين الزوجين؛ وَجْهُهُ أن اللّٰه ذكر هنا نُشوزَ الزوجِ، وفي أول السورة نشوز الزوجة؛ مما يدل على عناية اللّٰه تعالى بما يكون بين الزوجين؛ لأن الزوجين هما الرابطة، الرابطة التي تربط بين الأولاد، وتربط أيضًا بين الصهر وصهـره، وهـي أحـد النوعين في الربط، كما قال تعـالـى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

* أن من الأزواج من ينشز عن الزوجة، يترفع عليها، يعرض عنها، لا يجلس إليها ولا يستأنس بها ويكلمها بأنفه، لقوله: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾.

* العمل بالقرائن، من أين يؤخذ؟ من قوله: ﴿خَافَتْ﴾، ولم يقل: رأت نشوزًا، بل: ﴿خَافَتْ﴾، ومن المعلوم أنها لم تخف من النشوز والإعراض إلا بوجود القرائن،

والعمل بالقرائن ثابت بالقرآن والسنة، بماذا عمل شاهد يوسف؟ بالقرينة، ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ﴾ [يوسف: ٢٦]، ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾ [يوسف: ٢٧]، وعمل سليمان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في قضائه بين المرأتين بالقرينة حين قال: «**ائتوني بالسكين أشقه بينكما**»، فقالت الصغرى: لا. يرحمك الله، هو ابنها. فقضى به للصغرى[1]، والأمثلة على هذا كثيرة.

* ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه يجوز أن يصطلح الزوجان فيما بينهما على ما شاءا، لقوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾.

* ويتفرع على هذه الفائدة: اطمئنان الزوج فيما لو صالحها على إسقاط حقها أو بعضه، فليطمئن؛ لأن الحق لها، فإذا اصطلحا على أن تبقى عنده ويسقط بعض الحق فلا حرج عليه، والآية هنا فيها ﴿أَن يُصْلِحَا﴾ وقراءة أخرى (**أَنْ يَصَّالحَا**)، وأصل (**يَصَّالَحَا**) يتصالحا.

(١) أخرجه مسلم (٣/١٣٤٤ رقم ١٧٢٠).

* هذه القاعدة العظيمة من الرب الذي هو على كل شيءٍ قدير، وهي ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾ قد يظن بعض الناس أنه إذا غض من نفسه، وتنازل عن الحق أن ذلك هضم لحقه، وأن العاقبة غير حميدة، لكن اللّٰه عَزَّوَجَلَّ الذي بيده ملكوت السماوات والأرض يقول: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾.

* الإشارة إلى أن الصلح ثقيل على النفوس، لكن المؤمن يهون عليه الثقل إذا كان يؤمن بأن الصلح خير، يؤخذ من قوله: ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾، بطبيعة الإنسان أنه لن يتنازل عما يريد، ولن يتغاضى عن حقه، هذا طبيعة الإنسان، لكن المصالحة التي هي خير لا بد من ثمن يبذل، وهو الضغط على النفس التي أحضرت الشحّ حتى توافق على الصلح»[1].

هـذا وبعـدُ ففي كتـاب اللّٰه كلُّ شـيء ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

---

(١) تفسير القرآن الكريم، ابن عثيمين، تفسير سورة النساء، آية: ١٢٨.

لقد أرشد القرآن إلى أسس الوئام وتمتين العلاقة بين الزوجين، وعالجَ الجفوةَ بينهما، ونبّه إلى خصوصيتها وسريتها، فمن الخير للزوجين أن لا يعلم بخلافهما أحد، وأن لا تخرج الجفوة بينهما خارج غرفة النوم؛ لأن ذلك أدعى للصلح وأقرب للاتفاق، وقد ألمحت الآية الكريمة في نُشُوز المرأة لهذه الخصوصية؛ يعظها، والوعظ المنفرد تركيزه أكثر وتأثيره أبلغ، فلا طرف خارجي يُشتت الذهن ويُحرج الموعوظ، وإن تمنعت ولم تقبل الوعظ فيهجرها، والهجر في المضجع وتلك عقوبة سرية خاصة جدًّا، ثم الضرب الناعم، ضرب غير مبرح، عن معاوية بن حيدة القشيري، قيلَ لرسولِ اللّٰهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ما حقُّ المرأةِ على الرجلِ؟ قال: «**يطعمُها إذا طَعِمَ، ويكسوها إذا اكْتَسى، ولا يضربُ الوجهَ ولا يقبحُ إلّا ضربًا غيرَ مبرحٍ ولا يهجرُها إلّا في المبيت**»[1].

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢١٧/٣٣ رقم ٢٠٠١٣)، والحاكم (٢٠٤/٢ رقم ٢٧٦٤)، وصححه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩٥/٢ رقم ١٩٢٩).

وعنـد نُشـوز الرجـل ورد الصلـح، لكـن بتحديـد (بينهما)، وفي قراءة (أن يصَّالحا بينهما)، فلا يتدخل طرفٌ خارجي لا أمٌّ ولا أبٌ ولا ابنٌ ولا ابنة، ولا غيرهم. إن اللّه -سبحانه- وهو الخالق، يعلم بحالة النفوس وضعفها وحرجهـا مع الغير؛ ولهذا ورد التوجيه بالمصالحة، ثم تأكيدُ وتعميمُ خيريةِ الصلح. رزقنا اللّه نور البصيرة.

ثم إن الزواج ارتباطٌ بين أُسرتين مُتباعدتين، فقد حرّم اللّه ومنعَ زواج المحـارم بعضُهُم من بعض، ومِنْ هنا جاء الزواجُ بروابط جديدة بين أُسرتين مُختلفتين، ونشـأت العلاقة الزوجية في مرحلة الفُتوة والشـباب، ولهـذه المرحلـة العُمريَّـةِ تبعاتها من العجلة ونسـيان مآلات الزواج، فليس الزواج تماسٌّ وقضاءُ وطَر، بل هو بنـاءُ بيتٍ جديد، وامتدادُ حياةِ بيتين سـابقين، وتربيةُ أطفال، وإعدادُ أُسَـرٍ جديدة. وفي القرآن الكريم تنبيهٌ لهذه العلاقة الزوجية التي أراد اللّه بها استمرارَ عِمارة الأرض حتى تقوم الساعة، اقرأ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا

﴿كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

أنتَ وأنتِ، وأنا وهو، نحن الذين بثَّهمُ اللّٰه في أرضه، وأمر كلا الزوجين بتقوى اللّٰه. مما قاله الشيخ ابن سعدي في تفسيره: «قرن الأمر بتقواه بالأمر ببرِّ الأرحام والنهي عن قطيعتها، ليؤكد هذا الحق، وأنه كما يلزم القيام بحق اللّٰه، كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصًا الأقربين منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حق اللّٰه الذي أمر به»[١].

ويقول الشيخ كذلك: «وتأمل كيف افتتح هذه السورة بالأمر بالتقوى، وصلة الأرحام والأزواج عمومًا، ثم بعد ذلك فصل هذه الأمور أتم تفصيل، من أول السورة إلى آخرها. فكأنها مبنية على هذه الأمور المذكورة، مفصلة لما أُجمِل منها، موضحة لما أُبهِم. وفي قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ تنبيه على مراعاة حق الأزواج

(١) تيسير الكريم الرحمن إلى تفسير كلام المنان، (ص١٦٣).

والزوجـات والقيام بـه، لكون الزوجـات مخلوقات من الأزواج، فبينهـم وبينهـن أقرب نسـب وأشـد اتصال، وأقرب علاقة»[١].

ومما قاله الشيخ ابن عثيمين: «﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ ولم يقل: زوجتها؛ لأن اللغـة الفصحى أن الزوج يطلق على الرجل والمرأة»[٢].

وورد في تفسير ابن عطية: «قالَ ابْنُ عَبّاسٍ ومُجاهِدٌ والسُّدِّيُّ وقَتادَةُ: إنَّ اللَّهَ تَعالى خَلَقَ آدَمَ وحْشًا في الجَنَّةِ وحْدَهُ، ثُمَّ نـامَ فانْتَزَعَ اللَّهُ أحَدَ أضْلاعِهِ القُصَيْرى مِن شِـمالِهِ، وقِيلَ: مِن يَمِينِهِ فَخَلَقَ مِنهُ حَوّاءَ، ويُعَضِّدُ هَذا القَـوْلَ الحَدِيـثُ الصَحِيحُ في قَوْلِـهِ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: «إنَّ المَرْأةَ خُلِقَتْ مِن ضِلَعٍ، فَإنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُها كَسَـرْتَها، وكَسْرُها طَلاقُها»[٣].

(١) السابق، (ص١٦٣).

(٢) تفسير القرآن الكريم، ابن عثيمين، تفسير سورة النساء، آية: ١.

(٣) أخرجه مسلم (١٠٩٠/٢رقم ١٤٦٨)، وانظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي (٤/٢).

وثمة أمرٌ آخر نبَّه القرآن إليه، وهو السحر والسحرة؛ فللسحرة أثرُهم في التفريق بين الزوجين وتباعدهما. قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وفي القرآن العلاج والشفاء من ذلك قراءة المعوذات، وتلاوة الأوراد، والصدقة، ويُذكِّرُ اللّٰه في كتابه بعملٍ يزيد في الإصلاح بين الزوجين، اقرأ قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. فبادِرَا لعملِ الخير، تصْلُحُ أُمُورُكُما؛ تَصَدَّقا، أسرِعَا وأَحْسِنَا القولَ والمعاملة

لأقرباء كُلٍّ منكما، صِلا أرحامكما الأقربين والأبعدين.

«عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ تَعالى: أنا الرَّحْمَنُ وهي الرَّحِمُ اشْتَقَقْتُ اسْمَها مِنِ اسْمِي فَمَن وصَلَها وصَلْتُهُ ومَن قَطَعَها قَطَعْتُهُ**»[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما مِن شَيْءٍ أُطِيعَ اللهُ فِيهِ أَعْجَلَ ثَوابًا مِن صِلَةِ الرَّحِمِ، وما مِن عَمَلٍ عُصِيَ اللهُ بِهِ أَعْجَلَ عُقُوبَةً مِنَ البَغْيِ واليَمِينِ الفاجِرَةِ**»[2].

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ الصَّدَقَةَ وصِلَةَ الرَّحِمِ يَزِيدُ اللهُ بِهِما في العُمُرِ، ويَدْفَعُ بِهِما مِيتَةَ السُّوءِ، ويَدْفَعُ اللهُ بِهِما المكروهَ والمحذورَ**»[3].

وقالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ عَلى ذِي الرَّحِمِ**

---

(١) أخرجه أبو داود، (١٦٩٤)، وصححه الألباني، صحيح أبي داود، (١٦٩٤).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، (١٠/٣٥).

(٣) الهيثمي، مجمع الزوائد.

الكاشِح»[1]. قِيلَ: الكاشِحُ العَدُوُّ، فَثَبَتَ بِدَلالَةِ الكِتابِ والسُّنَّةِ وُجُوبُ صِلَةِ الرَّحِمِ واسْتِحْقاقُ الثَّوابِ بِها»[2].

أَكْثِرَا من الدعاء والتذلّل للّهِ؛ رغبةً في خيره، وحذرًا من غضبه -سبحانه- واستَحْضِرا العظمة الربانية والخشوع والخضوع لِلّه جَلَّجَلَالُهُ في كل وقت وحين، تصلح أموركما، فهو حسبُنا ونعم الوكيل.

(١) أخرجه أحمد (٢٣٥٣٠)، والطبراني في «الأوسط» (٣٢٧٩) والحميدي (٣٣٠)، وابن خزيمة (٢٣٨٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١١٠).

(٢) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، (١٧٢/٩).

قُدُواتُنا والابتلاءات

القرآنُ كرامةٌ من اللّهِ ونِعمة، ومائدةٌ سماويةٌ ننهلُ من زادها، ونلجأُ إليها نستهدي ونتعلم.

احرِص أن تعرض نفسك على تلك المائدة كُلَّ حينٍ، وستجد الغذاء، وستلقى الهداية، وسترى الرَّشاد، وستقرأ قصص القُدوات الأخيار، رُسل اللّه عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ.

عندما تتعرض لحالة ابتلاء بفقدِ حبيب، أو خسارةِ مالٍ، أو أيِّ عَرَضٍ دُنيوي فاقرأ القرآن، واعرضْ نفسَك عليه؛ فكلما قرأته عرفت أن ابتلاءات اللّه عامة؛ ابتُلِيَ أنبياء اللّه ورسله! فالخلق والوجود ليس عبثًا وترفًا، إنما هو ابتلاءٌ واختبار ورجعة ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

اقرأ القرآن، فكلما قرأتَه، وفحصت نفسك تعلّمت دروسًا في الصبر والتحمل!

ما من فردٍ إلا ويتعرّض لحالات حُزْنٍ وألمٍ، فهل نستسلمُ للأحزان؟

كلما قرأتَ القرآن علِمْتَ ما أصاب قُدواتنا من ابتلاءات؛ فنبيُّ الله نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ اُبتلي بعناد قومه؛ إذ لبِث فيهم ألفَ سنة إلَّا خمسين عامًا يدعوهم ويترجّاهم التعقّلَ والإيمانَ بالله، فيسخرون منه، ويصبر ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤].

رجالٌ عظماء، وسنواتٌ طوالٌ يصبرُ فيها نوحٌ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ويتحمل عناء الدعوة إلى الله، وتزدادُ معاناةُ نوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بكفر أقرب الناس إليه؛ بكفر ابنه وزوجه، فيصبرُ ويتحملُ ويستمرٌّ في الدعوة إلى الله، وتكون له العاقبة الحسنة أن أغرق الله الكفرة، وصار امتدادُ البشر منه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. يقول الشيخ ابن سعدي: «﴿وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ﴾ [الصافات: ٧٧] أغرق جميع الكافرين، وأبقى نسله وذريته

متسلسلين، فجميع الناس من ذرية نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وجعل له ثناءً حسنًا مستمرًّا إلى وقت الآخرين؛ وذلك لأنه مُحسنٌ في عبادة الخالق، مُحسنٌ إلى الخلق، وهذه سنّته تعالى في المحسنين، أن ينشر لهم من الثناء على حسب إحسانهم»[1].

أين نحن من صبر نوح وجُهْده؟! قُرونٌ وهو يدعو قومه، ويصبرُ على أذاهم. لنفحص ذواتنا، كم بذلنا من الوقت لخدمة ديننا؟ وكيف رقابتنا لأُسرنا؟

ابْتُلِيَ إبراهيم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ببلاءٍ يعْجَزُ عنه ملايينُ البشر، بلاءٌ وصفه اللهُ سبحانه بالبلاء الواضح الجَلِي، ابتُلي برؤيا ذبح ابنه، فعزم على التنفيذ وصبر ونال الفوز ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٢-١٠٦].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص٧٠٥).

يقول ابن سعدي: «﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي امتُحن به إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ﴾؛ أي: الواضح، الذي تبين به صفاء إبراهيم، وكمال محبّته لربه وخلّته، فإن إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما وهبه اللهُ لإبراهيم، أحبَّهُ حُبًّا شديدًا، وهو خليل الرحمن، والخُلّة أعلى أنواع المحبّة، وهو منصبٌ لا يقبل المشاركة، ويقتضي أن تكون جميع أجزاء القلب متعلّقة بالمحبوب، فلما تعلّقت شعبة من شعب قلبه بابنه إسماعيل، أراد تعالى أن يصفّي وُدَّه، ويختبر خلّته، فأمره أن يذبح من زاحمَ حُبُّه حُبَّ ربِّه، فلما قدّم حبَّ الله، وآثره على هواه، وعزم على ذبحه، وزال ما في القلب من المزاحم، بقي الذبح لا فائدة فيه؛ فلهذا قال: ﴿لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ﴾»[1].

ويتنوع ابتلاءُ إبراهيم ويصبر، وتكون له العاقبة الحسنة، يُضْرِمُونَ النار ويقذفون به فيها، وأنّى لهم ذلك ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨-٧٠].

---

(١) المصدر السابق، (ص٧٠٦).

يقـول الشـيخ الشـعراوي: «في هذا الموقف تظهر طلاقــة قُدرة اللَّه في الكون، فإن اللَّه -سـبحانه- خَلَقَ لِلمُسـبِّبات أسبابًا، ثم قال للأسـباب: أنتِ لستِ فاعلةً بذاتِـكِ، ولكن بإرادتي وقُدرتي، فـإذا أردتُكِ ألَّا تفعلي أبْطَلْتُ عملَكِ، وإذا كُنتِ لا تنهضين بالخير وحدك فأنا أجعلـك تنهضين به. فنبيُّ اللَّه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان من المُمكـن ألا يُمَكِّنَ خصومَهُ من القبضـ عليه، أو يُنزل مطرًا يُطفئُ ما أوقدوه من نار، لكن ليسـت نِكاية القوم فـي هذا، فلو أفلَتَ إبراهيم من قبضتِهم أو نزل المطرُ فأطفأ النار لقالوا: لوكُنا تمكنَّا منه لفعلنا به كذا وكذا، ولـو لم ينـزل المطـر لفعلنا به كـذا وكذا. وشـاء اللَّه أن يكيـدَ لهم، وأن يظهـر لهم طلاقةُ القـدرة الإلهية، فيُمكِّنَهـم مـن إبراهيم حتـى يُلقوه في النـار فِعلًا، ثم يأتـي الأمـر الأعلى مـن الخالـق -سـبحانه- للنار أن تتعطّل فيها خاصّيــة الإحراق ﴿قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾»[1].

(١) تفسير الشعراوي، (١٥/٩٠٢١).

ويتعاقب رسلُ الله وأنبياؤه في الدعوة إلى الله، وتحمُّلِ جهالةِ أقوامهم ويفوزون، ويخسرُ المعاندون المتكبرون العُصاة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

حين أحاط قومُ لوطٍ به، وجاؤوا إليه يهرعون لفعل الفاحشة في ضيوفه؛ خِسَّةً ودناءةً وازدراءً بنبي الله عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وامتهانًا لكرامته، اشتدَّ به الكرب، ثم كان الفرج والإهلاك للمجرمين ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾ [هود: ٧٧-٨٣].

لقــد وصف القــرآن الكريــم أولئك القــوم بفاقدي الرُّشــد ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾، كما وصفهم بالمفسدين ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٠]، ووسمهم بالفسق ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٤].

وكان لهــم عــذاب الاســتئصال العنيــف، وذكــر -ســبحانه- أنه أبقى خبرهم وعقابه لهم آيةً واضحةً، فليعتبر العقلاء ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٥].

وكُلُّ مَنْ ســلَك طريــق قوم لُوطٍ فَقَدْ؛ فَقَدَ الرُّشْــد، وظلــم وطغــى، فكانــت نهايته الهــلاك، يقــول تعالى: ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾، حتى مَــنْ رضي فعلهم. تلك زوجــةُ لُــوط غلبتها الشــقاوةُ، فكفرتْ ورضيــتْ أعمال قومها القذرة، فأصابها العــذاب، وهلكت مع الهالكين ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [النمل: ٥٧].

ونسمع في هذا العصر تسمياتٍ جديدة لذاك الفعل القــذر (مُثليين) لتحســين عملهم، وتُقِــرُّ بعض الدُّول

تشـريعاتٍ لسـلوكهم المُنحرف. وفي القـرآن الوصف الحقيقي والتسمية الفعلية لهم؛ فهم أهل السُّوء والفُسق والخبائث ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

ارجعْ للقرآن، واسترشـدْ به في منهجك السـلوكي، واستنرْ به طريق حياتك.

ويختـم الحـقُّ -سـبحانه- النبـوات ببعثـة محمد ﷺ، وفـي سـيرته دروسٌ وعِبَرٌ، فأيـن نحن من قراءتها والتَّعَلُّمِ منها؟!

إن فـي سـيرة نبينـا محمد ﷺ، وفـي صبره وتحمّله، المنهجَ الحق، المنهجَ الواجب تأمّله، ودراستُه وتدريسه!

ابتلي ﷺ باليتم، بفقْدِ الأب، ثم فَقدِ الأم في طفولته، وابتُلي بعناد قومه، وحسد ثُلّةٍ من أعيانهم له، وبعداوةِ أقربِ الناس إليه ﷺ؛ عمّه أبو لهب.

وابتلي بتمنُّعِ أحبِّ الناس إليه عمُّه أبو طالب؛ أبى الهدايةَ وامتنع، فصبرَ رسول الله ﷺ وما يئس، ظلَّ يُلحُّ ويترجّى هدايةَ عمّه، ويأبى حبيبه الغالي أبو طالب ويموتُ على الشرك!

ويستمرُّ ﷺ في الدعوة ثلاثَ عشرةَ سنة بمكة، يتحمّلُ أذى قومه وسفاهتهم، ويبلغ الجهدُ منه مبلغَه، فينزلُ عليه مَلَكُ الجبال فيُسلِّمُ عليه ﷺ، ويستأذنه بأن يطبق (الأخشبين) على أهل مكة، ولكنه -بأبي هو وأمي- يصبرُ عليهم وهم يكيدونه، ويترفّقُ بهم وهم يؤذونه، ويقول كلمته الخالدة لمَلَكِ الجبال: **لا، اتركْهم، لا، دعْهم، لا، أمهلْهم لعلّ اللهَ يُخْرِجُ من أصلابهم عُبَّادًا لله!**

ويصبر ﷺ، وتكون له العاقبة الحسنة فيهتدي كثيرون، ويدخل الناس في دين الله أفواجًا ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ١-٣].

ويمضي التاريخ والابتلاءات ماضية، ويتكرر ما ورد في أول سـورة العنكبـوت ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

اِلْجأ للقرآن الكريم في يُسـرك وعُسـرِك، تجد فيه الأمر بالتوكل على اللّه، ومنْ توكلَ على اللّهِ كفاه ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٣].

إذا مسَّـكَ أيُّ ضُرٍّ وأيُّ ابتلاء، فلا تحزن، فالحزنُ يجلِبُ الحُزنَ، ولكن أمسـكْ بحبلِ القرآن، فهو موصَولٌ بالسـماء، ومـن تعلّق بـه نجا. عـن جبير بـن مطعم: «أَبشِـروا، فـإنّ هـذا القرآنَ طرفُـه بيـدِ اللّهِ، وطرفُه بأيديكم، فتمسَّـكوا بـه، فإنكم لن تَهلِكـوا، ولن تَضلُّوا بعده أبدًا»(١).

ربّاه، لك الحمد.

---

(١) أخرجه البزار (٣٤٢١)، والطبراني (١٢٦/٢)، (١٥٣٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم٣٤)..

عجبـي كيـف الغفلـة عـن حبـلِ النجـاة المُتّصل بالسـماء! تعلَّقْ به، وعُدْ إليه كل حين ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

واعلـمْ أن الابتلاء مثلما يكون بالألم والشـر، يكون بالفرح والخير، فلا تغترّ بعطاء اللّٰه واشـكره. ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

إنه القرآن، تدبَّرْه، واعرضْ نفسَـك عليه كُلَّ حين؛ كي تصقلَ نفسَك، وتتجدد حياتك.

اللهمّ اجعلنا ممَّن يستمعون القول فيتَّبعون أحسنَه.



القول والعمل

تسـمعُ قولَ بعض المُتحدثين فيُعجِبُكَ، وترى عمَلَهُ فيَسُـوؤكَ، وشتّان ما بين القول والعمل! فكيف أنت بين قولك وعملك؟ احذرْ أن تكون ذاك الشخص الذي يقول ولا يفعَـل، فالقـرآن ينهـاك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

اكْشِف ذاتك بجهاز الفحص القرآني، فالله -سبحانه- يعْلَم حالتَـك نطقتَ أو لم تنطق، جهـرت بالقول أو لم تجهر ﴿وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [طه: ٧].

تمضـي حياتُـك وأنت غافـلٌ تتحدث بحُلُـو القول، وحيـن العمـل تحِيدُ عمـا وعَظتَ به ودعـوت إليه، لكن

حيـن تقرأ القرآن، تتنبَّه لزللك وخَطَلِكَ، وتتذكر رقابة الله ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وسْوَسَــةُ نفسِــكَ معلومــةٌ للّه. لا مفـرَّ ولا مهـرب، فالحــذرَ الحذر، ليكن باطنك كظاهـرك، وليَكُنْ قولك مرآةً لِعملك ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٦-١٨].

تذكـر أن معك رقيبًا عتيـدًا، أي مُلازمٌ لك مُراقبٌ حاضرٌ لا يفوته شيء.

اجلـس على انفـراد وفي خلـوةٍ مع نفسـك، وافتحِ المصحـف، وتأمَّـل قولـه تعالـى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١-٦].

افحص نفسك في ضوء هذه الآيات، وحاسب نفسك قبل ذاك اليوم العظيم؛ فهل أنت تطفّف في تعاملك مع الآخرين؟

هـل يغلبُك حـبُّ الدنيا، فتختلسُ مـن وقت عملك وأنت لا تشعر؟

هل أنتَ في أداءِ الحقوقِ تتكاسلُ وتتراخى؟

هل أنتَ سمحٌ في إمضاء بيعك فلا تبخَس المُشتري، ولا تُخفي عليه عيبًا خفي في بضاعتك؟

هل وهل، ثم هل وهل؟ تساؤلات كثيرة في أسلوب المحاسبة والفحص القرآني للذات في حياتها العملية.

إن القرآن الكريم بين أيدينا نتلوه ونغفلُ عن تطبيق أحكامه! فهذه السورة التي مفتتحها ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ تُحذِّرُ من اختلاس القليل، فكيف بالكثير؟

تـدارَكْ نفسَـكَ واحـذرْ أن تكـون ذاك الذي يجمع السوأتين (حشفًا وسوءَ كَيل؟!)[1].

(١) انظر: مجمع الأمثال، الميداني، (١/٢٠٧).

احـذرِ السـوأةَ القليلـة القليلـةَ، سـوف تجدها في ميزان حسـناتك، فـي ذاك اليـوم العظيم ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وزنُ حبّةِ الخردل محفوظٌ وسيكُون أمامك حاضرًا، فهل تنَبَّهْتَ لذاك الميزان الذي ينتظرك؟

تَذَكَّـرْ وَزْنَ الخردَلَةِ وأنتَ في متجرك أو في مكتبك أو فـي محاضرتـك، أو في كل حـالات أدائـك لحقوق الآخرين. إنه القرآن شـاهدٌ علينا في دنيانا، فهل نَتَنَبَّهُ ونفحصُ ذواتنا، ونُراجع أداء أعمالنا!

إن تذكـر هـذه الرقابـة الربّانيـة والوعيـدَ الإلهي للمطففين (بالويل)، وللكذابين الذين يقولون ولا يفعلون (بالويـل) أيضًـا ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ﴾ [الجاثيـة: ٧]. إنـه وعيدٌ حقيقيٌّ، فالحذرَ الحذر.

تَذَكُّرُ رقابة اللّه لَكَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

إنها رقابةٌ شـاملةٌ كلَّ شـيءٍ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢].

(الويـل) المَوْعُود بـه ذاك المُطفِّف، ذاك الكذاب الأثيـم الذي يقول ولا يفعـل، قال عنه ابن عاشـور في تفسـيره: «﴿وَيْلٌ﴾ كَلِمَـةُ دُعَـاءٍ بِسُـوءِ الحـالِ، وهي في القُرْآنِ وعِيدٌ بِالعِقابِ وتَقْرِيعٌ»[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين: ﴿وَيْلٌ﴾ تكرَّرت في القرآن كثيرًا، وهي على الأصح كلمةُ وعيدٍ يتوعَّد اللّٰه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بها مَـن خالَف أَمْرَه أو ارتكبَ نهيَـه على الوجه المقيَّد في الجملة التي بعدها.

فهنـا يقـول عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففيـن: ١]، **فمَـن هؤلاء المطفِّفون؟**

هؤلاء المطفِّفون فسَّرتهم الآيات التي بعدها، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ٢، ٣].

---

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، (٣٠/١٨٩).

﴿إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يعني: اشتروا منهم ما يُكال، استوفوا منهم الحقَّ كاملًا دون نَقْص.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ يعني: إذا كالوا لهم؛ بأن كانوا هم الذين باعوا الطعام كيلًا، فإنهم إذا كالوا للناس أو باعوا عليهم شيئًا وزنًا إذا وَزَنوا للناس نقصوا؛ ﴿يُخْسِرُونَ﴾، فهؤلاء -والعياذ بالله- يستوفون حقَّهم كاملًا وينقصون حقَّ غيرهم، فجمعوا بين الأمرين؛ بين الشُّحِّ والبخل؛ الشُّح في طلب حقِّهم كاملًا دون مراعاةٍ أو مسامحة، والبخل بمنع ما يجب عليهم من إتمام الكيل والوزن.

وهذا المثال الذي ذكره الله عَزَّوَجَلَّ في الكيل والوزن هو في الحقيقة مثال، فيُقاس عليه كلُّ ما أشبه، كلُّ مَن طلب حقَّه كاملًا مِمَّن هو عليه ومنعَ الحقَّ الذي عليه فإنه داخلٌ في الآية الكريمة؛ فمثلًا الزوج يريد من زوجته أن تعطيه حقَّه كاملًا، ولا تتهاون في شيءٍ من حقِّه، لكنَّه عند أداء حقِّها يتهاون ولا يعطيها الذي لها،

وما أكثر ما تَشَكّى النساءُ من هذا الطراز من الأزواج، والعيـاذُ باللّٰه؛ حيـث إنَّ كثيـرًا من النســاء يريد منها الـزوج أن تقوم بحقِّه كاملًا، لكنَّه هـو لا يعطيها حقَّها كامـلًا، ربمـا ينقص أكثـر حقِّها من النفقة والعِشـرة بالمعروف وغير ذلك.

والغريـب أنَّ هـذا يقـع كثيـرًا مـن النـاس الذين ظاهِرهـم الالتـزام، حتى إنَّ بعض النســاء تقـول: أنا ما اختـرتُ قبـول هـذا الـزوج إلا لِمَـا له من السُّـمعة الحسـنة والالتـزام. فإذا بـه ينقلب ويكون أسـوأَ حالًا بالنسـبة لزوجته من أهل الفسـق، فلا أدري عن هؤلاء الذيـن ظاهرهم الالتـزام، هل يظنُّـون أنَّ الالتزام أن يقوم الإنسـان بعبادة اللّٰه فقط ويُضيع حقوقَ الناس؟! إنَّ ظُلم الناسِ أشدُّ من ظُلم الإنسان نفسَه في حقِّ اللّٰه؛ لأنَّ ظُلم الإنسـان نفسَـه في حقِّ اللّٰه تحت المشيئة إذا كان دون الشـرك؛ إن شاء اللّٰه غفر له، وإن شاء عاقبه عليـه، لكن حق الآدميِّين ليـس داخلًا تحت المشـيئة،

لا بـدَّ أن يُوفَـى، ولهذا قـال النبـي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ[1]: «**مَنْ تَعُـدُّونَ الْمُفْلِسَ فِيكُـمْ؟**». قالـوا: مَـن لا درهم عنده ولا دينـار، أو قالـوا: ولا متاع. قـال: «**لَا، الْمُفْلِسُ مَنْ يَأْتـي يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ بِحَسَـنَاتٍ أَمْثَالِ الْجِبَـالِ** -كثيرة- **فَيَأْتِـي وَقَدْ ظَلَمَ هَذَا، وَشَـتَمَ هَذَا، وَضَـرَبَ هَذَا، وَأَخَذَ مَالَ هَذَا، فَيَأْخُذُ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَـذَا مِنْ حَسَـنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَـنَاتِهِ، فَـإِنْ بَقِيَ مِنْ حَسَـنَاتِهِ شَـيءٌ، وَإِلَّا أُخِـذَ مِـنْ سَـيِّئَاتِهِمْ فَطُـرِحَ عَلَيْهِ ثُـمَّ طُرِحَ فِـي النَّـارِ**». فنصيحتي لهـؤلاء الإخوة الذين يفرِّطـون في حقِّ أزواجهم سـواءٌ كانـوا من الملتزمين أو مـن غيرهم أنْ يتَّقـوا الله عَزَّوَجَلَّ؛ فإنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصى بذلك في أكبر مجمعٍ شَهِده العالَم الإسلامي في حياة الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في يوم عرفة في حجَّة الوداع، قال[2]: «**اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ**»، فأَمَرنا أن نتَّقي

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨١ / ٥٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٢١٨ / ١٤٧) من حديث جابر بن عبدالله.

اللّه تعالى في النســاء، وقال[1]: «**اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّهُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ**». أي: بمنزلة الأسرى؛ لأنَّ الأسير إن شــاء فكَّه الذي أَسَــره، وإن شــاء أبقاه، المرأة عند زوجهــا كذلــك إن شــاء طلَّقهــا وإن شــاء أبقاها، فهي بمنزلة الأسير عنده، فليتَّقِ اللّه فيها.

كذلك أيضًا نجد بعضَ النــاس يريــد من أولاده أن يقوموا بحقِّه على التمام لكنَّه مفرِّطٌ في حقِّهم، فيريد مــن أولاده أن يبرُّوه ويقوموا بحقِّــه؛ أن يبرُّوه في المال وفي البَدَن، وفي كلِّ شيءٍ يكون به البر، لكنَّه هو مضيِّعٌ لهــؤلاء الأولاد، غيرُ قائمٍ بما يجب عليه نحوهم، نقول: هذا مطفِّف. كما نقول في المســألة الأولى -في مسألة الــزوج مع زوجتــه-: إنَّــه إذا أراد منهــا أن تقوم بحقِّه كاملًا وهو يبخــس حقَّها، نقــول: إنَّه مطفِّف. هذا الأب الــذي أراد مــن أولاده أن يبرُّوه تمام البــرِّ وهو مقصِّر فــي حقِّهم نقول: إنك مطفِّف. ونقول له: تذكَّر قولَ اللّه

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٦٩٥) من حديث عم أبي حرة الرقاشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

تعالــى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١-٣]»[١].

أخرج البخاري، ومسـلم واللفظ له، بسنديهما من حديث ابن عباس قال: «قام فينا رسول الله ﷺ خطيبًا بموعظةٍ، فقال: «**يا أيها الناسُ، إنَّكم تُحشَرون إلـى الله حفـاةً عُـراةً غُـرْلًا**؛ ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]...»[٢]. **الحديث.**

وفــي آية أخرى يأمر سـبحانه بوفـاء الكيل والوزن ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥].

ولهـذا يتناقل المؤرخون سـماع عمر بـن الخطاب حديث الفتاة مع أمها بإعجابٍ وإطراء؛ إذ قالوا: «بينما أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يعسُّ في بعض الليالي، وإذا

---

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة المطففين، الآية: ١-٣.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم، (٥٨/٢٨٦٠).

به يسمع امرأةً تقول لابنة لها: قومي إلى ذاك اللبن فامذقيه بالماء -أي اخلطيه بالماء- فقالت البنتُ: يا أمَّاه أو ما قد علمتِ بما كان من عزْمَةِ أميرِ المؤمنين؟

قالت الأمُّ: وما كان من عزمته يا بنيَّة؟

قالت البنتُ: إنّه أمرَ مناديه فنادى: لا يُشابُ اللبنُ بالماء.

فقالت الأمّ: أي بنيّة قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء، فإنك بموضعٍ لا يراك فيه عمرٌ ولا منادي عمر.

وسمع عمر هذه المحاورة بين الأم وابنتها، فقالت البنت: يا أمّاه إن كان عمر لا يرانا ولا يعلم، فإله عمر يرانا ويعلم، والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاءِ.

تستشعر البنتُ رقابة الله، وتمتنع من الغشِّ والتطفيف، ويسمع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هذا الحوار، ويسُرُّه

جواب الفتاة، ووقعت مقالتها منه موقعًا عظيمًا، فقال: يا أسلم -خادمه المُرافق له- عَلِّمِ البابَ، واعرف الموضع، ثم مضى في عسِّه، فلما أصبح قال: يا أسلم، امضِ إلى الموضع فانظرْ من القائلة، ومن المقول لها، وهل لهما من بعل؟ قال أسلم: فأتيت الموضع، فنظرتُ فإذا الجارية من بني هلال، أيِّم لا بعلَ لها، وإذا تيكَ أمُّها، ليس لها بعل، فأتيت عمر وأخبرته، فدعا عمر ولده عبدالله وعبدالرحمن وعاصمًا، وقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه؟ لو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه منكم أحد إلى هذه الجارية، فقال عبدالله: لي زوجة، وقال عبدالرحمن: لي زوجة، وقال عاصم: يا أبتاه لا زوجة لي فزوجني، فبعث إلى الجارية، فزوجها عاصمًا، فولدت له محمدًا وبنتًا هي أمُّ عاصم، فتزوجها عبدالعزيز بن مروان بن الحكم فولدت له عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وعاصم بن عمر بن الخطاب هو جد عمر بن عبدالعزيز لأمهِ.

إن هــذه القصــة الخالــدة، وذاك الموقف الســويُّ لتلــك الفتاة نال الإعجاب، وأبقى ذكرها خالدًا تتناقله الأجيال، فكيف برضا الله، وهو الخير والنعمة!

فاحرص أن يكون فعلك معبِّرًا عن قولك، وعاكسًــا باطنك!



كُلَّما...

اقرأ القرآن كلما ضاق صدرك، وكلما شعُرتَ بالهم نعوذ بالله من الهموم، فقد جعله الله بشــارةً وطُمأنينة ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡ﴾ [الأنفال: ١٠].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

مما ذكره الشــيخ الشــعراوي في تفسيره، قال: «إن ســيدنا جعفر الصادق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ كان عالمًا بكنوز القرآن، وبالنفس البشــرية، وما يعتريها من تقلُّبات تُعَكِّرُ عليها صَفْو الحياة مــن خوفٍ أو قلقٍ أو هــمٍّ أو حزنٍ أو مكر، أو زهــرة الدنيا وطموحات الإنســان فيها، فكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ يُخرج لهذه الداءات ما يناســبها من علاجات القرآن،

فكان يقول في الخوف: «عجبت لمن خاف ولم يفزع إلى قول الله تعالى: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، فإني سمعت الله بعقبها يقول: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤].

وعجبتُ لمن اغتمَّ -لأن الغَمَّ انسداد القلب وبلبلة الخاطر من شيء لا يعرف سببه- يقول: عجبتُ لمن اغتمَّ، ولم يفزع إلى قول الله تعالى: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فإني سمعت الله بعقبها يقول: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، ليس هذا فقط، بل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]، وكأنها (وصْفة) عامة لكل مؤمن، وليست خاصة بنبيّ الله يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقوْلُ المؤمن الذي أصابه الغمّ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]؛ أي: لا مفزع لي سواك، ولا ملجأ لي غيرك ﴿إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] اعترافٌ بالذنب والتقصير، فلعلَّ ما وقعتُ فيه من ذنب، وما حدث من ظلمٍ لنفسي هو سببُ هذا الغمِّ الذي أعانيه.

وعجبتُ لمن مُكر بـه، كيف لا يفزع إلى قول اللّٰه تعالى: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤]، فإني سمعت اللّٰه بعقبها يقول: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ [غافر: ٤٥]. فاللّٰه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الذي سيتولى الرد عليهم، ومقابلة مكرهم بمكره سبحانه، كما قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤].

وعجبتُ لمن طلب الدنيا وزينتها -صاحب الطموحات في الدنيا المتطلع إلى زخرفها- عجِبتُ كيف لا يفزع إلى قول اللّٰه تعالى: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩]، فإني سمعت اللّٰه بعقبها يقول: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٤٠]. فإن قلتَها على نعمتك حُفظتْ ونمَتْ، وإن قلتَها على نعمة الغير أعطاك اللّٰه فوقها»[1].

وجاء هذا القول عن جعفر الصادق في كتاب عجائب القرآن لفخر الدين محمد بن عمر الرازي، وذكر بعده قول سفيان بن عُيينة: «أن اللّٰه لما قال:

---

(١) تفسير الشعراوي: (١٤/٨٩١٤-٨٩١٥).

﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، فقـد وعَـدَ كُلَّ مُؤمـن يقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أن يُنجيـه من الغَمِّ، ومعلومٌ بالضرورة أن اللّٰه لا يُخلفُ الميعاد[1].

وصـدق الإمـام جعفر الصادق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ففـي القرآن الشـفاء من كُلِّ هـم، والعلاج من كُلّ غَـم، قال تعالـى: ﴿وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ﴾ [فصلت: ٤٤].

كلما شـعرتَ بالقلق والتوتر افتحِ المصحف، واقرأْ برفقٍ وتُؤدة ما تيسّر لك، أو افتحْ جهاز التسجيل واستمع لقارئٍ نـدي الصوت، فرسـول اللّٰه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طلب من عبداللّٰه بن مسـعود أن يقرأ عليه سـورة النِّسـاءَ، قال عبـداللّٰه: قلتُ: أقرأُ عليك وعليك أُنزِل؟ قال: إنِّي أحبُّ أن أسمعَه من غيري.

(١) عجائب القرآن، الفخر الرازي، ص١٤٢.

قـال: فقـرأتُ عليـه حتّـى إذا انتهيْـتُ إلـى قولِه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ الآيةِ،[النساء: ٤١] فرفعتُ رأسي فإذا عيناه تَهمِلان»(١).

كُلما رأيت فقيرًا أو مشروعًا خيريًّا فاحرصْ أن تجعل لك فيـه نصيبًا ولو بريـال، ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

واعلـمْ أن كُلَّ ما أنفقته مـن خير فاللّه يُخلفه، ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

كلمـا ارتبطـتَ بـالله زاد يقينُـكَ وصبـرُكَ، وكلما قرأت القرآن عرفت التربيـةَ الحَقَّةَ، وأن الحياة الدنيا ماهي إلَّا مرحلة وجيـزة للامتحان والتمايز ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ١-٢].

(١) أخرجه البخاري، (٤٥٨٢)، ومسلم، (٨٠٠).

تأمَّـلْ وتدبَّر هــذه الآية تعلم أن وجـودك في الدنيا مؤقّتٌ، فبعد الحياة، موتٌ وبعثٌ.

قال مكّي بن أبي طالب في تفسيره: لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾؛ «أي: خلق الموتَ ليُمِيت الأحياء، وخلق الحياة ليحيي الموتى. وفعل ذلك ليختبركم في حياتكم وطُـولَ إقامتكم في الدنيا، أيُّكم أحســنُ عملًا فيجازيه على ذلك فــي الآخرةَ. وقد علم تعَالــى كُلَّ ما هم عاملون، وعلِمَ الطائـع والعاصي قبل خلقهم، لكــن المجازاة إنمــا تقع بعد ظهــور الأعمال، لا يُجازَى أحدًا بعلم اللّٰه فيه دون ظهور عمله.

فالمعنى: ليختبر وقوع ذلك منكم على ما ســبق في علمه وقضائه. وتقديره: من خيرٍ وشرٍ احتسابًا منكم.

قــال قتـادة: أذلَّ اللّٰهُ ابنَ آدم بالموت، وجعل الدنيا دار حياةٍ ودار فناء، وجعـل الآخرة دار جزاءٍ وبقاء»[1].

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب (١٩٢/٧).

﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢-١٠٣].

كُلَّما رأيتَ الباطل يعلو، والمُجونَ يفشو، فعُدْ للقرآن تجد فيه التسلية والطمأنينة، فما هو إلا ابتلاء وتمايُز ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

اصبرْ واثبتْ، واعلمْ أن الغيب من علم اللّه!

وبعد فقراءَةُ القرآن، خيرُ زادٍ فكري، وخيرُ حصنٍ نلوذُ به، اعتصَمَ به الصالحون الأخيار، فكانت لهم العاقبة الحسنة، ثبّتنا اللّه بالقول الثابت ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].



كيف أنت والدنيا؟

حَبَّـبَ اللّهُ للناس شهواتِ الدُّنيا ومتاعها ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤].

افتحِ المصحفَ واعرضْ حالك والدنيا، وهل خدعتك زينتها وأشغلتك عن آخرتك؟ تداركْ ذاتَكَ مع الدنيا وافحصها بالقرآن.

إنها الدنيا زِينةٌ مرغوبةٌ، فمنْ لا يحب الأبناء والأموال؟ الكلُّ يلهثُ ويجري، لكن الأعمال الصالحة الصائبة الخالصة لوجه الله خيرٌ من تلك الزينة المؤقَّتة،

﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ [الكهف: ٤٦].

يتصارعُ البشرُ ويتقاتلون؛ طلبًا لهذه الزينة، وما على الأرض زينةٌ وابتلاءٌ من الله؛ ليتمايزَ الناسُ أيُّهم أعفّ، وأيّهم أحسنُ عملًا ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾ [الكهف: ٧].

أخي في الله، ما فُطِرتَ عليه من حُبِّ الدنيا، يُثبِتُهُ القرآنُ ويؤكّدُه، لكن إذا طلبتَ الدنيا والاستمتاعَ بما أعطاك الله منها، فالحذرَ الحذرَ من التمادي والغفلة عن الآخرة، فما الدنيا إلَّا ومضةٌ في حياتك الكُبرى؛ فالدنيا رِحْلَةٌ وهناك الحياة الأبدية، نعيمٌ أو شقاء، ليست الدنيا إلا متاعٌ مؤقت، لا تغتر بما لديك ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

اعلـم أن ما تنالـه في دنياك ليسـ إلا متـاع، انظر لمـن هم حولك مـن ذوي المال والجاه أيـن هم؟ ربما تخاصـمَ ورثتُهم وتقاطعوا علـى ذاك المتاع المُوروث، مُفـرِّق القرابـات، وزارع الخصومـات. ما رأينـا وَرَثَةً فُقراء تخاصموا!

إنَّ ما عنـدَ الله هـو الأخلَـدُ والأبقـى والأمتعُ ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص: ٦٠].

اقـرأ القـرآنَ تجـدِ الآيـات المُنبِّهـةَ للغافلين عن آخرتهم، المُنجذبين للدنيا وزينتها. كُن واعيًا راشـدًا، وانظرْ للقدواتِ من أمهاتِ المؤمنين والصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

أمـر اللهُ رسـولَه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يخيِّـرَ زوجاتـه بين الدنيـا وزينتها والآخرة ونعيمهـا، فآثرنَ الآخرة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨]. تمضـي الشـهور

وبيــوت أُمهات المؤمنيــن لا يُوقدُ فيها نــارُ الزاد، فعن عُروة عن عائشــة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنها قالــت لعروة: «ابنَ أُختي، إنْ كُنّــا لَنَنْظُــر إلى الهــلال، ثُم الهلال ثلاثــةَ أَهِلَّة في شــهرين وما أُوقِدَتْ في أبيات رسول اللّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نار، فقُلتُ: يا خالة، ما كان يُعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمرُ والماء، إلا أنّه قد كان لرسول اللّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جيرانٌ من الأنصــار كانت لهم منائح، وكانوا يَمْنَحون رســول اللّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من ألبانهم فيسقينا»[1].

وجــاء فــي الطبقات الكبــرى لابن ســعد أن فاطمة عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ جاءت بكِســرةِ خبزٍ إلى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقال: «**ما هذه الكِسـرة يا فاطمـة؟**» قالت: قُرصٌ خبزتُهُ فلم تَطِبْ نفســي حتى أتيتُك بهذه الكِســرة، فقال: «**أما إنَّه أولَ طعامٍ دخلَ فم أبيكِ منذ ثلاثة أيام**»[2].

وجــاء عن عمران بن زيد المدنــي أنه قال، حدثني

(١) أخرجه البخاري (٦/٤٣٦ رقم٢٥٦٧).

(٢) أخرجه الضياء المقدسي في المختارة (٧/١٦٦ رقم ٢٥٩٦)، والطبراني في الكبير (١/٢٥٨ رقم ٧٥٤)، وابن سعد في الطبقات (١/٤٠٠).

والـدي قال: «دخلنا على عائشــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقلنا: ســلامٌ عليــكِ يا أُمَّه! فقالت: وعليك الســلام! ثم بكت، فقلنا: ما بكاؤكِ يا أُمَّه؟ قالت: بلغني أن الرجل منكم يأكل من ألوان الطعام حتى يلتمسَ لذلــك دواءً يمرئه، فذكرتُ نبيكُم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذاك الــذي أبكاني، خرج من الدنيا ولــم يملأ بطنه في يومٍ من طعامين، كان إذا شــبعَ من التمر لم يشبع من الخبز، وإذا شبع من الخبز لم يشبع من التمر، فذاك الذي أبكاني»[1].

وقد تســألُ: كيف نعيشُ؟ وهل نزهدُ في الدنيا وقد زيَّنَها اللّٰهُ؟!

اعمــلْ واسْــتَرْزِقْ، لكن احــذَرِ المال الحــرام، وإذا أقبلَتِ الدنيــا عليك بزينتِها فقــدِّمْ لآخرتك خيرًا لك؛ زَكِّ وتصدّقْ، وابذُلْ في سبيل اللّٰه.

أكثرْ من الاســتغفار والتوبة تعشْ سعيدًا، وتتمتعْ في دنيــاك متاعًا حســنًا، ليكن الاســتغفارُ ديدنَــك، رَطِّبْ

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/٤٠٦).

لســانَكَ بذكر اللّه، وأكثِرْ من الاســتغفار، استغفرِ اللّه، اســتغفرِ اللّه، فقــد وعــدك اللّهُ -ووعــدُ اللّه حق- بأن تمضــي حياتك الدنيا بهيًّا مســرورًا، وتنــال فضل اللّه وخيره ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود: ٣، ٤].

كيف أنت وذوي القربــى المُحتاجين هل تفَقَّدتَهم! وهــل فكّرت فيهــم! افحص نفســك ومالــك وقراباتك مَــنْ أعطيــتَ منهم هــذه الســنة، وهذا الشــهر، وهذا الأسبوع، وهذا اليوم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآءِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

لقــد تكــررتْ آيــاتُ الدعوة للبــذل والعطــاء لذوي القربى وغَيرِهم من المُحتاجين، هل تفقدَّتهُم؟ ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨].

لقد قَدَّمَ القرآنُ ذوي القربى على غيرهم من المحتاجين، فجعل لهم حقًّا في مالك، كُن مِمَّنْ وصفهم الله بالفالحين، أسرعْ ولا تنسهم، واحذرِ التبذير والإسراف ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٦].

احذرْ أن تغرَّكَ الدنيا، فقد خَدَعَتْ غيرَكَ ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [القصص: ٧٩].

ورد أن الصحابي عمرو بن الجموح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سأل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الأولى بالنفقة، فجاء الجواب من السماء ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥].

إن هذا التشريع عامٌ لأتباع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول الشيخ ابن سعدي في تفسيره لهذه الآية: «أي: يسألونك عن النفقة، وهذا يعم السؤال عن المنفِقِ والمنفَقِ

عليــه، فأجابهم عنهما، فقال: ﴿قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ﴾؛ أي: مــالٍ قليلٍ أو كثير، فأولى النـاسـ به وأحقهم بالتقديم، أعظمهــم حقًّا عليك، وهــم الوالدان الواجــب برّهما، والمُحَرَّم عقوقهما، ومن أعظم برّهما، النفقةُ عليهما، ومن أعظم العقوق، ترك الإنفــاق عليهما، ولهذا كانت النفقــة عليهمــا واجبة، علــى الولد الموســر، ومن بعد الوالديــن الأقربــون، على اختلاف طبقاتهــم؛ الأقرب فالأقرب، على حسب القرب والحاجة، فالإنفاق عليهم صدقة وصلة، ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾، وهم الصغار الذين لا كاســب لهــم، فهم في مظنّــة الحاجة؛ لعــدم قيامهم بمصالح أنفســهم، وفقد الكاسب، فوصى الله بهم العباد؛ رحمةً منه بهم ولطفًا، ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ وهم أهل الحاجات، وأرباب الضــرورات الذين أســكنتهم الحاجــة، فينفق عليهم، لدفع حاجاتهم وإغنائهم.

﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: الغريب المنقطع به في غير بلده، فيُعانُ على سفره بالنفقة، التي توصله إلى مقصده.

ولمـا خصّص اللّهُ تعالـى هؤلاء الأصناف؛ لشـدة الحاجة، عمَّمَ تعالى، فقال: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ﴾ من صدقة على هـؤلاء وغيرهـم، بل ومـن جميع أنـواع الطاعات والقربات؛ لأنها تدخل في اسم الخير، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ فيجازيكـم عليـه، ويحفظه لكـم، كل على حسـب نيّته وإخلاصه، وكثـرة نفقته وقلّتها، وشـدّة الحاجة إليها، وعظم وقعها ونفعها»[1].

وبعدُ، إنه القرآن يكشـفُ لنا واقعنا، وكيف نحن مع المال؛ فهل نجود أم نبخل؟

إنـه القرآن يدلُّـك طريقَ الخيـر، ويفحصُ ذاتك، فاصحبْهُ واقرأهُ بتدبرٍ وتفكِّرٍ وطبقه على نفسك طالما فيك نفس يتردد!

عن أبي هريرة: مَرَّ رَجُلٌ مِن بني عامِرِ بنِ صَعصَعةَ، فقيـل له: هذا أكثَرُ عامِريّ مالًا. فقال أبو هُرَيرةَ: رُدُّوهُ إليَّ. فرَدُّوهُ عليه، فقال: نُبِّئتُ أنَّكَ ذو مالٍ كثير.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص٩٦).

فقال العامِـريُّ: إيْ واللّٰهِ؛ إنَّ لي لمِئـةً حُمْرًا، ومِئةً أدماءَ، حتى عَدَّ مِن ألوانِ الإبِلِ، وأفنانِ الرَّقيقِ، ورباطِ الخَيلِ.

فقـال أبو هُرَيـرةَ: إيّاكَ، وأخفـافَ الإبِلِ، وأظلافَ الغَنَـمِ، يُرَدِّدُ ذلك عليه، حتى جعَلَ لَونُ العامِريِّ يتغَيَّرُ، أو يتلَوَّنُ.

فقال: ما ذاك يا أبا هُرَيرةَ؟

قال: سـمِعتُ رسـولَ اللّٰهِ ﷺ يَقولُ: **مَن كانت لـه إبِـلٌ لا يُعطـي حَقَّهـا فـي نَجدَتِهـا، ورِسـلِها.** قُلنا: يا رسولَ اللّٰهِ، ما نَجدَتُها ورِسلُها؟

قال: **في عُسرِها ويُسرِها؛ فإنَّها تَأتي يَومَ القيامةِ كأغَذِّ ما كانت، وأكبَرِه، وأسـمَنِه، وآشَرِه، ثم يُبطَحُ لها بقـاعٍ قَرقَـرٍ، فتَطَـؤهُ بأخفافِهـا، إذا جاوَزَتْـهُ أُخراهـا؛ أُعيدَتْ عليه أُولاها، في يَومٍ كان مِقدارُهُ خَمسينَ ألْفَ سَنةٍ، حتى يُقضى بَينَ النّاسِ فيَرى سَبيلَهُ، وإذا كانت له بَقَرٌ لا يُعطي حَقَّها في نَجدَتِها، ورِسلِها؛ فإنَّها تَأتي**

يَومَ القيامةِ كأغَذِّ ما كانت، وأكبَرِه، وأسمَنِه، وآشَرِه، ثم يُبطَحُ لها بقاعٍ قَرقَرٍ، فتَطَؤهُ كُلُّ ذاتِ ظِلفٍ بظِلفِها، وتَنطَحُهُ كُلُّ ذاتِ قَرنٍ بقَرنِها، إذا جاوَزَتْهُ أُخراها أُعيدَتْ عليه أُولاها، في يَومٍ كان مِقدارُهُ خَمسينَ ألْفَ سَنةٍ، حتى يُقضى بَينَ النّاسِ، حتى يَرى سَبيلَهُ، وإذا كانت له غَنَمٌ لا يُعطي حَقَّها في نَجدَتِها ورِسلِها؛ فإنَّها تَأتي يَومَ القِيامةِ كأغَذِّ ما كانتْ، وأكبَرِه، وأسمَنِه، وآشَرِه، ثم يُبطَحُ لها بقاعٍ قَرقَرٍ، فتَطَؤهُ كُلُّ ذاتِ ظِلفٍ بظِلفِها، وتَنطَحُهُ كُلُّ ذاتِ قَرنٍ بقَرنِها -يَعني ليس فيها عَقصاءُ، ولا عَضباءُ- إذا جاوَزَتْهُ أُخراها أُعيدَتْ أُولاها، في يَومٍ كان مِقدارُهُ خَمسينَ ألْفَ سَنةٍ، حتى يُقضى بَينَ النّاسِ، فيَرى سَبيلَه.

فقال العامِريُّ: وما حَقُّ الإبِلِ يا أبا هُرَيرةَ؟ قال: أنْ تُعطيَ الكريمةَ[1]، وتَمنَحَ الغَزيرةَ،[2]

---

(١) الكريمةَ، أي: السّمينةَ النّفيسةَ تُعطيها وتبْذُلُها لغيرك.

(٢) تمنَحُ الغَزيرَةَ، أي: تُعيرُ صاحبةَ الدَّرِّ واللّبنِ الكثيرِ للفقراءِ؛ ليستفيدوا من لَبَنِها، فإذا حُلِبَتْ رُدَّتْ إليك.

وتُفقِرَ الظَّهر[1]، وتَسقيَ اللَّبَن[2]، وتُطرِقَ الفَحل[3]»[4].

إن في القرآن الكريم الشفاء والدواء، يأمرك بطاعة رسول الله ﷺ، وهذه الأحاديث الشريفة تندبُ للخير الأبدي.

إن القرآن الكريم كما قال ﷺ: «**كتابُ الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض**»[5]. فتعلَّقْ به تَنْجُ وتسعد.



(١) تُفْقِرُ الظَّهْرَ، أي: تُعيرُ ظَهْرَها للرُّكوبِ وقَضاءِ الحاجةِ عليه، وتَحمِلُ عليه مَنْ يَحتاجُ إلى حَمْلٍ، وهذا في حقِّ مَنْ لا ظَهْرَ له، ويدخُلُ في ذلك الآنَ السّيّاراتُ والمَرْكَباتُ الخاصّةُ الأخرى.

(٢) تَسْقي اللّبنَ، أي: تحلُبُه وتتصدّقُ به على الضُّعفاءِ والمساكينِ، إذا كنتَ في غُنْيَةٍ عنه؛ لأنّ هذه الأُمورَ من مكارمِ الأخلاقِ، ومن الحُقوقِ الإضافيّةِ التي تُبذَلُ بين النّاسِ من بابِ الإحسانِ والمروءةِ، ولا مُؤاخَذةَ عليها.

(٣) تُطْرِقُ الفَحْلَ، أي: تُعيرُ فَحْلَ الإبلِ لِضرابِ الإناثِ وتلقيحِها، وألّا يُمنَعَ إذا طُلِبَ، ولا يُؤْخَذَ عليه مُقابِلٌ.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٦/ ٢٣٠-٢٣١ رقم ١٠٣٥٠)، والحاكم (١/ ٤٠٣ رقم ١٤٦٦)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٥) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ٣٧ رقم ٢٠٢٤).

كيف تنال الأفضلية!

ارجعْ للقرآن تجد فيه كُلَّ شــيء ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

افحصْ ذاتك بالقرآن، وكيف العمل والتعامل تجِد الهداية والرحمة والبِشارة ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾.

كُلٌّ يرجو أن ينالَ الأفضليةَ في كُلِ شــيء، ومن أهم الأُمنيــات: المِيتــة الحســنة، فالحياة الحقَّــة، والحياة الأبقــى هي ما بعد الموت، والموت خوف، والفراق ألم، والموت هو الأمر الحتمي، والجميع مُوقنون به!

والموتُ هو الشيء الذي نهرُبُ منه، فنجدُهُ أمامنا!

وطالمــا أن الموت بهذا اليقيــن، فكيف ننالُ أفضل

حـالات الموت، للفوز بمـا بعد المـوت؟ وكيف الطريق لتلك الأفضلية؟

لو أقسمَ لك رئيسُ الدولة أو مُفتيها أو منْ تثِقُ به، حول أمرٍ من الأُمور لصدَّقْتَهُ، فكيف بقسمِ اللّٰه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لقد أقسمَ اللّٰه عَزَّوَجَلَّ بأن الموت في سبيل اللّٰه خير ميتَةٍ، يقـول تعالـى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٧، ١٥٨].

قال الشوكاني: «المقصـود في الآيـة: بيان مزية القتـل، أو الموت في سـبيل اللّٰه، وزيـادة تأثيرهما في استجلاب المغفرة، والرحمة»[١].

وقال الواحدي في تفسيره: «قولـه تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ اللام في (**لَئِنْ**) لام القَسَـم؛ بتقدير: واللّٰه لَئِـنْ قُتِلتُـمْ فـي سـبيل اللّٰه -أيهـا المؤمنـونَ-

(١) فتح القدير، الشوكاني (١/٤٩٥).

﴿أَوۡ مُتُّمۡ﴾؛ يريد: في سبيل الله؛ كقوله: ﴿وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]؛ يعني: فُرُوجَهم»[١].

قال الشيخ ابن سعدي: «أخبر تعالى أن القتل في سبيله أو الموت فيه، ليس فيه نقص ولا محذور، وإنما هو مما ينبغي أن يتنافس فيه المتنافسون؛ لأنه سببٌ مفضٍ وموصلٌ إلى مغفرة الله ورحمته، وذلك خير مما يجمع أهل الدنيا من دنياهم، وأن الخلق أيضًا إذا ماتوا أو قتلوا بأي حالة كانت، فإنما مرجعهم إلى الله، ومآلهم إليه، فيجازي كلًا بعمله، فأين الفرار إلا إلى الله، وما للخلق عاصم إلا الاعتصام بحبل الله؟[٢]»

هذا ما ذكره عُلماء التفسير حول هذه الآية.

وأقولُ: إذن كيف الطريق للموت في سبيل الله؟ أبالغزو والجهاد العسكري؟ ومن ثم يكون القتل، مع أن القتل في سبيل الله قد يكون بغير اللقاء المسلح؛ فقد

(١) التفسير البسيط للواحدي، (٦/١٠٦).
(٢) تيسير الكريم الرحمن إلى تفسير كلام المنان، (ص١٥٤).

يكون القتل بحادث سـيارة، أو لسـعة أفعى، أو بتسميمٍ أو أي وسـيلةٍ مـن وسـائل القتل، وقد يكـون الموت في سـبيل اللّٰه طبيعيًّا، بأن يتوقف قلبُ السـاعي في خدمة سبيل اللّٰه وهو في سفره ومهمته الدعوية.

إن الموت أو القتل في سـبيل اللّٰه، بهذا الشرط في سبيل اللّٰه، خيرٌ من الحياة، وخيرٌ مما يجمعه الناس في الحياة؛ من مالٍ وجاهٍ وسلطانٍ وكلِ متاع الدنيا. فاحرصْ أن تسـتحضر النيـة وأن تكون أعمالكَ في سـبيل اللّٰه، فإذا حمَلتَ همَّ الدعوة في سبيل اللّٰه وخدمة دين اللّٰه، وجاءك الموت وأنت ماضٍ في هذا الهمّ، وهذه الرسالة، تكن بإذن اللّٰه ممن فازوا بالموت في سبيل اللّٰه!

احرص أن يكون، موتك في سبيل اللّٰه.

لقد نزلتْ هذه الآيات بُعيد غزوة أُحُد؛ تسـليةً وحثًّا للجهـاد والدفاع عن دين اللّٰه، فكان هذا الوعد الرباني الشريف للمجاهدين في سبيل اللّٰه المدافعين عن دين اللّٰه، ووعد اللّٰه باقٍ وخالدٍ إلى يوم القيامة.

إن الجهـاد المسـلّح واجبٌ عندمـا يحصل التعدّي المسـلّح ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٤].

لقـد منحت هـذه الآيـة الكريمـة الأمـل والمجال الرحب للعاملين في سـبيل اللّه؛ وكشـفت عن الإعجاز الغيبي للقرآن الكريم؛ فلئن كان الجهاد المسـلح لنشر دين اللّه ضرورةً في زمان النبوة والعصور الإسـلامية الأولى، فقد انفتحت أبوابٌ كثيرةٌ للعمل في سـبيل اللّه غير الجهاد المُسلح، فالتجار المسلمون في شرق آسيا نشـروا ديـن اللّه وبلَّغـوه بتطبيق قيم الإسـلام، فنالوا شـرف خدمة وتبليغ دين اللّه، وفي زماننا هذا ازدادت أبـواب العمل فـي سـبيل اللّه، وانفتحت أبـوابٌ كثيرة للعمل في سـبيل اللّه، ومن أهمها ترجمة معاني القرآن الكريم للغات العالمية وتوزيعه ونشره في وسائل التقنية الحديثة، والكشـف عن الإعجاز العلمي للقرآن الكريم والسـنة النبويـة، وتعليم اللغـة العربية، وبعـث الدُّعاة القدوات، وعقد الحـوارات الدعوية التلفزيونية، وبيان

مزايا الإسلام بوسـائل التواصل الاجتماعي، والإجابة عن التسـاؤلات، وكشـف الشبهات، ومباشـرة الأعمال الخيرية المتنوعة.

وقد فسـر العلماء الجهـاد في سـبيل اللّٰه بالمعنى الواسـع، يقول الشـيخ ابن عثيمين: «﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: فـي الجهاد في سـبيله، ويحتمـل أن يكون أعمَّ مـن ذلـك، بمعنـى: قُتلتم في سـبيل اللّٰه فـي الجهاد، أو قُتلتم في سـبيل اللّٰه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو قُتلتم في سبيل اللّٰه في الدعوة إليه، أو قُتلتم في سـبيل اللّٰه في بيان الحق، كل هذا داخلٌ في سـبيل اللّٰه. الجهادُ جهاد الكفار، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر، الدعوة إلى اللّٰه، بيان الحق؛ لأن الجامع بينها أن هـذا قُتِل وهو يدافع عـن دين اللّٰه عَزَّوَجَلَّ، فالذي يُقتل في سـبيل اللّٰه يقـول اللّٰه عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ خير من الدنيا وما فيها»[1].

---

(١) تفسير ابن عثيمين، (٢/٣٥٩).

ومما قاله الشيخ كذلك: «يحتمل أن يكون المعنى أعمَّ من الجهاد في سبيل اللّٰه بالسلاح ليشمل الجهاد في سبيل اللّٰه بالدعوة إلى اللّٰه عَزَّوَجَلَّ والعلم، فمن قُتل لكونه داعية فإنه مقتول في سبيل اللّٰه؛ لأنه كالمجاهد بسلاحه.

والفرق بين المغفرة والرحمة: أن المغفرة بها زوال المكروه، والرحمة بها حصول المطلوب؛ أي أنكم يحصل لكم مطلوبكم وتنجون من مرهوبكم، والمغفرة هي ستر الذنب والتجاوز عنه، والرحمة صفة من صفات اللّٰه عَزَّوَجَلَّ لكنها تقتضي الإحسان إلى المرحوم والإنعام عليه.

وفي قوله: ﴿لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ إضافة المغفرة إلى اللّٰه تدل على عظمة هذه المغفرة؛ وذلك لأن الشيء يعظم بعظم باذله، فمثلًا إذا قلت: أعطاني الملك عطية، وقلت: أعطاني الصعلوك عطية، الصعلوك من هو؟ الفقير. ماذا يتصور الناس إذا قلت: أعطاني الملك عطية؟ أنها كثيرة. أعطاني الصعلوك عطية؟ أنها

خمس وعشرون هللة، قليلة، فالشيء يَعْظُم بحسب ما يضاف إليه، فلهذا قال: ﴿لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي ابتداؤها منه، فهو الذي يبتدئ بها عَزَّوَجَلَّ ويتفضلُ بها.

﴿وَرَحۡمَةٌ﴾ يعني: منه ﴿خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾ أو (خَيْرٌ مِمَّا تَجْمَعُونَ) من الدنيا كلها»[1].

هذا وبعد، تنبّهْ، فالقرآن نورٌ وضياءٌ، وهدايةٌ ورشادٌ.

استيقِظْ من غفلتك وأسرعْ لنيلِ الأفضلية، ولا تجعل طلب الدنيا وحدها مُبتغاك وهدفك! تَدَبَّرْ وفَكِّرْ واعمل خادمًا لدين الله وللموت في سبيله!

واحذرِ التسويف والتأجيل وإمضاء وقتك في طلب الدولار والريال وتزجيةَ الوقت والاستمتاعَ بلذات الدنيا ومتاعها، فالرحيلُ حتمي!

سابقْ غيرك، وكُن صاحب رسالة وهمٍّ ديني، فالله يندبُك ويخبرُك ويُقسمُ لك، فهل يا ترى تستجيب؟!

فلا أصدق من وعْدِ الله.

---

(١) تفسير ابن عثيمين، (٢/٣٥٩).

أسـرعْ وسـارعْ في عمل الصالحات، وكل يوم سائل نفسَكَ ما الأعمال الصالحة التي قُمت بها؟ واجعل نيَّتك المـوتَ فـي سـبيل الله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٢].

أنفقْ في سبيل الله، فلكَ الأضعافُ المُضاعفة ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

إياك والإمساكَ عن الإنفاق في سبيل الله، فقد توعد الله البخلاء ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

احـذر الصـدَّ عـن سـبيل الله، ولا تسـتهن بذلك ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ﴾ [إبراهيم: ٣].

إياكَ والجـدالَ والكبرياءَ والتعالـي تجاه كل ما هو فـي سـبيل الله، تنبَّـهْ في قولـك، واحذرْ مـآلاتِ رأيك

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الحج: ٨-٩].

إياك والسخرية من العاملين في سبيل الله، احذرْ هذا الطريق ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦].

لا يأخذك الهوى نحو هذا والكراهية تُجاه ذاك، فتسخر مثلًا من آمرٍ بالمعروف أو ناهٍ عن مُنكرٍ، فتَضِلّ، لقد حذر الله مَن هو خيرٌ منا جميعًا، حذّر سبحانه نبيه داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقال: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

إن في القرآن آياتٍ كثيرةً نادبةً نحو العمل في سبيل الله. رزقنا الله نُور البصيرة.



المتَّقون وهل أنتَ منهم؟

كتبنا الله وإيَّاكم من عباده المُتَّقين! سَلْ نفسَك وَافْحصْ ذاتك هل أنت من عباد الله المُتَّقين؟ في القرآن بيان أوصافهم، اقرأها وطبّقها على نفسك تعرفُ أين أنت! وفي أيِّ درجةٍ.

لقد تكرَّر في القرآن الكريم وصف المتّقين والثناء عليهم، وما أعدّ الله لهم من النعيم، فكيف نكُونُ منهم؟ وكيف نعرفُ أننا منهم؟ إذا رغبت في فحصِ نفسك، ومعرفةِ حالتك منهم؟ وفي أي درجة أنت بالنسبة لسلَّم المتَّقين؟ فاقرأ أول سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ١-٥].

هذه مواصفاتُهُم!

* إيمانٌ بالغيب.
* إقامةُ الصلاة.
* الإنفاقُ من رزقِ اللّهِ وعطائه.
* الإيمانُ والتصديقُ بما أنزله اللّهُ على رسولنا محمد ﷺ، وما أنزله على رُسله من قبل.
* اليقينُ بالآخرة.

ومعرفةُ هذه الأوصاف، والتصديقُ بمضامينها يستلزمُ العمل بها مباشرة والإخلاص للّه -سبحانه- في الأداء والتنفيذ.

إن المعرفة شيء، والعمل شيءٌ آخر، ولا بُد من العلم والعمل، فاحذر التأخير والتّسويف في العمل، فقد يبغتُكَ الموتُ، ولاتَ ساعةَ مندَم!

في سورة الذاريات بيَّنَ -سبحانه- ما للمتقين من نعيم، وذَكَرَ ما كانوا يقومون به من أعمال صالحة

أهَّلتهم إلى تلك المرتبة العالية من الجنة، وذلك النعيم المقيم فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [الذاريات: ١٥-١٩].

هذا ما كانوا يَعملونه في دنياهم، فاستحقوا بذلك رضا اللّٰه ونعيمه في جنَّته. سائلْ نفسك وافحصها هل أنت من هؤلاء؟ هل تُحسن للآخرين؟ وهل أنت تقيم ليلَك بالصلاةِ والعبادة؟ وهل أنت يقظٌ بالأسحار تستغفر ربك؟ وهل وهل... إلخ؟

وفي سورة آل عمران، يندُب -سبحانه- عباده إلى المسارعة لنعيمٍ أعدَّه اللّٰهُ للمتقين، كتبنا اللّٰه منهم، يقول تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن

رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾

[آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

اسأل نفسَك وافحصها هل أنت من هؤلاء؟ هل أنت تُنفقُ في يُسرك وعُسرك؟ فالإنفاقُ ليسَ خاصًّا بالموسرين، الكلُّ مندوبٌ للنفقةِ والصَّدقة والبرِّ والعطاء والجودِ والإحسان!

وهل أنتَ تكظمُ غيظَك وتتحمّلُ وتصبر!

دَرِّبْ نفسَكَ، فهذه سجيَّةٌ يندبُك اللّهُ إليها!

ثم كيفَ أنتَ والعفو؛ هل تسارعُ إليه؟ وهل تتجاوز عمّنْ أساء إليك؟

وكيف علاقتك بالإحسان القولي والعملي؟ هل تَشعرُ بحبِّه وتُقومُ به؟

إن اللّه يُحبُّ المحسنين. كتبنا اللّه منهم!

وحين تجْنَحُ نفسُك وتغلبُك، فتعصي اللّهَ وتهزِمُكَ شهوتُك، فتَذَكَّرِ اللّه، وعليك أن تندمَ وتتوب، وتعزمَ

ألا تعود وتستغفر الله! هل أنت ذاك الرجل؟ ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

هـذا ومما ذكره الشـيخ ابن عثيمين عند تفسـيره لهـذه الآية، قال: «قولـه تعالى: ﴿أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ المراد به ما دون الفاحشة؛ وهي الصغائر، وإن كانت الفاحشة لا شـكَّ أنهـا داخلةٌ في ظلم النفـس، لكـن المراد هنا التنويـع: ﴿أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ وإذا كان المـراد التنويع لزم أن يكون كل نوع سوى النوع الآخر.

وقوله: ﴿أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ قد يقولُ قائلٌ: كيف يُتصوَّرُ أن الإنسانَ يظلمُ نفسَه؟ الإنسانُ يدفعُ عن نفسِهِ الظُّلم، فكيف يظلمُ نفسَه؟!

والجـواب علـى ذلك أن نقـول: كل مـن خالف أمر الله بفعـل محرّمٍ أو تـركِ واجبٍ فقد ظلَمَ نفسَــه، قال

اللّٰه تعالــى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾ [الطـلاق: ١]. لماذا؟ لأن النفس عندك أمانة تجب عليك رعايتها، وقد أوصاك اللّٰه بها فقال: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النساء: ٢٩].

وقــال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [التوبـة: ٣٦]. فنهـى اللّٰه عـن قتـل النفس، وعن ظلم النفس؛ لأنها أمانة عندك.

وبالمناسبة قال العلماء: إن اللّٰه أرحمُ بِكَ من أبيكَ وولدِك ونفسَك.

أما كونُهُ أرحمَ بكَ من أبيكَ، فإنّ اللّٰه قال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ [النسـاء: ١١]، فأوصـى الآبـاء والأمهـات بالأولاد، إذن فهو أرحمُ بهِم من آبائهم وأمهاتهم، وأما بالعكس أن يكون أرحم بك من أبنائك، فقال: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗا﴾ [العنكبـوت: ٨]، وأمـا أرحم بك من نفسـك فـلأن اللّٰه قــال: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النسـاء: ٢٩]، ﴿وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. إذن نقول: وجْهُ كون الإنســان

ظالمًا نفســه أن نفسَــك عندك أمانة، فإذا فرَّطتَ في هــذه الأمانة بأن أقحمتَ نفسَــك فيما حرّم اللّٰهُ عليك، أو تأخّرت عمــا أوجب اللّٰه عليك، فقد ظلمت نفسَــك. ظُلمُ النفســ هو في نفس الواقع ظلمٌ في حق الغير؛ لأن ظلمَ النّفســ إمّا في حقٍّ يتعلّــق باللّٰه عَزَّوَجَلَّ، وإما في حق يتعلّــق بالمخلوق، فإن كان في حقِّ اللّٰه، فإنك ظالمٌ في حقِّ اللّٰه، وإن كان في حقِّ المخلوق، فإنك ظالمٌ في حقِّ المخلوق. قال النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ**»[1]. وبهــذا نعرف أن من ظلَمَ نفسَــه فقد ظلَــم ثلاثة: ظلَم نفسَه، وظلَم حقّ اللّٰه عَزَّوَجَلَّ، وظلَم المخلوق؛ لأن كلَّ هذه تتعلّق بأوامر اللّٰه ونواهيه[2].

وبعد، احرص يا عبد اللّٰه، أن تكون من المتّقين الذين جَلَّاهُمُ القرآنُ وبَيَّنَ صفاتهم، واقرأ هذا النعيم الموعُودُ به المُتقُــون ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم

(١) أخرجه البخاري (٥/٥٧٧ رقم ٢٢٨٧)، ومسلم (٣/١١٩٧ رقم ١٥٦٤).
(٢) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة، الآية: ١٣٥، ١٣٦.

بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٥١- ٥٧].

ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٥-٤٨].

لا نكد الدنيا وكدرها، لا غلَّ ولا غيرة، ولا عداوةَ ولا حسد، بلْ محبّةٌ وأُخوّة.

وفي سورة الطور نقرأ وعدًا عَذْبًا تشتاقُ له النفوس، وتودُّه القلوب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ

عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٢٤﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾

[الطور: ١٧-٢٨].

إنـه النعيـم الخالـد، والوعد الصـادق، فلا عطاء أفضل من أن تنال أنت وذريتك رضا اللّه.

وفـي سـورة القمـر يعرض جَلَّجَلَالُهُ لونًا وشـكلًا من أشـكال نعيم المتقين بقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥].

ويُكـررُ عَزَّوَجَلَّ وعده ويعرض ما هـو قادم، فهل تتمنى ذلك يا عبداللّه، يقيني أنك وأنا وكل مُؤمن يرجو ذلك. إن القرآن مائدة عظيمة فيها الطُمأنينة والمسرَّة!

وهل بعد وعد اللّه العذب الوارد في سورة المرسلات من وعد؟

وهل ثمّة نعيم أحلى وأكثر شوقًا من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المرسلات: ٤١-٤٤].

قِفْ واقرأ وتأمّلْ ما ورد من نعيم للمتقين جاء في سورة عمّ، واعملْ طالما أنك في مرحلة العمل، أنتَ وأنا اليوم في مرحلة الإمهال والاختيار، وغدًا الثواب والعقاب ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ [النبأ: ٣١-٣٦].

هـذا هو القولُ الحقُّ، والوعدُ الصادقُ، فكيف نغفلُ عنه؟!

والغَبْنُ ألا نعرض ذواتنا صباحَ مساءَ لهذه النفحات الإيمانية؟

والخسارة أن نهتمَّ بأجسادنا، ونتردَّدَ على الأطباء والمستشفيات، وندفعَ الريالات، ونعملَ بنصائح الأطباء؛ لأجل حياة الدنيا القصيرة، وننسى القرآن

خيـرَ فاحصٍ لحــالِ الآخرة الخالدة! كـرّرْ قراءة آياتِ صفات المُتقيـن، والتزمْ بتطبيقها تنـلِ الوعدَ الربَّاني ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].



المِرْآةُ العاكسة

أتــوَدُّ معرفةَ ما أعــدَّ اللّٰهُ لأهلِ الجنــة! وترغبُ في رؤية النعيم القادم لك بمشيئة اللّٰه!

أتريــدُ رؤيةَ ما فــي جنّة الآخرة من نعيــمٍ كما ترى صورتك في المرآة!

إن ذاك النعيم مَبْثُوثٌ في القرآن الكريم.

وكيف تعلمُ أنك من أهل ذاك النعيم العظيم؟

إن ذاك مُتيسِّــر فــي القــرآن؛ إذ تســتطيع فحص نفسك مع القرآن لتعرف ذلك!

يوضح القــرآن أنك إن التزمت بهــدي اللّٰه، ونهيت نفسك عن الهوى فسترى مكانك من ذاك النعيم الحق،

فيقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

احـذرْ هواك أن يُضلَّـك، واكبحْ شـهوتك أن تُذلَّك ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣].

انظـر بتأمّـلٍ وتدبّـر في كلمـاتٍ ثلاثٍ تكـررت في القرآن الكريـم إن حقّقتها فأبشـر بالخير هي: آمنوا، وعملـوا، والصالحـات، إن أجَـدتَ تنفيذهـا بإخلاص واسـتمرار، فلـك وعد الله بالجنّـة، اقرأ قولـه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

كرِّر فحصَ نفسك مع هذه الأمور الثلاثة، واحرص علـى تنفيذهـا، وسـائِل نفسـك كل يـوم عـن الأعمال الصالحة التي سـتقوم بها، وتذكر تلك الآيات المُبشرة ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن

قَبۡلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

واستحضر وعد الله دومًا ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [المائدة: ٩].

وحين تمضي في تقديم الأعمال الصالحة، فاعلمْ أنها محفوظةٌ، لا يضيع منها قدر الفلس ولا وزن الخردلة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا﴾ [الكهف: ٣٠-٣١].

ستجدُ ما قدمْتَ حاضرًا جميعُه ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٩].

واقرأ النعيم المُنتظر، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا﴾ [الإنسان: ٥، ٦].

جعلنا الله منهم، ولكي نكونَ من أُولئك الأبرار علينا أن نقـرأ صفاتهـم ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٧-٩].

لقد أكرمهم الله حين أطاعوه وصدَّقوه ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ١١-٢٢].

إلهي نسـألك نُور البصيرة، ونسـألك الهداية لنيل هذا النعيم!

إن هـذا النعيـم عامٌ لكل الأبرار، فهـل أنت منهم؟ افحصْ ذاتك، كفى بنفسك عليك حسيبا! ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧].

عن أبي زهير الثقفي: «خطبنا رسولُ اللّٰهِ ﷺ بالنباوةِ أو البناوةِ. قال: والنباوةُ من الطائفِ. قال: **يُوشِكُ أن تعرفوا أهلَ الجنةِ من أهلِ النارِ**، قالوا: بِمَ ذاك يا رسولَ اللّٰهِ، قال: **بالثناءِ الحسنِ، والثناءِ السيِّئِ أنتم شهداءُ اللّٰهِ بعضُكم على بعضٍ**»[١].

وورَد في الصَّحيحَينِ مِن حديثِ أنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: مروا بجنازة فأثنوا عليها خيرًا فقال النبي ﷺ: **وجبت**، ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرًّا فقال: **وجبت**، فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما وجبت؟ قال: **هذا أثنيتم عليه خيرًا فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرًّا فوجبت له النار، أنتم شهداء اللّٰه في الأرض**[٢].

(١) أخرجه ابن ماجه (١٤١١/٢ رقم ٤٢٢١)، والحاكم (٢٠٨/١ رقم ٤١٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣٢٦/٢): وإسناد حديثه صحيح رجاله ثقات

(٢) أخرجه البخاري (٥٤٨/٦ رقم ٢٦٤٢)، ومسلم، (٦٥٥/٢ رقم ٩٤٩).

مُساءلةُ النفس!

مهما أخفيتَ من حديث، ومهما طويتَ من سِرٍّ فاللّهُ يعلمُه! ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٨].

كيف أنتَ وهذا النص القرآني، سَلْ نفسك عن كل عملٍ تُخفيه، وتخشى أن ينكشف، كيف أنتَ وعلمُ اللّه، لا سرَّ ولا نجوى دون علمِه سبحانه! سيّان أَخْفَيْتَ أو أعلنْتَ، فاللّهُ يعلمُ كلَّ شيء ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ [سبأ: ٢].

هل تستحضرُ قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

هل وقَفْتَ وتَدبَّرْتَ معاني هذه الآية، وعرفتَ القدرة الربّانية، وكيف أن ما بداخل نفسك معلومٌ للّه!

يخشى الناس اليوم من هواتفهم أن قد تُراقب من بُعد، فيعلم المُراقب البعيد أسرارك وخاصّيتك، فتحتاط وتُبعد الهاتف؛ لتسلمَ من عين المراقب البشري وسمعه، فكيفَ برقابة اللّه، إنه يعلم -سبحانه- ما في نفسك؛ فلا مفرّ، ولا مهرب.

وفي سورة الحديد يَرِدُ عِلْمُهُ ومعيّتُهُ، فكيف تتخفّى وكيف تَسْتَتِر؟ لئن استطعتَ التخفّي من البشر فلن تستطيعَ التخفّي من ربِّ البشر، اقرأ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

حين يتناجى مُتناجون في نقدِ هذا وعيبِ ذاك، ويصمتون حين يصلهم غريبٌ خشيةَ معرفتِهِ حديثَهُم، ألا يتذكّرون هذه الآيات وما تكرر مثلها في القرآن ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

* أدرِكْ نفسك، فلديك كَتَبَة!

* احفظْ لسانك، فلديك رقابة!

إن وشَـيتَ بشخصٍ وشـوَّهتَ سـيرتَهُ لأجل الدنيا، فتذكّـر العتيـدَ الرقيبَ المُصاحبَ لـك! وتذكّرْ وقوفَك عنـدَ الله مـع مَـنْ وَشـيْتَ بـه وحرَّشـتَ عليه، سـوف تتم هناك المُحاسـبةُ والمُكاشـفة، وتعـرف الحقيقةَ، فحـذارِ حذارِ مـن ذاك اليوم، ودعْ عنك أذيَّةَ النـاس، واحذرِ الدنيا وزينتها ووجاهتها، فهي متاعٌ زائلٌ سـوف تحضـرون وتتحاسـبون! ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٠ أَفَمَن وَعَدۡنَٰهُ وَعۡدًا حَسَنٗا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعۡنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا ثُمَّ هُوَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ﴾ [القصص: ٦٠، ٦١].

اِفْحَصْ نفسَـك مع هذه النصوص، وتذكّرِ الرقابة الربَّانية!

اعْلَم أنك إذا هممت بِغِيبَةِ هذا أو نقدِ ذاك، فقولُكَ محفوظ؛ فما تُوسوسُ به نفسك معلومٌ لله، فالمُتلقيّان

معك يسجلان! ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٦-١٨].

استحضرْ هذه الآية في خلوتك واجتماعك، اجعلها أمام ناظريك وفي أعمالك؛ لعلَّ اللّٰه يعصمُكَ من الزلل والخَطَل.

وحين يضمُّكَ مجلسُ صحْبٍ يميلُ حضورُهُ عن جادّة الحق؛ بقَوْلِ سوء، أو حديثِ غِيبَةٍ، أو مُمارَسَة معصيةٍ، تذَكَّر وأنتَ في هذا المجلسِ الجانِحِ، قولَهُ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

إذا جئـتَ يـوم القيامـة، وأخبـرك اللّٰهُ عـن قولِك وعملِك في تلك الجلسـة، ماذا سـتقولُ؟ أعْدِدْ جوابَكَ، واسـتحضرْ تلك الجلسـة المشـبُوهَة، وافحص نفسك اليوم قبل تلك المُسـاءلَة، واحفظْ هـذه الآية وتذكّرها في تلك المجالس المريضة!

اهربْ واهجرْ من زَيَّنَ لهم الشيطانُ سوءَ أعمالهم، واحذرْ شـيطانك، فإذا تساهلتَ ومَرَّرْتَ جلسةً وجلسة، فسـوف يترقَّق شـيطانُك ويُرَغِّبـك في العمل السـيء ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

افحصْ نفسَـك بالقـرآن، فهو خيرُ ناصـح، وخيرُ طبيـب! ولا تغتر بما منحَـكَ اللّٰهُ وخصَّكَ به، من علمٍ، أو مالٍ، أو جاهٍ، أو رزانةٍ وعقل، أو وظيفةٍ ومنصب. سلِ اللّٰهَ نُـورَ البصيرة، وجادّة الحق ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].

إن الخطر والهلاك، أن ترى عملَكَ السـيئَ حسنًا، تنبَّـه واصحبِ الأخيار، واقتربْ مـن أهل القرآن، ففي القرآن الهداية، والفحص الحق!

وكرِّرْ ما ورد في أفضل سُوَرِ القرآن؛ سورة الفاتحة، بسـؤال هداية اللّٰه، لطريقه المستقيم ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧].

إن كبـار كفـار قريش لهم عقـولٌ راجحـة، ولكن غلبتهم الشـقاوةُ والحسد، وزيّن لهم الشـيطانُ الكفْرَ والضـلال، وجرَّهم للهلاك، ثم تبـرَّأ منهم في معركة بـدر ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

احذرِ الشـيطانَ وتزيينه، وتأمّل هذه الآيات، وكيف أغوى ويُغْـوِي الكثيرين، ثم يتبرأ منهـم. اجعلِ القرآن مناعَتَك ودواءك.

تذكر خطبةَ الشيطان، يوم البراءة الكبرى والنهاية العظمى يوم القيامة! هل تعرفُ تلك الخُطبة؟ احفظها وتدبّرهـا، فهـي فـي سـورة إبراهيـم، وقـد عرضهـا -سبحانه- لنا ونحن أحياءٌ نعقل ونعرف، تأمّلها واهربْ من الشـيطان قبل هروبه منك ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠

بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

فـي ذلك اليـوم لا ينفع الندم، وإنما هناك حسـرةٌ وعـذابٌ أبـدي. نسـألُ اللّهَ الثبـاتَ والنجاة، ونسـألُه السلامة من الشيطانِ ووسوسته، ونفخِهِ ونفثِهِ!



مسؤوليتنا تُجاه الدعوة

يغفلُ الكثيرون من ذوي العلم والبصيرة، عن واجبٍ أمَرَهُم اللّٰهُ به، وهو الدعوة لدينِ اللّٰه وتبليغه للآخرين.

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

تدبّرْ هذه الآيات، وسائلْ نفسك؛ هل قُمْتَ بواجبك، فذكّرتَ باللّٰه ودعَوْتَ إلى سبيل اللّٰه؟ اخلُ بنفسك وحاورها كيف أنتَ والدعوة إلى اللّٰه؟ افحصْ نفسَكَ فما خَلَقكَ اللّٰهُ بهيمةً لا تعقل، لك عقلٌ ستسألُ عنه؟

هذه خطابـاتٌ ربّانية للرسـول ﷺ، ولأتباعه من ذوي العلم والمعرفة، وأنـت تعلّمتَ وقرأتَ القرآن، وقـد أمرك الله بالتفكـر والتدبر، وأنت تعرفُ نفسَـكَ وتكاسلك، والله -سـبحانه- يعلمُ مواهبك وقُصورك، وسـوف يسـائلك عمـا تسـتطيعه وقَصَّرْتَ فـي أدائه، فالبدارَ البدارَ قبل السؤال!

إن إبليسَ سـوفَ يعملُ على صَرْفِك عن هَمِّ الدعوة ويُلَبِّـس عليك، فاحذره أن يغْلِبَكَ. فصحابةُ رسول الله ﷺ سـمعوا القرآن وفهمـوه، وانطلقوا في الآفاق ينشـرون ديـن الله، ويدعـون إليـه، أين نحـن منهم؟ لم تمنعهم وسائل النقل، ولا عدم إجادة لُغات الآخرين من تبليغ الدعوة، لبّوا النداء، فتسـابقوا دُعاةً إلى الله في الآفاق.

فكِّـرْ وافحصْ نفسـك مـع الدعوة إلـى الله، وهل بذَلَتَ ولو يسـيرًا في سـبيل الله؟ هل صرفت من مالِكَ شـيئًا فـي برنامج مـن برامج الدعـوة إلـى الله؟ مثلُ كفالـة داعية، طباعة كُتيّب، ترجمة خُطبة دعوية. وهل

قمـتَ بزيارة مكاتب توعية الجاليـات، وقدّمتَ المعونةَ المادّيـةَ أو المعنويةَ لهم أو صرفت جزءًا من وقتك في مسـاعدتهم في العمـل؟ ومواقع التواصـل الاجتماعي الدعويـة؛ أين أنت مـن دعمها والتعريـف بها؟ جارك أو زميلك في العمل إن كان غير مسـلم؛ هل اسـتهدفت دعوته؟ فرآك قُدوةً في أخلاقك وتعاملك، وتلطّفت معه ورغّبته في دينِ اللّه، وأهديته القرآن؟ التجار المسلمون الأوائل نشـروا دين اللّه في قارة آسيا بأمانتهم وحُسن تعاملهم!

إذا حَضَرْتَ يوم القيامة وبدأَتِ المُسـاءلة، وسُئلت عـن إسـهامك في الدعوة إلـى اللّه، فماذا تقـول؟ إذا السـائقُ والخادمـةُ في منزلـك، والعامل فـي متجرك حضروا يـوم القيامة وخاصموك في عدم تعريفك لهم بالإسلام وترغيبهم فيه، فما هي حُجَّتك؟

اقـرأ القرآن وتدبّـره، واعملْ بأوامـره، وكُنْ داعيةً لدين اللّه وفق طاقتك ﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٢].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأعراف: ٤٢].

كتابُك سينطق بعملك يوم القيامة ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

قِفْ واستغرقْ في تأمل قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

إن هذه الآية الكريمة أصلٌ عظيم في مشروعية الدعوة إلى الله، فالكلٌّ مأمورٌ بالدعوة إلى الله وفق قُدرته ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ﴾.

شابٌّ مغربي التقى في سيؤل بالسيدة (هيونق سونق)، وهي امرأةٌ كوريةٌ مسيحية، ساعدها في موقفٍ عرضِي حدث لها فشكرته، وأخذت رقم هاتفه، ثم تواصلت معه، ودعته في مطعم كوري، وعرفت امتناعه عن أكل لحم الخنزير، وسألته عن السبب،

فقـال: إنه الإسـلام يمنعنا مـن أكله. فقالت لـه: إنها توقفت عن أكل لحم الخنزير منذ أسـبوع؛ حيث قرأت كتابًـا في اليهودية، ووجدته يتفق مع ما في الإنجيل من تحريـم أكل الخنزير. وهنا أدّى هذا الشـاب المسـلم واجبـه في الدعوة إلى اللّٰه، فاقتـرح عليها قراءة كتاب المسـلمين القرآن فرحّبت بذلك، ومن ثمَّ أهداها فيما بعـد نسـخةً مترجمةً لمعانـي القرآن الكريـم، فقرأت فيها، ثم التقت بالشاب مرّة أخرى، وكانت مذهولةً مما استوعبته، وقالت: إن هذا الكتاب يُشبه ما يُكتبُ عندنا فـي الإنجيـل، ولا يُمكـنُ أن يكـونُ مكتوبًا من إنسـان. فسـألها الشـاب العربي لماذا؟ قالت: لأنها تدرُسُ أن الإسـلام دينٌ اخترعه محمد، وأن القرآن كتبه محمد، فلما قـرأت ترجمة معاني القرآن قالت: إنه لا يُمكن أن يكون مكتوبًا عن طريق إنسـان، وأنه يتشابه مع الكتاب المقدس، وأحسن منه في البيان ومفهومٌ جِدًّا، والكتاب المُقدَّسـ غير مفهوم، وأفكاره مُتضاربة. وكررتْ قولها للشاب: قرأتُ القرآن عدّة مرات وهو مفهوم، مفهوم.

إنــه القرآن بركةٌ ونــور، كيف لو كانت هــذه المرأةُ تعــرفُ العربيــة وتُجيدهــا؟ أيــن أبنــاء اللغــة العربية وغفلتهــم عــن قــراءة كتــاب اللّٰه والتَّذكِيرَ بِــهِ؟ امرأةٌ كُورية لا تعرف العربيــة، وقرأتْ ترجمةَ معاني القرآن، فبهرها وأسـلمت في العشــر الأواخر من شهر رمضان عــام ٢٠٠٥م بالمركــز الإســلامي فــي ســيؤل بكوريا، وتسَــمَّت بفاطمــة، ومضت تتعلم الإســلام، وتتعمق في فهمه ودراســته. لقــد أراد اللّٰه بها الخيــر، فكان ذاك الموقف البغيض العارض ســببًا في هدايتها لدين اللّٰه ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

كان الحدَثُ بقُرب ذاك الشــاب المغربي المُبارك، الذي كان ســببًا في صرفها عن باطل كانت ماضية في طريقه، كانت تتردد على الكنيســة فــي كوريا، وتجتهدُ لتصبحَ داعيةً خارج كوريــا للديانة النصرانية الباطلة فــي دول إفريقيــة، ولكن -بتوفيق اللّٰه، ثــم ببركة ذاك الشــاب المغربي- صــارت داعية إلى ديــن الحق، إلى

الإســلام في بلدها كوريا. بُوركت تلــك المرأة، وبورك ذاك الشــاب، كــم لــه مــن الأجــر! ردّها عــن إضلال الآخرين، وأخذها لطريق الخير، وشــاركها في كســب أُجور منْ يُسلم على يديها. هذا نموذج من نماذج الحسّ الإسلامي، لقد جسّد المسؤولية الفردية الدعوية[1].

إن الدعوة إلى الله مســؤولية بَيَّنَها اللّهُ -سبحانه- في القــرآن الكريم، فقد تكرر التنبيــه للدعوة والتبليغ ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]. فما هو إسهامُك في تبليغ القرآن؟

مما قاله ابن عاشــور في تفسيره: «إضافَةُ (سَبِيلِ) إلى (رَبِّكَ) بِاعْتِبارِ أنَّ اللّهَ أرْشَــدَ إلَيْهِ، وأمَرَ بِالتِزامِهِ. وصارَ هَذا المُرَكَّبُ عَلَمًا بِالغَلَبَةِ عَلى دِينِ الإسْلامِ، كَما فــي قَوْلِهِ تَعالــى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٦]. وهــو المُــرادُ هُنا، وفي قَوْلِــهِ عَقِبَهُ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [القلم: ٧].

(١) كُوريا الجنوبية أشواق وآفاق، د. عبدالمحسن بن عبدالرحمن آل الشيخ.

ويُطْلَقُ سَبِيلُ اللّهِ عَلَمًا بِالغَلَبَةِ أَيْضًا عَلى نُصْرَةِ الدَّيْنِ بِالقِتالِ، كَما في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١].

والحِكْمَةُ: هي المَعْرِفَةُ المُحْكَمَةُ؛ أي الصّائِبَةُ المُجَرَّدَةُ عَنِ الخَطَأِ، فَلا تُطْلَقُ الحِكْمَةُ إلّا عَلى المَعْرِفَةِ الخالِصَةِ عَنْ شَوائِبِ الأَخْطاءِ، وبَقايا الجَهْلِ في تَعْلِيمِ النّاسِ وفي تَهْذِيبِهِمْ، ولِذَلِكَ عَرَّفُوا الحِكْمَةَ بِأَنَّها: مَعْرِفَةُ حَقائِقِ الأَشْياءِ عَلى ما هي عَلَيْهِ بِحَسَبِ الطّاقَةِ البَشَرِيَّةِ؛ بِحَيْثُ لا تَلْتَبِسُ عَلى صاحِبِها الحَقائِقُ المُتَشابِهَةُ بَعْضُها بِبَعْضٍ، ولا تُخْطِئُ في العِلَلِ والأَسْبابِ، وهي اسْمٌ جامِعٌ لِكُلِّ كَلامٍ أَوْ عِلْمٍ يُراعى فِيهِ إِصْلاحُ حالِ النّاسِ، واعْتِقادُهم إِصْلاحًا مُسْتَمِرًّا لا يَتَغَيَّرُ»[1].

هذا وقد أبان -سبحانه- أن الدعوة إلى الله مراتب وفقًا لحالة المدعوين، وجاء بيان منهج الدعوة إلى

(١) التحرير والتنوير، (١٣/٢٦٢-٢٦٣).

اللّٰه، ومن ثم ضرورةُ التزود بأساليب الدعوة، فخطاب خادمة البيت غير خطاب المُتعلم ﴿بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾.

قال الشيخ ابن سعدي في تفسيره لهذه الآية:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

«أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾؛ أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده.

ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل، والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبولُه أتمّ، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به.

وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل، فإن كان (المدعو) يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلًا ونقلًا.

ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ علم السبب الذي أدّاه إلى الضلال، وعلم أعماله المترتبة على ضلالته وسيجازيه عليها.

﴿وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ علـم أنهـم يصلحـون للهدايـة فهداهم، ثم منَّ عليهم فاجتباهم»[1].

وذكر ابن القيم في تفسيره قول بَعْض السَّلَفِ: «إذا أرَدْتَ أنْ يُقْبَلَ منك الأمْرُ والنَّهْيُ فإذا أمَرْتَ بِشَيْءٍ فكُنْ أوَّلَ الفاعِلينَ لَهُ، المُؤْتَمِرِينَ بِهِ، وإذا نَهَيْتَ عَنْ شَـيْءٍ، فَكُنْ أوَّلَ المُنْتَهِينَ عَنْهُ»[2].

هذه تأملاتٌ في واجب الدعـوة الذاتية، وفّقنا اللّٰه وأرشـدنا لهديه المستقيم، ووقانا الشـيطان وتسويفه وتلبيسـه ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ٦٧ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٦٨ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٦٩ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحج: ٦٧-٧٠].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص٤٥٢).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (٤٤٧/١).

مسؤوليتنا نحو التّذكير

أنتَ، وأنا، وهي، وهُو؛ هل تعرفون واجبَكُم نحو التذكير بالله؟ حين تقرأ قولَهُ تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]. هل ساءلت نفسك عن هذا الأمر الربَّاني وأين أنت منه؟!

قال الشيخ ابن عاشور في تفسيره: «خُصَّ التَّذْكِيرُ هُنا بِالمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّهُ أرادَ التَّذْكِيرَ الَّذِي يَنْفَعُ المُذَكَّرَ. فالمَعْنى: فَذَكِّرْ بِالقُرْآنِ فَيَتَذَكَّرُ مَن يَخافُ وعِيدِ. وهَذا كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥]»[1].

إن التذكير بالله، والدعوة إلى الله مسؤولية جليلة سوف نُسأل عنهما؛ فالدعوة إلى الله هي إبلاغ دين الله

---

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٦/٣٣٣).

للجاهــل بالدين، هي ما انطلــق الصحابة من المدينة المنورة ينشرونه ويُبلِّغونه لغير المسلمين، هي مسؤوليتك في إرشاد غير المسلمين وتعريفهم بدين اللّٰه.

أما التَّذْكير بدين اللّٰه فهو للمســلمين، هو التجديد المســتمر، والوعــظ المتتابع، والتذكير مــن الغفلة عن دين اللّٰه الحق.

هل وقَفْتَ وجلســتَ تُناجي ذاتك عن مسؤوليتك في تنبيه أُســرتك وزميلك لقراءة القرآن وتدبّره؟ قد يقول بعضكم هــذا الأمر الرباني للرســول ﷺ، ونقول نعم هــو للرســول ﷺ، لكــن أُمَّته، وأنــت منهم، مشمولون بذلك الأمر. ورد في تفسير القرطبي وتفسير البغوي: أن الخطاب للنبي ﷺ والمراد أُمَّته[1].

لا تقُلْ تِلكَ مســؤولية الدُّعاة والمختصين في العلم الشرعي، نعم مســؤوليتهُم كبيرة، لكن كلَّ مُتعلم يُجيدُ

---

(١) ورد هـذا المعنـى فـي أكثـر مـن موضـع مـن تفسـير القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، على سـبيل المثال ورد في (٢/١٦٢)، وتفسـير البغوي (١/٤٤٩، ٥٥٨).

العربيــة وشــيئًا من المعرفــة القرآنية والفهــم العربي لــدلالات القــرآن الكريــم ســوف يُســألُ عــن دوره في التذكير ولِم قَصَّرَ؟!

إنها مسؤوليةٌ ذاتية؛ تَنَبَّهْ لها، واستعدّ للسؤال عنها يوم القيامة!

توزيعُ القرآن الكريم، وطباعة ترجماته، والإســهام بالمال والجُهد في تبليغه مسؤوليةٌ جماعية!

تَنْبِيهُ غيــرِكَ وترغيبهم لهذا المجــال، وتذكيرُهم بخدمة القرآن مجالٌ تذكيري؛ أين أنتَ منه؟

في هذه الآية ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ نصَّ الحقُّ -ســبحانه- علــى التذكير بالقرآن لمن خــاف الوعيد! وكلُّنــا نخاف الوعِيــد، نخافُ من يــوم القيامة، نخافُ من المحاســبة! إذا جاء القرآن وقد عُرِضتَ للنقاشــ، وقال عنك القــرآنُ: هجرني وما قرأ؟ هجرني وما ذكّرَ بي؟ هجرني وما أســهم في تبليغــي للآخرين، هجرني وما نبَّه أُســرتَهُ لتلاوتي، هجرني وهو يســتطيع خدمتي

ونشري في أجهزة التواصل وما فعل! هجرني وما حضر جلسات التّدبّر القرآني، فاستعدّ للجواب.

بادرْ وافحصْ نفسك باستمرار مع هذا الشأن قبل الرحيل والندم.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [الفرقان: ٣٠].

قال الطنطاوي في تفسير الوسيط: «قد اشتملت هذه الآية الكريمة على التخويف العظيم لمن يهجُرُ القرآن الكريم، فلم يحفظه أو لم يحفظ شيئًا منه، ولم يعمل بما فيه من حلال وحرام، وأوامر ونواه.

قال بعض العلماء هجرُ القرآن أنواع: أحدها: هجر سماعه وقراءته. وثانيها: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه. وثالثها: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه. ورابعها: هجر تدبره وتفهمه. وكل هذا دخل في هذه الآية، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض»[1].

(١) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، (١٠/١٩٣).

وفــي آية الأعراف يُنصُّ الحقُّ عَزَّوَجَلَّ أن القرآن إنذار وتذكيــر ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٢].

إنه كتــابٌ أنزلــه اللّٰه لُينــذرَ ويخوِّفَ الكفــار، وهو موعظــةٌ للمؤمنيــن المُصدقين بما جاء به رســول اللّٰه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

قال الشيخ ابن سعدي في تفسيره لهذه الآية:

«يقول تعالى لرسـوله محمـد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مبينًا له عظمة القـرآن: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾ أي: كتــابٌ جليـلٌ حـوى كل ما يحتـاج إليـه العبـاد، وجميـع المطالـب الإلهيـة، والمقاصد الشرعية، محكمًا مفصلًا ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ﴾ أي: ضيقٌ وشكٌ واشـتباه، بل لتعلم أنه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾، وأنــه أصدق الكلام، فلينشـرح له صدرك، ولتطمئن به نفسك، ولتصدع بأوامره ونواهيه، ولا تخش لائمًا ومعارضًا.

﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ الخلق، فتعظهم وتذكرهم، فتقوم الحجة على المعاندين.

(و) ليكون (**ذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**)، كما قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يتذكرون به الصراط المستقيم، وأعماله الظاهرة والباطنة، وما يحول بين العبد، وبين سلوكه»[1].

فالذكرُ طاقةٌ حيويةٌ متجدِّدة تُريحُ النفس، وتُطمئِنُ القلب، وتنفعُ المؤمنين بكل ما في النفع من عموم وشمول لكل حالات المؤمنين.

وفي سورة العنكبوت يُقرر سبحانه أن القرآن الكريم رحمةٌ وذِكرى لقوم يُؤمنون: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وحين يسألُ ويقولُ كيف أُذكّر بالقرآن؟ ورد أن

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص٢٨٣).

الصحابة إذا قابل أحدهم الآخر قرأ عليه سورة العصر. فمتى تجلس مع أسرتك أو أصدقائك وتتدبرون آية من آيات اللّه، وتتواصون بالحق والصبر، كما كان الصحابة يفعلون؟!

تلاوة ما يتيسر من آيات الإنذار وآيات البشارة تذكيرٌ وتنبيه.

استحضار الآخرة ووعيد اللّه للغافلين ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

يقول الشعراوي: «﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ أي: حينما ينذر القرآن بشيءٍ يُصرَفُ هذا الإنذار على أوجهٍ مختلفة، ويُكرَّر الإنذارُ لينبِّه أهل الغفلة.

يعني: لوَّنا فيه كل أساليب الوعد والوعيد، فكل أسلوب يصادف هوى في نفس أحد المستقبلين، فخاطبنا الأهواء كلها بكل مستوياتها، فالعالم والجاهل ومتوسط الفكر، الكل يجد في القرآن مَا يناسبه؛ لأنه

يُشـرِّع للجميع، للفيلسوف وللعامي، فلا بُدَّ أنْ يكون في القرآن تصريفٌ لكل ألوان الملكات ليقنع الجميع.

والتصريف: يعني التحويل والتغيير بأساليب شتَّى لتناسب استقبال الأمزجة المختلفة عند نزول القرآن لعلها تصادف وَعْيًا واهتمامًا ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣].

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [طه: ١١٣] الاتقاء عادة يكون للشر والمعاصي المهلكة، أو يُحدِث لهم الذكْر والشرف والرفعة بفعل الخيرات، وهذا من ارتقاءات الطاعة.

ذلك لأن التكليف قسمان: قسمٌ ينهاك عن معصية، وقسمٌ يأمرك بطاعة، فينهاك عن شُرْب الخمر، ويأمرك بالصلاة، فهم يتقون الأول، ويُحدِث لهم ذِكْرًا يوصيهم بعمل الثاني»[١].

وذاك المُعْرِضُ الغافلُ عن ذكر الله قال الله عنه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

(١) تفسير الشعراوي، (١٥/٩٤٠٤).

أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٤- ١٢٧].

احذرِ الغفلةَ والنسيان، تنبَّهْ ليومِ الحساب والجزاء!

وتكررت في القرآن بشارة الله للمؤمنين الذين يعملون الصالحات، لكن بشرط الإيمان.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٤]. بشارةٌ ربّانيةٌ، وما أكثر بشائر الحق وترغيبه في فعل الخيرات!

﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]. كُلٌّ يأملُ أن يعيش في دنياه حياةً طيبة، وفي آخرته ينْشُد الجزاء الحسن، وهنا يعدُّ ربُّنا بأن الثواب سيكون وفق أحسن أعمالك. ربّاه لك الحمد ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا﴾ [طه: ١١٢].

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٤] ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥]. **نسألُ الله من فضله.**

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣٠، ٣١].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]. **رزقنا الله محبته ووُدَّه.**

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٢٣ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٣، ٢٤]. جناتٌ فيها أنهارٌ جارية، وأسوارٌ وألبسة ونعيم والكلام الطيب العذب الحلو. ربَّاه نسألك القبول.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٨].

هذا، وبعد سماع وقراءة هذه الآيات وتدبّرها، هل ثمَّة أحلى وأجمل من هذا التذكير القرآني؟

سائلْ نفسَك عن العمل الصالح الذي أدّيته هذا اليوم.

إن الأعمال الصالحة مجالٌ واسع، فريالٌ تتصدق به؛ عملٌ صالح، وإصلاحٌ بين متخاصمين؛ عملٌ صالح، وأداؤك عملك بأمانةٍ وعدالةٍ وإخلاصٍ؛ عملٌ صالح، وتذكيرك بالقرآن؛ عملٌ صالح. إن الأعمال الصالحة

كثيرةٌ ومتنوعة، فشمِّر واعمل ليوم التغابن؛ يوم الحسرة والندامة. أدركْ نفسَك قبل الرحيل!

اقرأْ قصّة الطالب الأفغاني، وانظرْ أين أنتَ منه؟

استضفتُ ذاتَ مرّةٍ مجموعةً من طلاب المنح في جامعة الملك سعود بنيّةِ إكرامِ ضيوف بلدي القادمين لأجل العلم والتفقّه في دين اللّٰه، ومُذاكرتهم وإشعارهم بالتقدير والحبّ في اللّٰه، وأحسبهم ممن قال اللّٰه في وصفهم: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]. وحين جلستُ وإيّاهم نتبادلُ أطرافَ الأحاديث، رغبتُ تذكيرهم باللّٰه والعمل لخدمة دين اللّٰه، وإذْ بأحدهم يُحدّثني بحديثٍ صغُرَتْ نفسي حين سمعتُه، وعَلِمتُ أن في أرض اللّٰه جنودًا خفيين، يحملون همَّ التذكير والرسالة، إي واللّٰه قسمي، جهودٌ يسيرةٌ، لكنها جليلة.

أثنى الطالب حسيبُ اللّٰه من أفغانستان على المملكة، وشكر لها أنها استضافتهم للعلم، وأنفقت

عليهم، وقال: بعد أن بدأت دراستي، وصرتُ اتسلّمُ مكافأةً شهرية، فكّرت في بلدي الذي جِئتُ منه، وواجبي نحو جماعتي، ووجوب تعليمهم دين الله وتبصيرهم بتعاليمه، فقررتُ أن افتتحَ مدرسةً في قريتي، وحين عُدتُ في إجازتي رتّبتُ الأمورَ، والتزمتُ بأداءِ درسٍ يومي لهم عن بُعد، وعيّنتُ مُعَلّمَيْن التزمتُ لكل واحدٍ منهما براتبٍ شهري قدره خمسون ريالًا سعوديًا أُحوّله لهما من الرياض فور استلامي مكافأتي من جامعة الملك سعود، وبدأت الدراسة وانتظم فيها قرابة تسعين دارسًا نُعلّمهم كل صباح القرآن والعقيدة. ومعلومٌ فارق الوقت بين الرياض وأفغانستان؛ إذ أستيقظ مُبكّرًا وأُدرّس مادتي قبل موعد الدراسة هنا.

همةٌ عظيمة، أين أنت أخي في الله من هذا الطالب البسيط، يقتطعُ من مكافأته مئةَ ريالٍ شهريًّا لتعليم القرآن الكريم والعقيدة في وطنه.

ماذا عملت أنت؟ سلْ نفسك وحاسبها ولا تستصغِرْ جُهدك. أحسبُ هذا الطالب من الضاربين في الأرض

يبتغــون من فضــل اللّه ﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

لقــد آتى اللّهُ هــذا الطالبَ الأفغانــي فضلَه؛ فوفّقه وباركَ له في وقته وعلمه وماله.



مضمارُ التَوَرُّع

الدنيا رحلة، والبقاءُ للّه! والمتأمِّل في القرآن الكريم يجدُ التنبّيه والتّحذير من فتنة الدنيا، والأمرَ بالعمل للآخرة، فهي الأبقى!

وأهل العلم الشرعي، كغيرهم من رجال العلوم الأخرى، يجتهدون، ويصيبون، ويخطئون!

والملاحظ أن ثمَّةَ فئةً تتطفَّلُ على العلم الشرعي، ويحسبون أنهم يفهمون، ولا يتورَّعون؛ فيُفْتُون، ويلتمِسُون تفسيراتٍ خلافًا لما استنبطه العلماء الذين قال اللّه فيهم: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]. وربما يتطاول بعض أُولئك المُتجاوزين، فيسخرون من العلماء، ويزعمون أن العلم

ليس حكرًا لهذا أو ذاك، وأنهم يفهمون ويستنبطون أحكامَ تضليلٍ وتأويل. فاحذر أخي غوايةَ أُولئك وتَوَرَّعْ، فقد تزلُّ قدمُك عن سبيلِ الله، وتتّبعُ خُطا الشيطان دون علم ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

إن الله جَلَّجَلَالُهُ في هذه الآية يمتنُّ على عباده المؤمنين أن هداهم وصرَفهم عن اتّباع الشيطان!

وفي سورة آل عمران، يُحذِّر -سبحانه- من أُولئك المُتطاولين على الفتوى من ذوي القلوب المريضة، الذين يتخبَّطون ويتّبعون المتشابَهَ من كتاب الله، فيُلبسُون على الناس، وتزيغُ قلوبُهُم طلبًا للفتنة. أما الراسخون في العلم فيعلمون التأويل والتفسير، ويستنبطون الأحكام والهدايات عن علمٍ وبصيرة.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

قال البغوي في تفسيره: «قوله تَعَالَى ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ أَيِ الدَّاخِلُونَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَتْقَنُوا عِلْمَهُمْ؛ بِحَيْثُ لَا يَدْخُلُ فِي مَعْرِفَتِهِمْ شَكٌّ، وَأَصْلُهُ مِنْ رُسُوخِ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ وَهُوَ ثُبُوتُهُ، يُقَالُ: رَسَخَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِ فُلَانٍ يَرْسُخُ رَسْخًا وَرُسُوخًا.

وَسُئِلَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، قَالَ: الْعَالِمُ الْعَامِلُ بِمَا عَلِمَ الْمُتَّبِعُ لَهُ.

وَقِيلَ: الرَّاسِخُ فِي الْعِلْمِ مَنْ وُجِدَ فِي عِلْمِهِ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: التَّقْوَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ، وَالتَّوَاضُعُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلْقِ، وَالزُّهْدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الدُّنْيَا، وَالْمُجَاهَدَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ»[1].

وقال ابن عاشور في تفسيره: «المُرادُ بِالرّاسِخِينَ في العِلْم: الَّذِينَ تَمَكَّنُوا في عِلْم الكِتاب، ومَعْرِفَةِ مَحامِلِه، وقامَ عِنْدَهم مِنَ الأدِلَّةِ ما أرْشَدَهم إلى مُرادِ اللهِ تَعالى؛ بِحَيْثُ لا تَرُوجُ عَلَيْهِمُ الشُّبَهُ. والرُّسُوخُ

(١) معالم التنزيل، البغوي، (٢/١٠-١١).

فـي كَلامِ العَرَبِ: الثَّبـاتُ والتَّمَكُّنُ في المَـكانِ، يُقالُ: رَسَـخَتِ القَدَمُ تَرْسَخُ رُسُوخًا إذا ثَبَتَتْ عِنْدَ المَشْيِ ولَمْ تَتَزَلْزَلْ، واسْـتُعِيرَ الرُّسُـوخُ لِكَمالِ العَقْلِ والعِلْمِ بِحَيْثُ لا تُضَلِّلُهُ الشُّـبَهُ، ولا تَتَطَرَّقُهُ الأَخْطاءُ غالِبًا، وشـاعَتْ هَذِهِ الاِسْتِعارَةُ حَتّى صارَتْ كالحَقِيقَةِ. فالرّاسِخُونَ في العِلْـمِ: الثّابِتُونَ فِيهِ، العارِفُونَ بِدَقائِقِهِ، فَهم يُحْسِـنُونَ مَواقِعَ التَّأْوِيلِ ويَعْلَمُونَهُ»[1].

وقال ابـن القيّم في تفسـيره: «أَصْلُ خَرابِ الدِّينِ والدُّنْيـا إنّما هو مِن التَّأْوِيلِ الَّذِي لَمْ يُرِدْهُ اللّهُ ورَسُـولُهُ بِكَلامِـهِ، ولا دَلَّ عَلَيْـهِ أَنَّهُ مُـرادُهُ، وهَـلِ اخْتَلَفَتِ الأُمَمُ عَلـى أَنْبِيائِهِـمْ إلّا بِالتَّأْوِيلِ؟ وهَلْ وقَعَتْ فـي الأُمَّةِ فِتْنَةٌ كَبِيرَةٌ أَوْ صَغِيرَةٌ إلّا بِالتَّأْوِيلِ؟ فَمِن بابِهِ دَخَلَ إلَيْها، وهَلْ أُرِيقَتْ دِماءُ المُسْلِمِينَ في الفِتَنِ إلّا بِالتَّأْوِيلِ؟

وَلَيْسَ هَذا مُخْتَصًّا بِدِينِ الإِسْـلامِ فَقَطْ، بَلْ سائِرُ أَدْيانِ الرُّسُـلِ لَـمْ تَزَلْ عَلى الاِسْـتِقامَةِ والسَّـدادِ حَتّى

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٣/١٦٤).

دَخَلَها التَّأْوِيلُ، فَدَخَلَ عَلَيْها مِن الفَسـادِ ما لا يَعْلَمُهُ إلّا رَبُّ العِبادِ.

وَقَدْ تَواتَرَتِ البِشاراتُ بِصِحَّةِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فـي الكُتُـبِ المُتَقَدِّمَةِ، ولَكِنْ سَـلَّطُوا عَلَيْهـا التَّأْوِيلاتِ فَأَفْسَدُوها، كَما أَخْبَرَ -سُـبْحانَهُ- عَنْهم مِن التَّحْرِيفِ والتَّبْدِيـلِ والكِتْمـانِ، فالتَّحْرِيـفُ تَحْرِيـفُ المَعانِـي بِالتَّأْوِيـلاتِ الَّتِي لَمْ يُرِدْها المُتَكَلِّمُ بِها، والتَّبْدِيلُ تَبْدِيلُ لَفْظٍ بِلَفْظٍ آخَرَ، والكِتْمانُ جَحْدُهُ.

وَهَـذِهِ الأَدْواءُ الثَّلاثَةُ مِنها غُيِّـرَتِ الأَدْيانُ والمِلَلُ، وإذا تَأَمَّلْتَ دِينَ المَسِـيحِ وجَدْتَ النَّصارى إنّما تَطَرَّقُوا إلى إفْسادِهِ بِالتَّأْوِيلِ بِما لا يَكادُ يُوجَدُ قَطُّ مِثْلُهُ في شَيْءٍ مِن الأَدْيانِ، ودَخَلُوا إلى ذَلِكَ مِن بابِ التَّأْوِيلِ.

وَكَذَلِـكَ زَنادِقَـةُ الأُمَـمِ جَمِيعُهم إنّمـا تَطَرَّقُوا إلى إفْسـادِ دِيانـاتِ الرُّسُـلِ صَلَـواتُ اللهِ وسَـلامُهُ عَلَيْهِمْ بِالتَّأْوِيـلِ، ومِـن بابِهِ دَخَلُـوا، وعَلى أَساسِـهِ بَنَوْا، وعَلى نُقَطِهِ خَطُّوا.

والمُتَأَوِّلُـونَ أَصْنـافٌ عَدِيدَةٌ، بِحَسَـبِ الباعِثِ لَهم عَلـى التَّأْوِيـلِ، وبِحَسَـبِ قُصُـورِ أَفْهامِهِـمْ ووُفُورِهـا، وأَعْظَمُهـم تَوَغُّلًا في التَّأْوِيلِ الباطِلِ، مَنْ فَسَـدَ قَصْدُهُ وفَهْمُهُ، فَكُلَّما سـاءَ قَصْدُهُ وقَصُرَ فَهْمُهُ كانَ تَأْوِيلُهُ أَشَدَّ انْحِرافًـا، فَمِنهـم مَن يَكُـونُ تَأْوِيلُهُ لِنَوْعِ هَـوًى مِن غَيْرِ شُبْهَةٍ، بَلْ يَكُونُ عَلى بَصِيرَةٍ مِن الحَقِّ، ومِنهم مِن يَكُونُ تَأْوِيلُهُ لِنَوْعِ شُبْهَةٍ عَرَضَتْ لَهُ أَخْفَتْ عَلَيْهِ الحَقَّ (وَمِنهم مَن يَكُونُ تَأْوِيلُهُ لِنَوْعِ هُدًى مِن غَيْرِ شُبْهَةٍ، بَلْ يَكُونُ عَلى بَصِيرَةٍ مِن الحَقِّ) ومِنهم مَن يَجْتَمِعُ لَهُ الأَمْرانِ: الهَوى في القَصْدِ والشُّبْهَةُ في العِلْمِ.

وبِالجُمْلَةِ فافْتِراقُ أَهْلِ الكِتابَيْنِ، وافْتِراقُ هَذِهِ الأُمَّةِ عَلـى ثَلاثٍ وسَـبْعِينَ فِرْقَةً إِنّمـا أَوْجَبَهُ التَّأْوِيـلُ، وإِنَّما أُرِيقَـتْ دِماءُ المُسْـلِمِينَ يَـوْمَ الجَمَلِ وصِفِّيـنَ والحَرَّةِ وفِتْنَـةِ ابْـنِ الزُّبَيْـرِ وهَلُـمَّ جَـرًّا بِالتَّأْوِيلِ، وإِنَّمـا دَخَلَ أَعْداءُ الإِسْـلامِ مِن المُتَفَلْسِـفَةِ والقَرامِطَـةِ والباطِنِيَّةِ والإِسْـماعِيلِيَّةِ والنُّصَيْرِيَّةِ مِن بابِ التَّأْوِيلِ، فَما امْتُحِنَ الإِسْـلامُ بِمِحْنَـةٍ قَطُّ إِلّا وسَـبَبُها التَّأْوِيلُ؛ فَـإِنَّ مِحْنَتَهُ

إمّا مِن المُتَأَوِّلِينَ، وإمّا أَنْ يُسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الكُفّارُ بِسَبَبِ ما ارْتَكَبُوا مِن التَّأْوِيلِ وخالَفُوا ظاهِرَ التَّنْزِيلِ وتَعَلَّلُوا بالأباطِيلِ، فَما الَّذي أَراقَ دِماءَ بَنِي جَذِيمَةَ وقَدْ أَسْلَمُوا غَيْرُ التَّأْوِيلِ حَتّى رَفَعَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ يَدَيْهِ وتَبَرَّأَ إلى اللّٰهِ مِن فِعْلِ المُتَأَوِّلِ بِقَتْلِهِمْ وأَخْذَ أَمْوالَهُمْ؟ وما الَّذِي أَوْجَبَ تَأَخُّرَ الصَّحابَةِ رضي الله عنهم يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ عَنْ مُوافَقَةِ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ غَيْرُ التَّأْوِيلِ حَتّى اشْتَدَّ غَضَبُهُ لِتَأَخُّرِهِمْ عَنْ طاعَتِهِ حَتّى رَجَعُوا عَنْ ذَلِكَ التَّأْوِيلِ؟ وما الَّذِي سَفَكَ دَمَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُثْمانَ ظُلْمًا وعُدْوانًا وأَوْقَعَ الأُمَّةَ فِيما أَوْقَعَها فِيهِ حَتّى الآنَ غَيْرُ التَّأْوِيلِ؟ وما الَّذِي سَفَكَ دَمَ عَلِيٍّ رضي الله عنه وابْنِهِ الحُسَيْنِ وأَهْلِ بَيْتِهِ رضي الله عنهم غَيْرُ التَّأْوِيلِ؟ وما الَّذِي أَراقَ دَمَ عَمّارِ بْنِ ياسِرٍ وأَصْحابِهِ غَيْرُ التَّأْوِيلِ؟ وما الَّذِي أَراقَ دَمَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وحُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ وسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وغَيْرِهِمْ مِن ساداتِ الأُمَّةِ غَيْرُ التَّأْوِيلِ؟ وما الَّذِي أُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِماءُ العَرَبِ في فِتْنَةِ أَبِي مُسْلِمٍ غَيْرُ التَّأْوِيلِ؟ وما الَّذِي جَرَّدَ الإمامَ أَحْمَدَ بَيْنَ العِقابَيْنِ وضُرِبَ السِّياطَ حَتّى عَجَّتِ الخَلِيقَةُ إلى رَبِّها تَعالى غَيْرُ التَّأْوِيلِ؟ وما الَّذِي قَتَلَ الإمامَ أَحْمَدَ

ابْنَ نَصْرٍ الخُزاعِيَّ وخَلَّدَ خَلْقًا مِن العُلَماءِ في السُّجُونِ حَتّى ماتُوا غَيْرُ التَّأْوِيلِ؟ وما الَّذِي سَلَّطَ سُيُوفَ التَّتارِ عَلى دارِ الإسْلامِ حَتّى رَدُّوا أهْلَها غَيْرُ التَّأْوِيلِ؟ وهَلْ دَخَلَتْ طائِفَةُ الإلْحادِ مِن أهْلِ الحُلُولِ والِاتِّحادِ إلّا مِن بابِ التَّأْوِيلِ»[1].

وبعد، فإن العلم الشرعي كغيره من العلوم له رجاله المختصُون، بل أرى أنه أهم العلوم، فدينُ الأمة أولًا؛ لا يتخبَّط فيه مُتَخَبِّط، ولا يهذي فيه هاذٍ، يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ولأهمية العلم الشرعي؛ قرن الحقُّ -سبحانه- شهادته وملائكته، بشهادة أولي العلم ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، (٤/٢٥٠-٢٥١)، وانظر: تفسير ابن القيم، سورة آل عمران، الآية: ٧.

قال القرطبي عند تفسيره لهذه الآية: «فِي هَذِهِ الْآيَـةِ دَلِيلٌ عَلَـى فَضْلِ الْعِلْمِ وَشَـرَفِ الْعُلَمَاءِ وَفَضْلِهِمْ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ أَشْرَفَ مِنَ الْعُلَمَاءِ لَقَرَنَهُمُ اللَّهُ بِاسْمِهِ وَاسْـمِ مَلَائِكَتِهِ كَمَا قَرَنَ اسْـمَ الْعُلَمَاءِ. وَقَالَ فِي شَرَفِ الْعِلْمِ لِنَبِيِّهِ ﷺ ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ فلو كان شـيء أَشْـرَفَ مِـنَ الْعِلْمِ لَأَمَـرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّـهُ ﷺ أَنْ يَسْـأَلَهُ الْمَزِيـدَ مِنْـهُ كَمَا أَمَرَ أَنْ يَسْـتَزِيدَهُ مِـنَ الْعِلْمِ. وَقَـالَ ﷺ: «إِنَّ الْعُلَمَـاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَـاءِ»[1]. وَقَالَ: «الْعُلَمَاءُ أُمَنَاءُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ»[2]. وَهَذَا شَـرَفٌ لِلْعُلَمَاءِ عَظِيمٌ، وَمَحَلٌّ لَهُمْ فِي الدِّينِ خَطِيرٌ»[3].

ويخُصُّ –سبحانه– العلماء الراسخين في العلم بالذكر، وسمّاهم الراسخين، فقال: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾ [النساء: ١٦٢].

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا في باب العلم قبل القول والعمل (٧١/١)، وأحمد (٣٦/٤٥–٤٦ رقم ٢١٧١٥)، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٥٨٧/٥)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٧/١ رقم ٧٠).

(٢) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١٠٠/١ رقم ١١٥).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، (٤١/٤).

وقد علم العلماء ذوو القلوب الراسخة بعظمة كتاب اللّه؛ ولهذا تراهم يخشعون، وتهتزُّ قلوبُهم لسماعِ تلاوةِ كتابِ اللّه، فيخرُّون سُجَّدًا للّه؛ ذلةً وطمعًا في رحمتهِ وعفوهِ ومغفرته.

﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧].

ويتميز أهل العلم بحفظ كتاب اللّه، فنالت أجسادهم شرفَ الذكر الربَّاني بما احتوتْهُ صدورُهُم من نورٍ وبيان ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

ولا يترددُ أولو العلم الذين فتح اللّه عليهم في معرفة الحق والدعوة إليه ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

ويقْصُرُ الحق -سبحانه- خشيته دون سواه على العلماء ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

ويقــرر سـبحانه رِفْعَةَ حملةِ العلـم عنده ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [المجادلة: ١١].

وبعــدُ يا عبدَالله، هــذا كلامُ الله المُعجِـز اعرضْ نفسَك عليه كل حين، وافحصْ نفسك معه، وانظر كيف أنت! وفي أي درجةٍ عند الله تُرفعُ بعلمِك، وما مؤشرات رسوخ العلم لديك؟ حينها ستعرف النتيجةَ حين تعرض نفسَك على جهازِ الفحصِ القرآني الدقيق.

اقـرأ القرآن وتأمّـل وتفكّر، فقد أورد –سـبحانه– التَّفكُّـر فـي معرض المـدح، فقال تعالــى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: ٢١].

تفكَّرْ فــي صُنعِ الله تنلْ ثنــاءه ورضاه ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم

مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣].

وفي آيةٍ أخرى يقول تعالى: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [النور: ٤٤].

وذمَّ -سبحانه- المُعرضين عن التفكر، فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].



مفتاح السعادة

مَنْ منَّا لا يرغب في الحياة السعيدة؟ كل البشر مهما كانت دياناتهم ينشدون السعادة. فحين صدر كتاب ديل كارنيغي (دع القلق وابدأ الحياة)، تهافت الناس على شرائه وقراءته، وتُرجم إلى عدّة لغات منها اللغة العربية. قال أحد المثقفين عنه: إن لم تكن قد قرأته فضع ما بيدك جانبًا وابدأ قراءته الآن! كتاب سيغير طريقة تفكيرك للأبد، ويجعل الحياة أسهل وأكثر مرونة.

حين سافر الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى بيروت للعلاج قرأ الكتاب، وأحضر نسخة منه، وأوصى بقراءته.

وأقول: أجملُ من ذلك الكتاب وأوثق، وأحلى وأصدقُ من كلِّ ما كُتب، ومن كُلِّ ما قيل حول السعادة في الدنيا

والتخلُّص من القلـق والضغط والتوتر، أطيبُ من ذلك كُلِه، عددٌ من الآيات القرآنية تَجلِبُ السـعادة، افهمها، قفْ معها وقفات، تدبرْ وتفكّرْ؛ تعشِ السـعادة الفعلية، وتشـعر بالطمأنينة في نفسـك وحياتك ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

اصـدُقْ فـي إيمانـك، واعمـلْ صالحًا تحيا وتعشْ حيـاةً رخيّةً سـعيدة، عبّـر القـرآن عنهـا بـ (طيِّبة). ولكلمة (طيبة) إيحاءاتها؛ اللين، والرخاوة، والبهجة، والرائحة الزكّية، النضارة، وكُل صفات السعادة.

إن كُنتَ مهمومًـا وقلقًا وضائقًا صدرُك، فبادرْ نحو القرآن، وتأمَّلْ آيات السعادة، وافحصْ نفسَك معها!

كل القرآن سعادة، وستَجِدُ في بعض الآيات سلوتَك، وتلقَ بها راحتَك، فبادرْ واعملْ بها!

اقرأ أول سورة هود وتدبّرها وتمعّن في ما استنبطه عُلماء التفسـير منها، يقول تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ

فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود: ١- ٤].

أخـي في اللّه، أختي في اللّه، مـنْ منّا لا يَودُّ المتاعَ الحسَن في دُنياه؟ قال علماء التفسير: أكثرْ من استغفار اللّه وتوبته تعشْ حياةً سعيدةً ومتاعًا حسنًا إلى أجلك المكتـوب. ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود: ٣].

إن في القرآن الكريم إرشادًا وبيانًا للسعادة؛ فهيّا قفْ واقرأْ وتدبّرِ الوعد الربّاني في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]. ليس هناك أوثق ولا أصدق ولا أحب من هذا الوعد الإلهي المشروط بالإيمان والعمل الصالح! إنها السعادة القادمة والوعد السار واليقين المُتحقِّق، واللّه، وتاللّه، وباللّه إنها السعادة والبهجة، فهيَّا نُشَمِّرُ عن سواعد الجِدِّ والعمل الصالح مهما كان!

فتداركْ نفسك من الوقوع في الخطأ، ولا تقنطْ من رحمــة الله، وتمضي فــي دُرُوب الغواية ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

إن أسرفْتَ ونسيْتَ ومضيْتَ وراء شهواتك فلا تقنط، بل عُدْ إلى ربٍّ عفوٍّ كريم ينتظرك، فلا تيأسْ ولا تستعظم ذنوبك؛ فعفوُه أعظم، وكرمُه أوســعُ وأشملُ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

ستُحاسبُ على سيئاتك، وقد يمحوها الله -سبحانه- إذا تداركت نفسك.

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

إنه القرآنُ مَصدرُ السَّعادة، فلُذْ به، واجعلْه أنيسَك وسلوتَك!

مقياس محبة اللّٰه

ما من شخص إلا ويرجو أن يكون محبوبًا عند اللّٰه.

فالحبُّ الإلهي غايةٌ عظمى، وهدفٌ أسمى وعظيمٌ، نرجو الفوز به جميعًا، والحبُّ الربَّاني أغلى أنواع الحب؛ أثمــنُ من حبِّ الوالدين، وأعزُّ مــن حبِّ الزوجة، وأهمُّ مــن كل حبٍّ عرفهُ البشــر أو لم يعرفــوه. وكيف تعرف أن اللّٰه يحــبُّ؟ هــل يمكن ذلك، واللّٰه غيــبٌ لا يمكن أن نراه أو نكلِّمه في دنيانا؟! هو يرانا ولا نراه، وفي الآخرة يفوزُ عباده المؤمنون برضــاه وجنّته، ويكلّمهم ويراهم ويرونه ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

افتحِ المصحف تعرفْ طريقَ المحبّة.

اتّبِعْ رسولَ اللّه ﷺ يُحْبِبْكَ اللّهُ، واتباع رسولِ اللّه يَتِمُّ بتصديقه فيما جاء به، والعمل بما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، إن فعلت ذاك أحبَّك اللّه ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران: ٣١].

واللّه -سبحانه- يحبُّ الإحسان، وقد تكرَّرت الآيات حول محبّةِ اللّه للإحسان، قال تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] ﴿وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣]. **فهل** أنت محسنٌ في نفسك؟ وهل تحسن للآخرين؟ سلْ نفسك لتعرف مقياس محبّة اللّه لك، وتجدْ حلاوته في قلبك، ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨]. ورَغَّبَ -سبحانه- في العفو والصفح، وذاك إحسان يُحبُّه اللّه، فهل أنت ممّن يتحمَّلُ ويصفحُ ويتجاهل الإساءة، ويتناسى زلّة القريب، وهفوة الصديق، وخطأ الجار؟

هل تصفحُ عنهم ابتغاء مرضات اللّه؟ ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣]. والإنفاقُ

والصدقةُ إحسان، وكظمُ الغيظ إحسان، والعفو إحسان، وكل تلك الأعمال يُحبُّها اللّٰه ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. إذن، فلتعرف محبّة اللّٰه لك، ولتنظر لنفسك ومحبتك للإحسان الذي يحبّه اللّٰه.

واللّٰه يُحبُّ الطهارة والمُتَطهرين، فهل أنت من أهل الطهارة والنقاوة الحسية والمعنوية؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]. إن كانت الطهارة سجيَّتَك وهواك وحُبَّك فاعلمْ أن اللّٰهَ يحبُّك!

وفي سورة التوبة يردُ ذكرُ المتطهرين في سياق ذكر المسجد؛ إذ يرتبط المسجد بالوضوء والطهارة الحسِّية والمعنوية، ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨]. فاللّٰه -سبحانه- مُحبٌّ للمتطهرين، فهل أنت مُحبٌّ للمساجد التي يغشاها المتطهرون؟ تأنسُ بالجلوس فيها، والخلوة مع كتاب اللّٰه في رحابها الطاهرة؟

سلْ نفسَك كلَّ يوم وافحصها؛ هل أنت تسارع للمساجد طاهرًا مُتطهرًا لأداء الصلوات الخمس؟ إن كُنت ذاك الرجل فاعلمْ بمحبّة اللّٰه لك، زادك اللّٰه طهارة ونقاءً.

وكيف أنت مع مقياس التقوى وصُحْبَتِها والتخلقِ بها؟ ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]. وقد بين القرآن الكريم وعرَّف المتقين الذين يُحبهم اللّٰه -جعلنا منهم- فقال تعالى: ﴿الٓمٓ ① ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ② ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ③ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١-٥].

فهل يا ترى أنت من هؤلاء المتقين المؤمنين بالغيب، والمقيمي الصلاة، والمنفقين، والمؤمنين بما أوحى اللّٰه إلى رسله؟! إن كنت كذاك فقد فُزتَ بمحبّةِ اللّٰه، فاللّٰهُ يحبُّ المتقين.

وكذلك فإن الصبر شأنه عظيم، واللّٰه يحبُّ الصابرين، فما مقياسُك في الصبر على اجتناب

محارم الله، والصبر على أداء العبادات، والصبر على الابتلاء، والجهاد والإنفاق في سبيل الله؟ وأين تضع نفسك من هذا الصبر بتنوعاته المختلفة؛ لتفوز بمحبّة الله؟ ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]. وهل تستحق الفوز بنتيجة الصبر بعد فحص نفسك مع هذا الخلق، كما أورده القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٧٥].

وكيف أنت والعدل؟ فالله يُحبُّه، وقد كرَّرَ -سبحانه- في آياته حُبَّه للمقسطين، فإذا نزغ الشيطان بين طائفتين من المؤمنين، فأصلحوا بينهما بالعدل والقسط، وإياكم والجور، فالله يُحبُّ العدل الذي هو القسط.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

واللّٰه يمقتُ الظلمَ ويأمر بالقسـط والعدل حتى مع المخالفين فـي الدين، قال تعالـى ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

«قالَ المُفَسِّرُونَ: وهَذِهِ الآيَةُ رُخْصَةٌ في صِلَةِ الَّذِينَ لَمْ يَنْصِبُوا الحَرْبَ لِلْمُسْلِمِينَ، وجَوازِ بِرِّهِمْ، وإنْ كانَتِ المُـوالاةُ مُنْقَطِعَـةً مِنهـم وأن تُعامِلُوهم بِالعَـدْلِ فِيما بَيْنَكم وبَيْنَهم»(١).

هذا منهج قرآني كشـف اللّٰه به محبّتـه للمُتَخَلِّقِين بتلك الصفـات؛ ولهذا إن كنتَ تنشـدُ محبّة اللّٰه، فكن مـن أولئك، ولكي تفحص نفسـك ومحبّة اللّٰه لك؛ دقِّقْ أين أنت، وقِسْ نفسَك مع هذه الآيات التي بيَّن اللّٰه فيها عوامل تحقُّقِ حبَّه ومحبّته، وكسـب رضاه؛ لتعيشـ آمنًا مطمئنًا محبًّا محبوبًا، وإن لم تكن كذلك ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (٧/٨).

مَهْرُ الجَنَّةِ

يعيش بعضُ المسلمين أوضاعًا اجتماعية واقتصادية صعبة، ويتعرض آخرون لمآسي وآلام، تدفع للسخرية من دينهم، فتهتز عقائد ثُلةٍ منهم، ويَصْبِرُ ذوو العقائد السليمة الذين قرؤوا القرآن، واطمأنوا إليه، وعلموا حقيقة الإيمان، وأن مهر الجنة غالٍ.

قال الحسن البصري: «يسِيرُ اليقين يُخْرِجُ الشكَّ كُلَّهُ من القلب، ويسيرُ الشك يُخرج اليقين منه!»[1].

احذَر الشكَّ ووسوسة الشيطان، وعندما ترى واقع المسلمين وما يتعرضون له من ابتلاءات، وقد تكون

(١) البداية والنهاية: (١٤/٣٥٨).

واحدًا مــن أولئــك المُبْتَلَين، فافتح كتــاب اللّٰه الكامل تجد فيه الدواء والسلَوَة.

عندمــا ترتَبِـكُ وتهتَـزُ نفسـيتُك افتــحِ المصحف وافحصْ نفسَــك مع آيات الصبر والابتلاء، وانظر أين أنت؟

لقد أخبر سـبحانه: أمةَ الاسـلام بأن مهر الجنة، وهــي مُبتغاهــم، غــالٍ، وأن درب الخير يلزمــه الصبر ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

مما ذكرهُ ابن عثيمين عند تفسيره لهذه الآية، قال:

* «يسـتفاد من هذه الآية الكريمة: عناية اللّٰه عَزَّوَجَلَّ بهذه الأمة؛ حيث يسلّيها بما وقع بغيرها، وهكذا كمــا جاء في القرآن جاء في السـنة، فالرسـول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لمــا جــاء أصحابـه يشـكون إليه في مكـة أخبرهم بأن من كان قبلنا يوضع المنشــار

على رأسه، ويمشط به ما بين لحمه وعظمه، ثم لا يرده ذلك عن دينه؛ تثبيتًا للمؤمنين.

عن خباب بن الأرت: شَكَوْنا إلى رَسولِ اللّٰهِ ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلِّ الكَعْبَةِ، فَقُلْنا: ألا تَسْتَنْصِرُ لنا؟ ألا تَدْعُو لَنا؟ فقالَ: **«قدْ كانَ مَن قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فيُحْفَرُ له في الأرْضِ، فيُجْعَلُ فيها، فيُجاءُ بالمِنْشارِ فيُوضَعُ على رَأْسِهِ فيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، ويُمْشَطُ بأَمْشاطِ الحَدِيدِ، ما دُونَ لَحْمِهِ وعَظْمِهِ، فَما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، واللّٰهِ لَيَتِمَّنَّ هذا الأمْرُ، حتّى يَسِيرَ الرّاكِبُ مِن صَنْعاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخافُ إلّا اللّٰهَ، والذِّئْبَ على غَنَمِهِ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»**[1].

* ويستفاد من هذه الآية الكريمة: أن الإيمان ليس بالتمنّي ولا بالتحلّي، ما تقول: أنا مؤمن، أدخل الجنة، لا، لا بدّ من إصابة.

(١) أخرجه البخاري (١٤١/٩ رقم ٣٦١٢).

* ويستفاد من هذه الآية الكريمة: حكمة اللّٰه عَزَّوَجَلَّ؛ حيث يبتلي المؤمنين بمثل هذه المصائب العظيمة امتحانًا حتى يتبين ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١].

أظننا لا نعرف زيف الذهب إلا إذا أذبناه بالنار، ولا نعرف طيب العود إلا إذا أحرقناه بالنار، أيضًا ما يعرف المخلص إلا بالامتحان والابتلاء، فعليك يا أخي بالصبر، قد تؤذى على دينك، قد يستهزأ بك، وربما تُلاحق، وربما تُراقب، ولكن اصبر واصدق، اصبر وانظر إلى ما حصل لأولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام، الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان ساجدًا للّٰه في آمن بقعةٍ على الأرض، ساجدًا ما آذى أحدًا ولا شيئًا، في آمنِ بقعةٍ على الأرض، وهو المسجد الحرام، فيأتي طغاة البشر، يأتون بالأذى والقذر؛ سلا الناقة يضعونه عليه وهو ساجد، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، هذا أمر عظيم، يعني: ما يصبر عليه إلا أولو العزم، ويبقى ذلك حتى تأتي ابنته الصغيرة فاطمة تزيله عن ظهره، فيبقى القوم يضحكون ويقهقهون.

أنـا أعتقد أن الإنسـان نفسـيًّا إلا مـن عصمه اللّٰه وثبَّتَـهُ، سـيمَلُّ، يتعب، يقـول: لِم يُفْعَل بـي هذا؟ وعلى الأقـل يختفي بدينه، لكـن اصبر واحتسـب، واعلم أنه مهمـا كان الأمر، غاية ما هنالك الموت، وإذا متّ على الصبر في اللّٰه عَزَّوَجَلَّ انتقلتَ من دار إلى خير منها، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠]. لا تكن هكذا، اصبر واحتسـب، واعلم بأن ﴿ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، وأن اللّٰه مع الصابرين، وأن لك أقوامًا من إخوانك يرقبون ما يحصـل منـك، فإذا صبـرتَ شـجّعتهم وصبّرتهم، وتعلمون أن الأمة أفراد، إذا صلح فردٌ وفردٌ وفردٌ وفردٌ كَوَّنُـوا أمّة. الركِيَّة هـي البئر إذا طـاح منها واحد من حصاهـا اختلـت ويطيح الجميع، فالمهـم أن اللّٰه عَزَّوَجَلَّ يسـلّي المؤمنين بمثل هذا، ويخبر أنه أصاب من قبلنا، أصابهم بأسـاء؛ قِلّةُ مال، وإعواز عظيم؛ فقر، ومضرة فـي أبدانهـم، يُضرَبون، ويجرحون، وربمـا يقتلون كما كان بنـو إسـرائيل يقتلـون الأنبياء بغير حـق، وتأتيهم المخاوف العظيمة وزلزلوا.

ويستفاد من هذه الآية الكريمة: أنه ينبغي للإنسان أن لا يســأل النصر إلا من القادر عليه وهو اللّٰه؛ لقوله: ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾؟ [البقرة: ٢١٤].

ويستفاد من ذلك: فضيلة اتباع الرسل؛ لقوله: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾، يتفقون على هذه الكلمة التي فيها استدعاء النصر ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ﴾؟.

ويستفاد من هذه الآية: تمام قدرة اللّٰه عَزَّوَجَلَّ؛ لقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾.

ويســتفاد منها: حكمة اللّٰه؛ حيث يمنع النصر لمدة معينة من الزمن مع أنه قريب ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾.

ويســتفاد من هذه الآيــة الكريمــة: أن الصبر على البــلاء في ذات اللّٰه عَزَّوَجَلَّ من أســباب دخول الجنة؛ لأن معنى الآية: اصبروا حتى تدخلوا الجنة.

ويستفاد من هذه الآية الكريمة: الإشارة إلى ما جاء في الحديــث الصحيح عن النبــي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال:

«**حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ**»؛ لأن هذه مكاره، ولكنها هي الطريق إلى الجنة.

ويستفاد من الآية الكريمة: أنه لا وصول إلى الكمال إلا بعد تجرع كأس الصبر، وهو من قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم﴾ إلى آخره.

ويستفاد من الآية الكريمة أيضًا: إثبات الجنة؛ لقوله: ﴿أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾، وقد سبق أن مآل الخلق إلى دارين لا ثالث لهما: إما الجنة، وإما النار. فالجنة للمتقين، والنار للكافرين»[1].

وفي سورة آل عمران نقرأ قول الحق -سبحانه- في الابتلاء والصبر ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

قال الشيخ ابن سعدي في تفسيره لهذه الآية:

«هذا استفهام إنكاري، أي: لا تظنوا، ولا يخطر ببالكم

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

أن تدخلوا الجنة من دون مشقة واحتمال المكاره في سبيل اللّه وابتغاء مرضاته، فإن الجنة أعلى المطالب، وأفضل ما به يتنافس المتنافسون، وكلما عظم المطلوب عظمت وسيلته، والعمل الموصل إليه، فلا يوصل إلى الراحة إلا بترك الراحة، ولا يدرك النعيم إلا بترك النعيم، ولكن مكاره الدنيا التي تصيب العبد في سبيل اللّه عند توطين النفس لها، وتمرينها عليها ومعرفة ما تؤول إليه، تنقلب عند أرباب البصائر منحًا يسرون بها، ولا يبالون بها، وذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء»[1].

هذا، ويغفلُ كثيرون عن تدبّر الآيات التي افتتح اللّه بها سورة العنكبوت ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣]، وربما قرؤوا السورة كاملة دون توقف وتدبر، كما أمرهم اللّه ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص٩٦).

إن اللّٰه -سبحانه- يخبرنا في كتابه الكامل: أن مهر الجنة ثمين، وليس بالهيّن، فللجَنَّةِ عملٌ وامتحان، وتمحيصٌ وابتلاء، فالصبرَ الصبر.

وقد أطنب عددٌ من عُلماء التفسير عند تناولهم هذه الآيات في سورة العنكبوت؛ فمما قاله الزمخشري في تفسيره: «الفتنة: الامتحان بشدائد التكليف؛ من مفارقة الأوطان، ومجاهدة الأعداء، وسائر الطاعات الشاقة، وهَجْرِ الشهوات والمَلاذ، وبالفقر والقحط، وأنواع المصائب في الأنفس والأموال. وبمصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم. والمعنى: أحسب الذين أجروا كلمة الشهادة على ألسنتهم وأظهروا القول بالإيمان: أنهم يتركون بذلك غير ممتحنين، بل يمحنهم اللّٰه بضروب المحن، حتى يبلو صبرهم، وثبات أقدامهم، وصحة عقائدهم، ونُصوع نياتهم، ليتميز المخلص من غير المخلص، والراسخ في الدين من المضطرب، والمتمكن من العابد على حرف، كما قال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا۟

﴿وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]. وروي أنها نزلت في ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قد جزعوا من أذى المشركين. وقيل في عمار بن ياسر: وكان يُعذَّب في الله. وقيل: في ناسٍ أسلموا بمكة، فكتب إليهم المهاجرون: لا يقبل منكم إسلامكم حتى تهاجروا، فخرجوا فتبعهم المشركون فردّوهم، فلما نزلت كتبوا بها إليهم، فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم؛ فمنهم من قُتل، ومنهم من نجا. وقيل: في مهجع بن عبدالله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو أوّل قتيل من المسلمين يوم بدر، رماه عامر بن الحضرمي، فقال رسول الله ﷺ: **سيد الشهداء مهجع، وهو أول من يُدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة، فجزع عليه أبواه وامرأته، وقد امتحن من هو خير منه، يعني: أن أتباع الأنبياء عليهم السلام قبلهم، قد أصابهم من الفتن والمحن نحو ما أصابهم. أو ما هو أشدّ منه فصبروا، كما قال:** ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ﴾ الآية»[1].

(١) الكشاف، الزمخشري، (٤/٥٣٣-٥٣٤).

ومما قاله ابن القيم في تفسيره لهذه الآية:

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣] «لِيَتَأَمَّلِ العَبْدُ سِياقَ هَذِهِ الآياتِ، وما تَضَمَّنَتْهُ مِنَ العِبَرِ وكُنُوزِ الحِكَمِ، فَإِنَّ النّاسَ إذا أُرْسِلَ إِلَيْهِم الرُّسُلُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ، إِمّا أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: آمَنّا، وإِمّا أَلّا يَقُولَ ذَلِكَ، بَلْ يَسْتَمِرُّ عَلى السَّيِّئاتِ والكُفْرِ، فَمَن قالَ: آمَنّا امْتَحَنَهُ رَبُّهُ وابْتَلاهُ وفَتَنَهُ، والفِتْنَةُ الابْتِلاءُ والاخْتِبارُ لِيَتَبَيَّنَ الصّادِقُ مِنَ الكاذِبِ، ومَن لَمْ يَقُلْ آمَنّا فَلا يَحْسِبْ أَنَّهُ يُعْجِزُ اللّهَ ويَفُوتُهُ ويَسْبِقُهُ، فَإِنَّهُ إِنَّما يَطْوِي المَراحِلَ في يَدَيْهِ.

فَمَن آمَنَ بِالرُّسُلِ وأَطاعَهم عاداهُ أَعْداؤُهم وآذَوْهُ فابْتُلِيَ بِما يُؤْلِمُهُ، وإِنْ لَمْ يُؤْمِن بِهِمْ ولَمْ يُطِعْهم عُوقِبَ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، فَحَصَلَ لَهُ ما يُؤْلِمُهُ، وكانَ هَذا المُؤْلِمُ لَهُ أَعْظَمَ أَلَمًا وأَدْوَمَ مِن أَلَمِ اتِّباعِهِمْ، فَلا بُدَّ مِن حُصُولِ الأَلَمِ لِكُلِّ نَفْسٍ آمَنَتْ أَوْ رَغِبَتْ عَنِ الإيمانِ، لَكِنَّ المُؤْمِنَ يَحْصُلُ لَهُ الأَلَمُ في الدُّنْيا ابْتِداءً، ثُمَّ تَكُونُ

لَهُ العاقِبَـةُ في الدُّنْيا والآخِـرَةِ، والمُعْرِضُ عَنِ الإيمانِ تَحْصُلُ لَهُ اللَّذَّةُ ابْتِداءً، ثُمَّ يَصِيرُ إلى الألَمِ الدّائِمِ.

وَسُـئِلَ الشّـافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَيُّما أَفْضَلُ لِلرَّجُلِ، أنْ يُمَكَّنَ أَوْ يُبْتَلى؟ فَقالَ: لا يُمَكَّـنُ حَتّى يُبْتَلى، واللّهُ تَعالى ابْتَلى أُولِي العَزْمِ مِنَ الرُّسُـلِ، فَلَمّـا صَبَرُوا مَكَّنَهُمْ، فَلا يَظُنُّ أحَدٌ أنَّهُ يَخْلُصُ مِنَ الألَمِ البَتَّةَ، وإنَّما يَتَفاوَتُ أهْلُ الآلامِ في العُقُولِ، فَأعْقَلُهم مَن باعَ ألَمًا مُسْـتَمِرًّا عَظِيمًا بِألَمٍ مُنْقَطِعٍ يَسِـيرٍ، وأشْقاهم مَن باعَ الألَمَ المُنْقَطِعَ اليَسِيرَ بِالألَمِ العَظِيمِ المُسْتَمِرِّ.

فَإنْ قِيلَ: كَيْفَ يَخْتـارُ العاقِلُ هَذا؟ قِيلَ: الحامِلُ لَهُ عَلى هَذا النَّقْدُ والنَّسِيئَةُ، والنَّفْسُ مُوَكَّلَةٌ بِحُبِّ العاجِلِ.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ [القيامة: ٢٠-٢١]، ﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٧]. وهَـذا يَحْصُـلُ لِكُلِّ أحَدٍ، فَإنَّ الإنْسـانَ مَدَنِيٌّ بِالطَّبْعِ، لا بُدَّ لَهُ أنْ يَعِيشَ مَعَ النّاسِ، والنّاسُ لَهم إراداتٌ وتَصَوُّراتٌ، فَيَطْلُبُونَ مِنْـهُ أنْ يُوافِقَهم عَلَيْها، فَإنْ لَمْ يُوافِقْهم آذَوْهُ

وعَذَّبُوهُ، وإنْ وافقَهُمْ، حَصَلَ لَهُ الأذى والعَذابُ، تارَةً مِنهم وتارَةً مِن غَيْرِهِمْ، كَمَن عِنْدَهُ دِينٌ وتُقًى حَلَّ بَيْنَ قَوْمٍ فُجّارٍ ظَلَمَةٍ، ولا يَتَمَكَّنُونَ مِن فُجُورِهِمْ وظُلْمِهِمْ إلّا بِمُوافَقَتِهِ لَهُمْ، أوْ سُكُوتِهِ عَنْهُمْ، فَإنْ وافقَهم أوْ سَكَتَ عَنْهم سَلِمَ مِن شَرِّهِمْ في الِابْتِداءِ، ثُمَّ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِ بِالإهانَةِ والأذى أضْعافَ ما كانَ يَخافُهُ ابْتِداءً لَوْ أنْكَرَ عَلَيْهِمْ وخالَفَهُمْ، وإنْ سَلِمَ مِنهم فَلا بُدَّ أنْ يُهانَ ويُعاقَبَ عَلى يَدِ غَيْرِهِمْ، فالحَزْمُ كُلُّ الحَزْمِ في الأخْذِ بِما قالَتْ عائشةُ أُمُّ المُؤْمِنِينَ لمعاوية: «مَن أرْضى اللَّهَ بِسَخَطِ النّاسِ كَفاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النّاسِ، ومَن أرْضى النّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ لَمْ يُغْنُوا عَنْهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»[1].

وَمَن تَأمَّلَ أحْوالَ العالَمِ رَأى هَذا كَثِيرًا، فِيمَن يُعِينُ الرُّؤَساءَ عَلى أغْراضِهِم الفاسِدَةِ، وفِيمَن يُعِينُ أهْلَ البِدَعِ عَلى بِدَعِهِمْ؛ هَرَبًا مِن عُقُوبَتِهِمْ، فَمَن هَداهُ

(١) أخرجه الترمذي (٤/٦٠٩ رقم ٢٤١٤)، وصححه ابن حبان (١/٥١٠ رقم ٢٧٦)، وصححه ابن حجر في الأمالي المطلقة (ص١١٩)، والألباني في الصحيحة (٥/٣٩٢ رقم ٢٣١١).

اللّٰهُ وأَلْهَمَهُ رُشْدَهُ ووَقاهُ شَرَّ نَفْسِهِ امْتَنَعَ مِنَ المُوافَقَةِ عَلى فِعْلِ المُحَرَّمِ، وصَبَرَ عَلى عُدْوانِهِمْ، ثُمَّ تَكُونُ لَهُ العاقِبَةُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، كَما كانَتْ لِلرُّسُلِ وأَتْباعِهِمْ كالمُهاجِرِينَ والأَنْصارِ، ومَنِ ابْتُلِيَ مِنَ العُلَماءِ والعُبّادِ وصالِحِي الوُلاةِ والتُّجّارِ، وغَيْرِهِمْ.

وَلَمّا كانَ الأَلَمُ لا مَحِيصَ مِنهُ الْبَتَّةَ، عَزّى اللّٰهُ -سُبْحانَهُ- مَنِ اخْتارَ الأَلَمَ اليَسِيرَ المُنْقَطِعَ عَلى الأَلَمِ العَظِيمِ المُسْتَمِرِّ، بِقَوْلِهِ: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأَاتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥]، فَضَرَبَ لِمُدَّةِ هَذا الأَلَمِ أَجَلًا، لا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ، وهو يَوْمُ لِقائِهِ، فَيَلْتَذُّ العَبْدُ أَعْظَمَ اللَّذَّةِ بِما تَحَمَّلَ مِنَ الأَلَمِ مِن أَجْلِهِ وفي مَرْضاتِهِ، وتَكُونُ لَذَّتُهُ وسُرُورُهُ وابْتِهاجُهُ بِقَدْرِ ما تَحَمَّلَ مِنَ الأَلَمِ في اللّٰهِ ولِلّٰهِ، وأَكَّدَ هَذا العَزاءَ والتَّسْلِيَةَ بِرَجاءِ لِقائِهِ لِيَحْمِلَ العَبْدُ اشْتِياقَهُ إلى لِقاءِ رَبِّهِ ووَلِيِّهِ عَلى تَحَمُّلِ مَشَقَّةِ الأَلَمِ العاجِلِ، بَلْ رُبَّما غَيَّبَهُ الشَّوْقُ إلى لِقائِهِ عَنْ شُهُودِ الأَلَمِ والإحْساسِ بِهِ، ولِهَذا سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَبَّهُ الشَّوْقَ إلى لِقائِهِ، فَقالَ في الدُّعاءِ الَّذِي رَواهُ أحمد

وابْنُ حِبّانَ: «**اللهمَّ إنِّي أسْألُكَ بِعِلْمِكَ الغَيْبَ، وقُدْرَتِكَ علَى الخَلْقِ، أحْيِنِي إذا كانَتِ الحَياةُ خَيْرًا لِي، وتَوَفَّنِي إذا كانَتِ الوَفاةُ خَيْرًا لِي، وأسْألُكَ خَشْيَتَكَ في الغَيْبِ والشَّهادَةِ، وأسْألُكَ كَلِمَةَ الحَقِّ في الغَضَبِ والرِّضى، وأسْألُكَ القَصْدَ في الفَقْرِ والغِنى، وأسْألُكَ نَعِيمًا لا يَنْفَدُ، وأسْألُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لا تَنْقَطِعُ، وأسْألُكَ الرِّضى بَعْدَ القَضاءِ، وأسْألُكَ بَرْدَ العَيْشِ بَعْدَ المَوْتِ، وأسْألُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إلى وجْهِكَ، وأسْألُكَ الشَّوْقَ إلى لِقائِكَ في غَيْرِ ضَرّاءَ مُضِرَّةٍ، ولا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللهمَّ زَيِّنّا بِزِينَةِ الإيمانِ، واجْعَلْنا هُداةً مُهْتَدِينَ**»[(١)]».

وقال ابن القيم كذلك: «الفتنة كير القلوب، ومحكُّ الإيمان، وبها يتبين الصادق من الكاذب: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

---

(١) أخرجه النسائي في الصغرى (٣/٥٤ رقم ١٣٠٥)، والحاكم (١/٧٠٥ رقم ١٩٢٣)، وصححه ابن حبان (٥/٣٠٤ رقم ١٩٧١)، والألباني في صحيح الجامع (رقم ١٣٠١).

فالفتنة قسّمت الناس إلى صادقٍ وكاذبٍ، ومؤمن ومنافق، وطيبٍ وخبيثٍ. فمن صبر عليها كانت رحمة في حقّه، ونجا بصبره من فتنة أعظم منها، ومن لم يصبر عليها وقع في فتنةٍ أشدّ منها»[1].

وبعد، فمائدةُ القرآن الكريم شفاءٌ ونور، وهدايةٌ وطُمأنينة، فاجعلِ المصحف أنيسَك وسلوتَك وجليسَك وصاحبَك!

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، (ص١٣١-١٣٢).

ميزان النفقة

القرآن يأمـرك أن تكون متَّزنًا فـي نفقتك وفي كل أمـورك ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان: ٦٧].

فكيـف أنت وهذا المجال؟! هل أنت مُسـرفٌ للمال مُبـذِّر، أم أنـت شـحيحٌ بخيلٌ تُـؤذي نفسـك وزوجتك وأولادك وتحْرِمُ أسـرتك الاستمتاع بزينة الحياة الدنيا التي أعطاكها الله ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وهـل أنت تُسـارع للإنفـاق في وُجوه الخيـر، أم أن نفَقَتـك في ملذَّات الدنيا وبهجتهـا؟ تنبَّه وتذكَّر الأبقى

لـك والأنفع، عن عائشـة أم المؤمنين: أُهْدِيَ لنا شـاةٌ مشـويَّةٌ، فقسَـمتُها إلا كَتِفَهـا، فلمّـا جـاءَ رسـولُ اللّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكرتُ لهُ، فقال: «بَقِيَ لكم إلا كَتِفَها»[1].

احرص على ما سـتجدُه أمامك، لا ما سوف تتركه خلفَك.

افحصْ نفسـك دومًـا مع نفقـةِ الصدقـة، وتذكَّر أن القـرآن ملـيءٌ بآيات الترغيـب في الإنفـاق، واخلُ بنفسـك، وافتـحِ المصحـف وتوقّـفْ مليئًا عنـد آيات النفَقـة، واسـتعرض إنفاقك طالما فيك نَفَسٌ يتردَّد، واقـرأ قولـه تعالـى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

بعـد قراءتك هـذه الآية، هل ترغـب أن تكون ذاك الرجـل الذي يسـتغيث ربَّه بعد المـوت، ويتمنى العودة

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٨٦/٤٠ رقم ٢٤٢٤٠)، وصححه الترمذي (٦٤٤/٤ رقم ٢٤٧٠)، والألباني في الصحيحة (٩٧/٦ رقم ٢٥٤٤).

للدنيا؛ لا لشيء سوى أن يعود لماله الذي تقاسمه الورثة ويتصدق منه؟ تنبّه الآن، الآن!

إي والله، هو القرآن خيرُ مُخبرٍ وخيرُ فاحص، فيه الخبرُ اليقين.

قد تكون معامل الدنيا في نتائجها خاطئة، أما القرآن فنتائجُه قطعية ثابتة! ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

هذا بالنسبة لميزان النفقة، وكيف تزن نفسك، وتفحص قدراتك فيه، ومدى تمكنك من النجاح في التجربة والنتيجة القرآنية واقعًا وعملًا. أما بالنسبة للعمل ووقته المتناسب مع خلقك، فإن القرآن الكريم يرشدك إلى أن يكون ليلُك لباسًا ساترًا ونومًا وراحة، وأن يكون نهارُك عملًا وحياةً ومعاشًا ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١٠-١١].

لقد امتَنَّ الله على عباده أن أوجد لهم وقتي الليل والنهار، وجعل لكل وقت وظيفته ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٦].

قضى سبحانه أن يكون الليل هدوءًا وسكنًا، والنهار بصرًا وسعيًا، والبصر حركةً وضوءًا وعملًا! ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧].

وورد في القرآن آيةٌ تهُزُّ الإنسانَ وتُنَبِّهُه وتوقظُه؛ إذ يصف ربُّ العزّة نفسَه فيها بأنه ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾؛ «أي شَاقٌّ عَمُودَ الصُّبْحِ عَنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَكَاشِفُه»[1] للعمل والحياة، فالليل سكنٌ ونومٌ ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانًا ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦].

افحصْ نفسَك أيها الإنسان؛ أين أنت والسهر؟! وأين أنتَ والمعاش النهاري؟! جعل الله طبيعة جسمك وأجسام ذوي الأرواح، مع الشمس والنور عملًا وحركة، ومع الليل والظلام سكونًا واسترخاءً ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾ [المدثر: ٣٣-٣٤].

وعبّر سبحانه عن طلوع الصبح بالحركة ﴿تَنَفَّسَ﴾،

---

(١) معالم التنزيل، تفسير البغوي، (١٤٦/٢).

والنَّفَسُ حركةٌ، وتوقُّفُهُ موتٌ وهلاك، فمع الصبح العمل ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨].

وتتابع الآيات القرآنية التي يعرض القرآن فيها الليل والنهار، وأنهما من نعمة الله على خلقه، فلو كانت حياتنا الدنيوية ظُلمةً، فكيف سنتحرَّكُ في أرض الله، فنزرعُ ونعملُ ونغدو ونروح، وكيف ستنمو الأشجارُ وتُنتَجُ الثِّمار دون ضوء ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ﴾ [القصص: ٧١].

ولو صار العكس، وكانت الدنيا ضوءًا ونورًا وحركةً وعملًا، فكيف لنا بالراحة والليل الهادئ الخافت ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِلَيۡلٖ تَسۡكُنُونَ فِيهِۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [القصص: ٧٢].

إن هذين الوقتين لازِمان للحياة؛ فالليل سكن، والسكن يعني الهدوء والراحة، فلا عملٌ ولا حركة، وإنما راحةٌ واستجماعٌ لنشاط النهار؛ والنهار عملٌ ونشاطٌ وطلبُ فضل الله.

وقد ارتبط الفضل في آياتٍ أُخرى بالحركة والعمل، فقال سبحانه: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧٣].

وفي سورة الجمعة جاء الأمر بالعمل بعد الصلاة مسندًا إلى فضل الله وخيره ومعاشه ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

إن الليل والنهار آيتان من آيات الله، ونصَّ سبحانه على أن النهار عملٌ، وطلبُ فضل الله، أي رزقه وخيره ومعاشه ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢].

وتلكم الطيور فَهِمَتْ، وما عارضَتِ السُّنَّة الكونية، فما أن يتنفَّسَ الصبحُ، ويبزغُ ضياء الفجر، إلَّا وتسمع أصواتها وتناغيها وانطلاقها للعمل تبتغي فضل الله، وتبحث عن رزقها.

ارجعْ للقرآن، وافحصْ نفسَك مع توجيهاته، وانظرْ أين موقعُك أيُّها الإنسان الساهر، ألا تتعلم من الطيور! إنَّ في سهرك خللًا وتعطيلًا ومخالفةً لما جَبلَ اللهُ جِسْمَكَ عليه من أن تكونَ حركتُهُ وعملُهُ مع النّور، وراحتُهُ وهدؤُهُ مع الظلام والليل. تنبَّهْ فقد يكون في هذه المخالفة ضررٌ صحيٌّ، لاسيما أن العلم الحديث قد أثبت أن للنوم المبكر فوائد كبيرة على صحة الإنسان وحماية جسمه.

إن الله -سبحانه- يمتنُّ، فهل نشكر؟!وهل نسمع، فنعمل بتوجيهه؟!

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر: ٦١].

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس: ٦٧].

كتبنا الله وإيّاكم من عباده السامعين المُطيعين.



نحن والإحسان..

كيف أنتَ وأنا وهو وهي معَ الإحسان للآخرين!

هلّا ساءلنا أنفُسَنا: ما الإحسانُ الذي قدَّمناه في أسبوعنا الماضي ويومنا الحاضر؟ افحصْ نفسَك، وكرِّر السؤال عن إحسانك، فاللّهُ وَعَد المحسنين خيرًا، واللّهُ يحبُّ المحسنين!

افحصْ نفسَك، وكن من المَحْبُوبين للّه!

يقول تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. إذا أحسنتَ فلكَ من اللّه إحسان، وشتّان بين إحسان البشر، وإحسان خالق البشر!

إي واللّه، ما أعظمَ الإحسان وأحسنَه وأجلَّهُ! ورد في تفسير ابن الجوزي: «عند قَوْلهِ تَعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ

ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ قالَ الزَّجّاجُ، أيْ: ما جَزاءُ مَن أحْسَنَ فـي الدُّنْيـا إلّا أنْ يُحْسَـنَ إلَيْهِ فـي الآخِرَةِ. وقـالَ ابْنُ عَبّاسٍ: هَـلْ جَزاءُ مَن قالَ: «لا إلَـهَ إلّا اللّهُ»، وعَمِلَ بِما جاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلّا الجَنَّةُ[1].

ورَوى أنَسُ بْنُ مالِكٍ قالَ: «قَرَأ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الآيَةَ، وقالَ: **«هَلْ تَدْرُونَ ما قالَ رَبُّكُمْ»؟** قالُوا: اللّهُ ورَسُـولُهُ أعْلَـمُ، قالَ: **«فَإنَّ رَبَّكم يَقُولُ: هَـلْ جَزاءُ مَن أنْعَمْنا عَلَيْهِ بِالتَّوْحِيدِ إلّا الجَنَّةُ؟!»**[2][3].

ويعِـدُ اللّهُ المحسـنين خيرًا، ووعدُه حـقٌّ؛ إذ يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المرسلات: ٤١-٤٤].

أحسـن نيَتَك في إحسـانك مع اللّه، ومع عباد اللّه،

---

(١) أخرجه الطبراني في الدعاء (رقم ١٥٤٤)، والدينوري في المجالسة (٣٠٩/٨ رقم ٣٥٧٩)، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله (رقم ١٤٦).

(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس (٣٣٧/٤ رقم ٦٩٧٥)، وأبو نعيم في أخبار أصفهان (رقم ٨٤٦).

(٣) زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي، (١٣٩/٤).

ومـع كُلِّ إحسـان تبذله لأي كائن وانتظـر واصبر فاللّه يقول: ﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [هود: ١١٥].

كررْ فحصَ نفسِـك في جهاز الإحسان، واجعل لك إحسانًا يوميًّا ولو مع الحيوان.

عن أبي هريرة: أنَّ رَسـولَ اللّهِ ﷺ قالَ: «**بَيْنا رَجُلٌ يَمْشِـي، فاشْتَدَّ عليه العَطَشُ، فَنَزَلَ بئْرًا، فَشَرِبَ مِنْها، ثُـمَّ خَـرَجَ فإذا هو بكَلْـبٍ يَلْهَثُ يَـأْكُلُ الثَّرى مِنَ العَطَشِ، فقالَ: لقَدْ بَلَغَ هذا مِثْلُ الذي بَلَغَ بي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أمْسَـكَهُ بفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَـقى الكَلْبَ، فَشَـكَرَ اللّهُ لـه، فَغَفَـرَ لـه**، قالـوا: يا رَسـولَ اللّهِ، وإنَّ لنـا في البَهائِمِ أجْرًا؟ قالَ: **في كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أجْرٌ**»(١).

لقـد أمَـرَ اللّهُ عَزَّوَجَلَّ بالرَّحْمَـةِ لجَميـعِ المَخلوقاتِ، وجَعَلَ الإسلامَ دِينَ الرَّحمَةِ والإحسانِ، ومِن شِدَّةِ عِنايَةِ الإسـلام بهذا المَبدَأِ العَظيم، فإنَّه أمَر بالإحْسانِ لكُلِّ شَـيءٍ حتَّى للحَيَوانِ، ووعَدَ على ذلـك بالأجرِ الجَزيلِ.

(١) أخرجه البخاري (٦/٩٩ رقم ٢٣٦٣)، ومسلم (٤/١٧٦١ رقم ٢٢٤٤).

لمَّا سَمِعَ الصَّحابةُ هذه القِصَّةَ، سَألوا النَّبيَّ ﷺ عن حُسنِ مُراعاتِهم للبَهائِم، والإحسانِ إليها: هلْ يَترتَّبُ عليه أجرٌ؟!فأجابَهُم ﷺ بقَولِه: «**في كلِّ كَبِدٍ رَطْبةٍ أجرٌ**»، والمعْنى: في كلِّ شَيءٍ فيه رُوحٌ ثَوابٌ ما دام الإنسانُ يُحسِنُ إليه، وعَبَّرَ بالكَبِدِ؛ لأنَّها العُضوُ الَّذي يَحتاجُ إلى الماءِ، فإذا يَبِسَ هلَكَ الحَيوانُ؛ فكُلُّ بَهيمةٍ أحسَنْتَ إليها بسَقيٍ، أو إطعامٍ، أو وِقايةٍ مِن حَرٍّ أو بَرْدٍ، سواءٌ كانت لك، أو لغَيرِك مِن بني آدَمَ، أو ليست مِلكًا لأحَدٍ -فإنَّ لك في ذلك أجرًا عندَ اللهِ. وفي هذا الحديثِ: الحثُّ على الإحسانِ إلى النَّاسِ؛ لأنَّه إذا حَصَلَت المَغفرةُ بسَببِ سَقْيِ الكلْبِ، فسَقْيُ بَني آدَمَ أعظَمُ أجْرًا. وفيه: فضْلُ سَقْيِ الماءِ وكَونُه مِن أعظَمِ القُرُباتِ. وفيه: التَّنفيرُ مِن الإساءةِ إلى البَهائمِ والحَيوانِ.

ويتكرر في القرآن الكريم الحثُّ على الإحسان والثناء على المُحسنين، فنبي الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ جازاه الله بإحسانِه وصبره ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعو

قومه حتى يئس منهم، فأهلكهم الله بالغرق؛ فاضتِ الأرضُ، وانهمرتِ السماءُ بالماء، وابتلعتهم الأمواج. وأنجى الله نُوحًا؛ استجابَ -سبحانه- لندائه وصارت ذرّيتُه هم الباقين، إحسانٌ ربّاني ﴿وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ٧٥ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦ وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ٧٧ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٨٠ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصافات: ٧٥-٨١].

وذكر الشيخ ابن عثيمين فوائد عند تفسيره لهذه الآية، فقال:

* «من فوائد قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ أن المحسن يُجازَى بمثل ما جُوزي به نوح عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وذلك بإنجائه من الهلاك وسلامة عرضه من الذكر السيئ، وكلما كان الإنسان أكثر إحسانًا كان أكثر ثوابًا وأسلَم.
* ومن فوائد الآية: إثبات القياس لقوله: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ يعني مثل هذا الجزاء نجزي كل محسِن.
* ومن فوائدها: أن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يرتِّب الجزاء

والعقوبـة والثناء والقدح علـى الأوصاف، لا على الأشـخاص؛ لأنه هو علّق الجزاء على الإحسـان، ولهذا لم يأتِ شيءٌ من أحكام اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مقيّدًا بشخصٍ لشخصه أبدًا، حتى خصائص الرسل، ليست من باب خصائص الأشخاص، لكن من باب خصائص الأوصاف؛ لأن فيهم وصفًا زائدًا على غيرهم، وهو وصفُ النبوّة والرسالة، فُخصّوا ببعض الأحكام المناسبة لمقامهم، أما أن يُخصَّ شخصٌ بعينه لأنه فلان ابن فلان مثلًا، فهذا لا يوجد في الشريعة؛ لأن اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يرتّب الأحكام ويعلّقها على الأوصاف، لا على الأشخاص»[1].

وذاك نبيُّ اللّه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أصابه البلاء العظيم، حين رأى في المنام ذبح ابنه، وأيُّ بلاءٍ أشـدُّ من ذلك البلاء، سـمّاه الحـقّ -سـبحانه- بالبلاء المبيـن؛ إذْ لا أعظم بلاءً من أن يُقْدِمَ الإنسانُ على ذبح فَلَذةِ كبده؛ طلبًـا لمرضاة اللّه، فكان النداء والإحسـان ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ

(١) تفسير ابن عثيمين، سورة الصافات، الآية: ١١٠.

ٱلسَّعۡىَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ (١٠٣) وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ (١٠٤) قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ (١٠٧) وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ (١٠٨) سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ (١٠٩) كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢-١١٠].

تكرر في هذا السياق الجزاء للمحسنين **قال الشيخ ابن سعدي:** «﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ في عبادة الله، ومعاملة خلقه، أن نفرج عنهم الشدائد، ونجعل لهم العاقبة، والثناء الحسن»[1].

فكُنْ مُحسنًا، واجعل الإحسان سجيَّتَكَ الأولى وصفتَك الأهم.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص٧٠٦).

هلاَّ تعرَّفْتَ على درَجة إيمانك!

يغفلُ الكثيرون عن درجةِ إيمانهم، فهل هُم في أعلى الدرجات، أم في وسطها أم في أدناها؟! فهلّا عرفتَ أين أنتَ؟!

تمضي الأعمارُ، وتُفاجئُنا الأقدار، فنرحل مع الراحلين ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٠-٢٢].

تنبَّهْ من غفلتك قبل أن ينكشفَ الغطاء، وترى غفلتك في الدنيا، فتتأسّى وتتحسّر!

درجةُ إيمانك كيف هي؟ هل لديك استرخاءٌ في

دينك؟ إذا رغبتَ معرفة وضعك الإيماني، وكيف أنتَ؟ ففي القرآن الجواب!

تذهَبُ لعيادة الطبيب، وقبل مقابلته، يقِيسُون درجةَ حرارتك، ويُسجّلون مِقدَارَ وزنك، ثم تقابلُ الطبيب، وقد يطلُبُ مزيدًا من الفحص لمعرفة وضعك الصحي، فيأمرُك بإجراء تحاليل طبّية، وتصوير أشعةٍ قبل أن يصرَفَ لك وصفة العلاج!

ومثلما تحرصُ على العلاج من داء الجسم، وفحصه لدى الأطباء، افحصْ درجة إيمانك، واحرصْ على المُبادرة، بالعلاج من داءِ الفكر ومرض الغفلة!

اعرضْ نفسَك على القرآن؛ لتعرفَ وضعك الإيماني، ربما تكونُ قلقًا من سلامة منهجك الديني، وهل أنتَ وفق المنهج الصحيح، أم أنت في حيدَةٍ وحيرة، اقرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨].

وتدبّر قوله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣].

كيف أنت وهُدَى اللّٰه، سَلِ اللّٰه الهداية وحفظه من أن تضلَّ وتشقى ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

سلْ نفسك في خلوتِك كيف التزامُكَ بأوامر اللّٰه ونواهيه؟ هل تَعِظُ وتأمرُ غيرَكَ وتنسى نفسك ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤].

احذرْ مخالفةَ فِعلِكَ قولَك يزددْ إيمانك ويقينك.

افحص نفسَك واعرضها على القرآن سوف تجد التنبيه والتحذير من رخاوة إيمانك، فعندما تُطفِّفُ في عملك وتسترخي في أدائك فالقرآنُ يُذكّرك ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين: ١-٦].

إن كُنتَ تُطفِّفُ في عملك فلديك رخاوةٌ إيمانية.

إن كُنتَ موظفًا وأنجزتَ معاملة ذاك الصديق والآخر القريب، وتراخيتَ في إنجاز معاملة ذاك البعيد

فقــد طفّفت، القرآن يزجُرُك ويتهدّدُ المُطففين، احذرْ أن تكون منهم.

إن كنتَ معلِّمًا واعتَـدتَ التأخر عن طلابك، فذاك ضعفٌ في إيمانك وتطفيف.

إن كنــتَ فــي مهنة بيعٍ وشــراءٍ فطفَّفــتَ في كيلك، فلديك ضعفٌ إيمانيٌ يجب أن تتنبّه له.

اقرأْ وتدبّر ســورة المطففين تجد التحذير؛ تهديدٌ وتخويفٌ ممــا بعد البعث، من يوم المحاسـبة، وإيقاظٌ للغافليــن عن الكمال فــي أداء الحقوق ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

اقرأْ عتاب الله لذاك المســترخي إيمانه المُتَشَـدِّق بالقــول والوعــظ، والنـاسـي لنفســه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

تدبرْ هذه الآيات يقوى إيمانك.

ولتَعْـرِفَ قُوة إيمانك؛ زن نفسـك بميـزان الصبر والصلاة، وانظر كيف أنت مع الصبر؟ وما هي حالتك مـع الصلاة، هل تسـتحضر أداء ركعتيـن للّٰه في حالة ضيقك وقلقك؟ اقرأ قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]. تذكـر هـذه الآية يزدد إيمانك، وتطمئن نفسك!

كيفيـة مسـارعتك للأعمـال الخيريـة؟ هـل فيك استرخاء وضعف! وهل قناعتك بالعمل الخيري واهية؟ هل أنت في تردّد مع العمل الخيري؛ اقرأ دعاء نبي اللّٰه زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وكيف استجاب اللّٰه لـه وأصلح له زوجه؛ إذ يقـول تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٩، ٩٠].

فتعليل تلك الاستجابة مشروطٌ بالمسارعة في عمل الخيرات، ودعـاء اللّٰهِ رغبًا ورهبًا، والخشـوع له وحده سبحانه.

إذن، كيف أنت ومسارعتك للأعمال الخيرية؟ إذا سمعت بهذا المشروع وذاك البرنامج الخيري، هل تتشوَّق له أم لا تأبَه به؟ تعَلَّم من نبي اللّه زكريا ومن زوجه كيف كانوا يسارعون، يجرون، يهرولون لكل عمل خيري، ليس عملًا واحدًا، بل أعمال خيرية متعددة ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾. ومع تلك المسارعة، يدعون اللّه رغبةً ورهبة، ويستحضرون عظمة اللّه، فصار الخشوع سِمةً لهم.

استحضر هذا المنهج وطبِّقه يقوى إيمانك.

يقول الشعراوي: «تُوضِّح الآيات سبب وعِلَّة إكرام اللّه واستجابته لنبيه زكريا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

هذه صفات ثلاث أهَّلَتْ زكريا وزوجته لهذا العطاء الإلهي، وعلينا أن نقف أمام هذه التجربة لسيدنا زكريا، فهي أيضًا ليستْ خاصة به، إنما بكل مؤمن يُقدِّم من نفسه هذه الصفات»[1].

---

(١) تفسير الشعراوي، (١٦/٩٦٣٣).

ومما جاء في تفسير ابن كثير قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أَيْ: فِي عَمَلِ الْقُرُبَاتِ وَفِعْلِ الطَّاعَاتِ، ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ قَالَ الثَّوْرِيُّ: ﴿رَغَبًا﴾ فِيمَا عِنْدَنَا، ﴿وَرَهَبًا﴾ مِمَّا عِنْدَنَا، ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَيْ مُصَدِّقِينَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مُؤْمِنِينَ حَقًّا.

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: خَائِفِينَ.

وَقَالَ أَبُو سِنَان: الْخُشُوعُ هُوَ الْخَوْفُ اللَّازِمُ لِلْقَلْبِ، لَا يُفَارِقُهُ أَبَدًا.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ أَيْضًا ﴿خَٰشِعِينَ﴾ أَيْ: مُتَوَاضِعِينَ.

وَقَالَ الْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ: ﴿خَٰشِعِينَ﴾ أَيْ: مُتَذَلِّلِينَ لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مُتَقَارِبَةٌ.

عَــنْ عبد اللّٰهِ بْنِ حَكيمٍ قَالَ: خَطَبَنَا أَبُو بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللّٰهِ، وتُثْنُوا عَلَيْهِ بِمَــا هُوَ لَهُ أَهْــلٌ، وَتَخْلِطُــوا الرَّغْبَةَ بِالرَّهْبَــةِ، وَتَجْمَعُوا الْإِلْحَافَ بِالْمَسْأَلَةِ، فَإِنَّ اللّٰهَ عَزَّوَجَلَّ أَثْنَى عَلَى زَكَرِيَّا وَأَهْلِ بَيْتِهِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾»[1].

ومما دونهُ الرازي في تفسـيره مفاتيح الغيب قوله: «المسارعة في طاعة اللّٰه تعالى من أكبر ما يمدح المرء به، لأنه يدل على حرص عظيم على الطاعة»[2].

هذا وبعدُ، فكُل أعمالك في عِلم اللّٰه، وسوف تجد كُلَّ خيرٍ قدّمته في آخرتك ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠].

تذكر يــوم التغابــن ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩].

---

(١) تفسير ابن كثير، ت: سامي السلامة (٥/٣٧٠).

(٢) مفاتيح الغيب: الفخر الرازي، (٢٢/١٨٢).

سماه الله بيوم التغابن، وسماه بيوم الحسرة ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

تذكر ذاك اليوم، استيقظ من غفلتك الآن الآن، وهرول لتقوية إيمانك، فالقرآنُ خيرُ فاحصٍ، وأصدقُ مُخبِر. لديك اليوم فُسحةٌ في الوقت قد لا تتوفر لك فيما بعد!

استمعْ واقرأْ خطاب الله لك وبادر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم: ٣١].

إي والله، كفى بآيات الله فحصًا وإيقاظًا وتقويةً لإيمانك!



الودُّ

كُلُّ فردٍ يودُّ أن يكونَ محبوبًا عند الآخرين، يهُشّون له ويبُشّون، نرى زيدًا فنرى في وجهه الطمأنينة والنور ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]. ونلقى عمرًا فنشعرُ نحوه بالودِّ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

إنه القرآن؛ نجِدُ فيه الشفاء والطمأنينة، ونلقى فيه الفحص الصحيح لذواتنا!!

حين تشعرُ بالمودّة والمحبّة نحو شخص، فسائل نفسَك عن سبب تلك المودّة، أهي لمصلحةٍ دنيوية، أم لصحبةٍ وتقاربٍ نفسي، أم لرابطةِ رَحِمٍ وقرابة، أم لجوارٍ وزمالة، أم لجلساتِ هوًى ومعصية، أم لمحبَّةٍ في الله خالصة؟ فكّرْ وتأمَّلْ في تلك الرابطة.

إن فــي القرآن الخبــرَ اليقين، وفي الســنّة النبوية البيان الأكيد.

قال ابن القيم في تفسيره: «التحابُّ والتآلف إنما هو بالإيمان والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾؛ أي يُلْقِي بينهم المحبّة، فيحبُّ بعضُهُم بعضًا، فيتراحمون، ويتعاطفون بما جعل الله لبعضهم في قلوب بعض من المحبة».

وقال ابن عبّاس: «يُحبُّهم ويُحبِّبهم إلى عباده».

قــال هرمُ بــن حيّــان: «ما أقبلَ عَبــدٌ بقلبهِ إلى اللّهِ عَزَّوَجَلَّ، إلا أَقبــلَ اللّهُ بقلــوب المؤمنيــن إليه، حتى يرزقه مودّتهم ورحمتهم».

وأهــل المعاصي والفســوق وإن كان بينهم نوع مودّةٍ وتحابّ، فإنها تنقلبُ عداوةً وبغضًا، وفي الغالب يتعجَّلُ لهــم ذلك فــي الدنيا قبــل الآخــرة، أما فــي الآخرة فـ ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

وقال إمام الحنفاء لقومه: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ [العنكبوت: ٢٥]»[١].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«إذا أحبَّ اللّٰهُ العبدَ نادى جبريلُ: إنّ اللّٰهَ يحبُّ فلانًا فأَحبِّوه، فيحبُّه أهلُ السماءِ، ثمَّ يوضعُ له القبول في الأرض»**. وفي لفظٍ لمسلم: **«إنّ اللّٰه إذا أحبَّ عبدًا دعا جبريلَ، فقال: إني أُحبُّ فلانًا فأحبَّه، قال: فيُحبُّه جبريلُ، ثمَّ ينادي في السماء فيقول: إنَّ اللّٰهَ يُحبُّ فلانًا فأَحِبِّوه فيُحبُّه أهلُ السَّماء، قال: ثمَّ يُوضعُ له القبولُ في الأرض، وإذا أبغضَ عبدًا دعا جبريلَ فيقول: إني أبغضُ فلانًا فأبغضْهُ قال: فيبغضُهُ جبريلُ، ثم ينادي في السماء: إنَّ اللّٰهَ يُبغضُ فلانًا فأبغضْوه، ثمَّ يُوضعُ له البغضاءُ في الأرض»**[٢].

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، (١٥٥/٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢١/١٨ رقم ٧٤٨٥)، ومسلم (٢٠٣٠/٤ رقم ٢٦٣٧).

وفي لفظ آخر لمسلم عن سهيل بن أبي صالح قال: «كنّا بعرَفة فمرَّ عمرُ بن عبد العزيز وهو على الموسم، فقام الناس ينظرون إليه فقلتُ لأبي: يا أبتِ إني أرى اللّهَ يحبُّ عُمَرَ بنَ عبدِ العزيز. قال: وما ذاك؟ قلتُ لِمَا لهُ من الحبِّ في قلوب الناس. فقال: إني سمعتُ أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **يحدِّث عن رسول اللّه** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] **ثم ذكر الحديث**، وأخرجه الترمذي، ثم زاد في آخره فذلك قول اللّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[2].

وقال بعض السلف في تفسيرها: يحبهم ويُحَبِّبُهُم إلى عباده.

وفي الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الساعة فقال: «**وما أعددتَ لها؟** قال: لا شيء إلا أني أُحبُّ اللّهَ ورسولَه. فقال: **أنت مع من أحببَت**».

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٣٠ رقم ٢٦٣٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/٣١٧ رقم ٣١٦١).

قال أنسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: فما فرحنا بشيءٍ فَرَحنا بقول النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أنت مع من أحببت.** قال أنس: فأنا أُحبُّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكونَ معهم بحبّي إيّاهم وإن لم أعملْ أعمالَهم[1].

وفي الترمذي عنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**المرءُ مع من أحبَّ ولهُ ما اكتسب**»[2].

وفي سُننِ أبي داود عنه قال: «رأيتُ أصحابَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرحوا بشيءٍ لم أَرَهم فرحوا بشيءٍ أشدّ منه. قال رجل: يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرجلُ يُحبُّ الرجل على العمل من الخير يعمل به ولا يعمل بمثله، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المرء مع من أحب**»[3].

وهذه المحبّة لله توجب المحبّة في الله قطعًا، فإنَّ من محبّة الحبيب المحبّةُ فيهِ والبغضُ فيه.

---

(١) أخرجه البخاري (٩/٢٢٤ رقم ٣٦٨٨)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٢ رقم ٢٦٣٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/٥٩٥ رقم ٢٣٨٦)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) أخرجه أبو داود (٢/٧٥٥ رقم ٥١٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٥٦٥).

وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يقول اللهُ تعالى يوم القيامة: أينَ المتحابّون بجلالي، اليوم أُظلُّهم في ظلّي يوم لا ظلَّ إلا ظلي**»[1].

وفي جامع أبي عيسى الترمذي من حديث معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ المتحابُّون بجلالي لهم منابرُ من نورٍ يغبطُهُم النبيون والشهداء**»[2].

وفي لفظ لغيره «**المتحابّون بجلالِ الله يكونون يوم القيامة على منابرَ من نور يغبطهم أهل الجمع**»[3].

وفي الموطأ من حديث أبي إدريس الخولاني قال: «دخلتُ مسجدَ دمشق فإذا فتى برّاق الثنايا والناس حوله، فإذا اختلفوا في شيءٍ أسندوه إليه، وصدروا

(١) أخرجه مسلم (١٩٨٨/٤ رقم ٢٥٦٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٥٩٧/٤ رقم ٢٣٩٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) ذكر هذه الرواية ابن الأثير في جامع الأصول (٥٥١/٦ رقم ٤٧٧٨)، وقال: ذكرها رزين.

عن رأيه، فسألت عنه، فقالوا: هذا معاذُ بن جبل، فلما كان الغـد هجرتُ إليـه فوجدتُه قد سـبقني بالتهجير، ووجدتُه يصلّـي فانتظرتُه حتى قضى صلاته، ثم جئتُه من قبلُ وجهِه، فسلمتُ عليه، ثم قلت: والله إني لأحبُّك في الله، فقال: آلله، قلتُ: الله، فقال: آلله، فقلتُ: الله، فأخـذ بحبوةِ ردائـي فجذبني إليه، وقال: أبشـر، فإني سـمعتُ رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**قـال اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **وجبَتْ محبّتي للمتحابّيـن فـيَّ، والمتجالسـين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ**»[1].

وفي سـنن أبي داود من حديـث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «قـال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أفضـلُ الأعمـال الحـبُّ فـي الله، والبغضُ فـي الله**»[2]. وفيه أيضًا عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن من عبـاد الله لأناسًـا ما هـم بأنبياء ولا شـهداء، يغبطُهم الأنبيـاءُ والشـهداءُ يـوم القيامـة بمكانهـم مـن الله.**

(١) أخرجه الإمام مالك، (٢/٩٥٣ رقم ١٧١١)، وصححه المنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٠ رقم ٤٥٧٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٢/٦٩٠ رقم ٤٥٩٩).

قالوا يا رسول الله ﷺ تخبرنا مَن هم؟ قال: **هم قوم تحابّوا بروحِ الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فواللهِ إنّ وجوهَهم لنورٌ، وإنّهم لعلى نور، ولا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس**، وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ « [يونس: ٦٢]»[1].

وفي لفظ لغيره: «**إن لله عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء بمكانهم من الله**» قالوا: يا رسول الله! من هم لعلنا نحبهم. قال: «**هم قوم تحابوا بروح الله على غير أموال تباذلوها، ولا أرحام تواصلوها، هم نور، ووجوههم نور، وعلى كراسي من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس**، ثم قرأ هذه الآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾»[2].

---

(١) أخرجه أبو داود، (٢/٣١ رقم ٣٥٢٧)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٦٢ رقم ١١٢٣٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/٤٨٥ رقم ٨٩٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣/٩٣ رقم ٣٠٢٦).

(٢) أخرجه ابن حبان (٢/٣٣٢ رقم ٥٧٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/٤٨٥ رقم ٨٩٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/٩٣ رقم ٣٠٢٣).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد اللّه على مدرجته ملكًا، فلما أتى عليه قال أين تريدُ؟ قال: أريدُ أخًا لي في هذه القرية. قال لك عليه من نعمة ترُبُّها؟ قال لا، غير أني أحبّه في اللّه تعالى. قال فإني رسول اللّه** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **إليك أن اللّه قد أحبّك كما أحببته فيه**»[1].

ويكفي في الإقبال على اللّه تعالى ثوابًا عاجلًا أن اللّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقبل بقلوب عباده إلى من أقبل عليه، كما أنه يعرض بقلوبهم عمّن أعرض عنه، فقلوب العباد بيد اللّه لا بأيديهم»[2]. ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

أخي في اللّه، تنبّه لما نبَّهكَ اللّهُ إليه في القرآن الكريم، واحذرْ رفاقَ السوء؛ فشتّان بين مُتحابّين في اللّه، ينالون ثوابه ونعيمه، ومتحابّين في المعاصي

(١) أخرجه مسلم، (١٩٨٨/٤ رقم ٢٥٦٧). وانظر: تفسير ابن القيم، سورة مريم، الآية: ٩٦.

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية، (ص٤١٧).

والشــهوات. افحصْ نفسَــك لا تكن مع أولئــك، فحتمًا سـيأتي يوم البراءة ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧].

سلْ عن رِفقة الخير تجد في القرآن تعريفهم!

ابحثْ عنهم واصحبْهم، وافحصْ نفسك مع رفاقك، وأيــن هم من قوله تعالــى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

تذكرْ يوم التخاصم والتلاوم، نجّانا اللّه وإياك من تلك الخصومة، وذاك الندم والأسى، فلا عودة. واسرحْ في نفسك مع عدد الأصدقاء الحميمين حولك، واستزدْ منهم: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٩٦-١٠٢].

الوقاية من الشقاوة

افحصْ نفسَكَ من داء الشقاوة، واحذرْ أن تكون ذاك الشقيَّ! جنّبنا الله وإيّاكم أسباب ومسبِّبات الشقاوة!

فتَحتُ المصحفَ الكريم أتلو ما تيسَّر، فاستوقفتني هذه الآية: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢].

أيُّ شقاوةٍ أقسى من هذه الشقاوة المتمثلة في هذا الطلب؟!

كفّارُ قريش يسألون الله أن يُمطر عليهم حجارةً إن كان القرآن هو الحقَّ. نعُوذُ بالله من زيغِ القلوب!

كلامُ اللّه الخالد، وقرآنُه العظيم الذي هزَّ ويهُزُّ القلوب، يستقبلونه بهذه الأُمنية!

القرآنُ معجزةُ اللّه العظيمة، التي تحدّاهم اللّه بها، بأن يأتوا حتى بسورةٍ من مثله فعجزوا وكذبوا وتطاولوا، ووصلت بهم الجرأة أن يسألوا اللّه أن يرجمهم بالحجارة!

جاء في تفسير الزمخشري: «عن معاوية أنه قال لرجل من سبإٍ: ما أجهلَ قومك حين ملَّكُوا عليهم امرأة! قال: أجهلُ من قومي قومُك، قالوا لرسول اللّه ﷺ حين دعاهم إلى الحق: ﴿إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً﴾، ولم يقولوا: إن كان هذا هو الحقَّ فاهدنا له»[1].

أُولئك الضالون قالوا هذا القول والرسول ﷺ بينهم، فلا تستغرب أن يأتي في هذا الزمان ساخرٌ بدين اللّه، شقيٌّ يسحب غيره للغواية والضلالة!

---

(١) الكشاف، الزمخشري، (٢/٢١٧).

وزادت سفاهة أُولئك العُصاة، وتطاولوا على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣].

إن هـؤلاء المُعاندين الأشـقياء موجـودون في كُل العصـور، فاحذرْ حبائلهم، وإذا رغبتَ أن تعرف بُعدَك عنهـم وشـقاوتهم، فابتعدْ عن الشـبهات والمتشـابه، والتأويـل والتـأول ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

اسـألْ أهلَ العلم عما أشـكلَ والتبسَ وخفيَ ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

استنباطُ الدليل، واستخراجُ الحُجَّة للعلماء ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

احذرْ دُعاة الباطل، فهم كُثرٌ وأهلُ بيان، وإيّاك والظنَّ السيئ، واقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

في كُل زمانٍ يسوءُ الكثيرين من دُعاة الشهوات والمحرمات ابتعادُك عنهم؛ فيسخرون من طهارتك، ويسِمُونَكَ بالتخلّف والتَّشدّد، ويصفونك بالتطرّف والتحجُّر ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

جاء في الأثر: ودّت الزانية لو أنّ كُلَّ النساء مثلها زُناة!

اعرضْ نفسك على القرآن، وافحصْ ذاتك عندما تهمُّ بالحديث عن خبرٍ تأنف أن تكون صاحبه، امسكْ

لسانك وانْسَ الخبر، واحذرْ أن ترويهُ فتكون ذلك الشقي: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

تناسَ، وارفضْ استقبال كُلَّ معلومةِ ذمٍّ في هذا أو تلك!

تجنَّب الظنَّ والتوجّس، وانجُ بنفسك من الشقاوة والمُطالبة. فذاك الذي تناولت سيرَتَه وقلتَ فيه وفيه، ستتقابل وإيّاه يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة وتتحاسبون، فهلَّا غلّبت حُسنَ الظنِّ والإعراض عن القيل والقال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

احذرِ التجسسَ وتتبُّعَ الزلّات والغيبة؛ فتكون ذاك الشقيَّ البذِيء ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

عن أبي هريرة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أتدرونَ ما المُفلِسُ؟ إنَّ المُفلسَ من أُمَّتي مَن يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي وقد شتَمَ هذا، وقذَفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسفَكَ دمَ هذا، وضربَ هذا، فيُعْطى هذا من حَسناتِه، وهذا من حسناتِه، فإن فَنِيَتْ حَسناتُه قبلَ أن يُقضى ما عليهِ، أُخِذَ من خطاياهم، فطُرِحَتْ عليهِ، ثمَّ طُرِحَ في النّارِ**»[1].

إن في القرآن صلاحَ النفوس، وسلامةَ المجتمعات، ونقاوةَ الأسر. اقرأْ تلك التوجيهات الربَّانية، وانظرْ أين أنت منها، وهل إذا سمعت خبرًا من ذاك المُتحدث، أو تلك المذيعة تقبلُه وتبثُّهُ وتثِقُ بما سمعت، أم تتأكدُ وتتثبَّتُ وتعرضُ عن نشر الخبر حتى لا تشوّه سمعةَ الآخرين. افحصْ نفسك مع تلك الأخبار التي صارت تتوالى في وسائل التواصل، وإياكَ والعجلة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

---

(١) أخرجه مسلم، (٤/١٩٩٧ رقم ٢٥٨١).

صُنْ لسانك عن السخرية بهذا وذاك، وتلك وهاتيك، ولا تكن ذاك الشقيَّ الهاذرَ بالشماتة، النابزَ القادح. تدَبَّرْ وافحصْ نفسك؛ كي لا تكون من الوالغين في الأعراض؛ إذ يقول تعالى مُحذِّرًا من طريق الشقاوة الكريهة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

إن القرآن كلامُ الله الخالد المُعجز فيه الشفاء ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [الإسراء: ٨٢].

﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٤].

هو بالأمس واليوم والغد وإلى ما شاء الله، هو الكامل ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٨].

الخاتمة

القرآنُ مائدةُ اللّه الكاملة، فيه الطُمأنينة والسعادة، مأمــورون بتلاوتــه، مندوبــون بتدبُّره، هو خيــرُ العلومِ وأشرفها.

وهذا الكتابُ (**القرآن والفحص الذاتي**) إسهامٌ في خدمــة كتاب اللّه، هو وقفات قد يهــدي ضوؤها حائرًا، وقد يجدُ فيها مهمومٌ راحةً وشــفاءً، وقد تدفعُ حُرُوفُها لجلساتِ حِوارٍ قُرآنية، أسأل اللّه القبولَ.

إن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي كلما قرَأتَهُ بدت لك فائدة، وكلما تدّبَّرتَهُ ازددت إيمانًا وعِلمًا، وكلما ردَّدته ما مللّتهُ، يقول أبو بكر الرازي عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ

عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، قال: الكتب على ثلاثة أقسام؛ كتابٌ لا تكرهُ قراءَته إلا للغير كالقصص، فإن من قرأ حكايةً مرةً لا يقرؤها مرةً أخرى إلا لغيره، ثم إذا سمعه ذلك الغير لا يقرؤها إلا لآخر لم يسمعه، ولو قرأه عليه لسئموه.

وكتاب لا يُكَرَّرُ عليه إلا للنَّفْسِ؛ كالنحو والفقه وغيرهما.

وكتابٌ يُتلى مرةً بعد مرة؛ للنَّفْسِ وللغيرِ، كالمواعظ الحسنة، فإنها تُكررُ للغير، وكلما سمعَها يلتذُّ بها، ويرقُّ لها قلبُه، ويستعيدُها، وكلما تَدْخُلُ السمعَ يخرجُ الوسواسُ مع الدمع، وتُكَرَّرُ أيضًا لنفس المتكلم، فإن كثيرًا ما يلتذُّ المتكلمُ بكلمةٍ طيبةٍ، وكلما يُعِيدُها يكون أطيبُ وألذُّ، وأثبتُ في القلبِ وأنفذ، حتى يكادُ يبْكِي من رقته دمًا، ولو أورثه البكاءُ عمىً.

إذا عُلِمَ هذا، فالقرآنُ من القبيل الثالث، مع أن فيه القصص والفقه والنحو، فكان في تلاوته في كل زمان فائدة.

رزقنا اللّٰه مُتعــةَ التلذذ بقراءة القرآن، ومُتعة تدبُّر القرآن، ومُتعة الاســتنباط والتأليف في خدمة القرآن. آمين.



قائمة المصادر والمراجع

- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبدالسلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١هـ.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض.
- البداية والنهاية، ابن كثير، وثّقه وقابل مخطوطاته الشيخ علي معوض، الشيخ عادل عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ت.
- التحرير والتنوير؛ «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- تفسير ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

- التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، مجموعة من المحققين، عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.
- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، أخبار اليوم قطاع الثقافة والكتب والمكتبات، مصر، د.ت.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، دار الفكر، بيروت.
- تفسير القرآن الكريم، محمد الصالح العثيمين، من إصدارات مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الرياض.
- تفسير القرآن، محمد راتب النابلسي، مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع.
- التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط١.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٣، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تفسير الطبري، أبو جعفر محمد ابن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٤٠هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- سنن ابن ماجه، ابن ماجه القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، مصر.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبدالباقي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- السنن الكبرى (سنن النسائي)، أحمد بن علي بن شعيب النسائي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- السنن الكبرى، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٧، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبدالحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- صحيح ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- صحيح أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت.
- صحيح الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: نظر الفاريابي، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: عبدالقادر شيبة الحمد، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٩هـ.
- صحيح الترغيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيّع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- صحيح الجامع، محمد ناصر الدين، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- صور من حياة التابعين، عبدالرحمن رأفت الباشا، دار الأدب الإسلامي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢٥، ٢٠١٦م.
- الطبقات الكبرى، أبو عبدالله محمد بن سعد، تحقيق محمد عبدالقادر القط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

- عجائب القرآن، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، دار الكتب الإسلامية لصاحبها توفيق عفيفي عامر، ١٤شارع الجمهورية ببايدين.
- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير مختصر تفسير القرآن العظيم، أحمد شاكر، دار الوفاء.
- فتح القدير الجامع بين فنَّي الدراية والرواية من علم التفسير، الإمام محمد بن علي الشوكاني، ضبطه وصححه أحمد عبدالسلام، دار الكتب العلمية، بيروت.
- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- كُوريا الجنوبية أشواق وآفاق، د. عبدالمحسن بن عبدالرحمن آل الشيخ.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.
- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- مجمع الزوائد، علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن= تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله ابن محمد وعبدالمحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
- مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- المقابسات، أبو حيان التوحيدي، تحقيق: حسن السندوبي، دار سعاد الصباح، ط٢، ١٩٩٢م.
- الموطأ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
- نماذج من رسائل الأئمة السلف وأدبهم العلمي، عبدالفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٤، ٢٠١٩م.
- الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٢/٧.



القرآنُ حياةٌ وسعادة، فيه الخبرُ اليقين، والنبأُ الأكيد، فكيف تستنيرُ صدورنا بضوئه؟ وكيف نَطوي هُمومَنا بهديه؟ وكيف تستريحُ نفوسُنا في ظلاله؟

تمرُّ بالمرءِ أوقاتُ حُزنٍ وألم، وساعاتُ ضيقٍ وهمّ، فكيف العلاجُ؟ وما هو الدواء؟

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الإسراء:٨٢].

في القرآن وصفاتٌ شاملة، وعنايةٌ بالجسد والروح، بالجسم والعقل، بالدنيا والآخرة، بالقيم والمُثُل، بصلاح الفرد وصلاح المجتمع.

وهذا الكتابُ وقفاتٌ مع بعض الآيات، استنبطتُ منها إضاءاتٍ فاحصة، وهداياتٍ مُرشدة.

هو دليلٌ لمن يرغبُ فحصَ نفسِهِ بالقرآن، فبمَن يقتدي؟ وكيف العلاقة بذوي القُربى؟ وما الصفات المندوبة، والأخرى المذمومة؟ وكيف ننال السعادة؟ وكيف هو ميزان النفقة؟ وهداياتٌ أخرى وأخرى.

ISBN:9786035094535



القرآن - المباحث العامة

